صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKACKHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق – ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

العدد الحادي عشر

نيسان (ابريل) ١٩٦١

السنة الثالثة

أهلا بكم



يا أعضاء المجلس الاعلى للفنون والآداب ! أهلا بكم

هـذه دمشق تفتح صدرها الرحب لتضمكم اليوم مجتمعين وتطبع على جباهكم قبلة طالما تعودت أن تطبعها على جباه المخلصين . تلك عادتها يا أعضاء المجلس الاعلى ولم تكن لتتنكر يوما للاوفياء العاملين . فأهلا بكم .

يا قادة الفكر ! اجتمعتم اليوم لاحياء ذكرى الغزالي واجتمعتم من قبل في ذكرى الكواكبي وشوقي وحافظ وغيرهم . تلك بوادر نسجلها لكم مقرونة بالفخر والاعتزاز وجميل التقدير في احياء تراثنا المقدس . ولكن ! اسمحوا لنا أن نسألكم – وقد مضى عامان على تأسيس مجلسكم الكريم ، وكثرت اجتماعاتكم وطالت – اسمحوا لنا أن نسألكم : ماذا فعلتم في سبيل الاحياء من ادبائنا وشعرائنا المغمورين ؟

عامان قد مرا على تأسيس مجلسكم الموقر وليسا بالشيء اليسير في عمر زمن فيه للساعة قدسية وللحظة حرمة . ماذا فعلتم ؟ أقمتم مهرجانين للشعر أنتم أعلم بمدى نجاحهما ، ووزعتم الجوائز السخية على نفر لا نعرف أحدا أقل حاجة اليها منهم . وأغمضتم أعينكم عن فئة من أدبائنا هم عدة هذا الجيل الصاعد وحماة أوفياء للغتنا وأدبنا وقوميتنا . أولئك الذين طالما ألقينا بأسمائهم – وفي مناسبات عديدة – على مسامعكم ليكونوا موضع رعايتكم ولينعموا ببعض عطفكم وتشجيعكم . لقد قلناها لكم من قبل : للمجلس عينان عين ترعى جانبا من المهمة الملقاة على عاتقه وعين لما تستيقظ بعد .

يا قادة الفكر ! ثقوا بأملنا الكبير أن تقرب يقظة هذه العين ، وثقوا أننا لم نقف منكم هذا الموقف لولا يقيننا بأن الدولة قد وضعت تحت تصرفكم من الامكانيات ما لم تضعه تحت تصرف أية فئة أخرى . فانظروا أين أنتم من التبعة الملقاة على عاتقكم .

يا أعضاء المجلس الاعلى للفنون والآداب ! لم نكن لنقف منكم في يوم من الايام موقف العداء ، ولن نقف ، فأنتم منا ولنا ولكنه عتاب في ساعة لقاء . أهلا بكم .

مدحة عكاش

في الأدب المسرحي

بقلم : الدكتور عبد القادر القط

في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، جدت على الادب العربي فنون لم تكن فيه من قبل ، لعل أهمها المسرحية والرواية . وقد تطورت الرواية منذ ذلك الحين حتى أصبح لدينا فيها الآن من الاعمال ما لا يقل في مستواه عن الروايات العالمية المعروفة ، أما المسرحية فانها رغم ما أحرزت من تقدم كبير لم تزل تعاني كثيرا من مظاهر النقص في كم الانتاج وكيفه على السواء . ففي الوقت الذي نرى فيه الرواية قد تعددت فنونها واختلفت مذاهب كتابها باختلاف ثقافاتهم وفلسفاتهم السياسية والاجتماعية ، نرى الادب المسرحي في معظمه لا يزال يمر بدور التقليد والتجربة ، تعوزه الخبرة بمقتضيات المسرح وتنقصه الملكات الفنية الكبيرة . والمفارقة بين تطور هذين الفنين ترجع بلا شك الى طبيعة كل منهما . فمهما يكن من جدة الرواية على أدبنا العربي فان لها فيه جذورا عميقة تتمثل في كثير من القصص والاسمار المنبثة في ثنايا كتب الادب القديم ، كما تتمثل في تلك الملاحم الشعبية الطويلة التي تنطوي على كثير من مقومات الرواية الحديثة على صورة غير متطورة ولكنها قابلة للنماء والنضج . وهي الى هذا فن قائم بذاته يكتمل وجوده بمجرد فراغ الروائي من كتابته ويتلقاه القارىء كما يشاء ، يقرؤه في أي مكان وأي زمن يريد ، ويتدبر صوره وأجواءه وشخصياته على مهل وينفعل بها انفعالا ذاتيا لا يتأثر بطبيعة تجاوب الآخرين ، وكل ذلك على نقيض المسرحية . فهي مع جدتها على أدبنا الحديث تكاد تكون منقطعة الصلة بالادب العربي القديم انقطاعا تاما فليس في ذلك الادب من التراث ما يمكن أن ينتفع به الكاتب المسرحي في بعض جوانب فنه ، بل عليه أن يعتمد في هذا اعتمادا كليا على الآداب الغربية التي سبقتنا الى هذا الفن بوقت طويل . والعمل المسرحي لا يعتبر تاما حتى يمثل على المسرح فتستحيل الارشادات المسرحية الجامدة الى صور مادية نابضة بالحياة والحركة والاضواء والظلال ، وينقلب الحوار المكتوب الى أصوات مسموعة لشخصيات حية تتفاعل مع ما يحيط بها من أحداث ومواقف وأجواء . ونحن حتى في قراءتنا للمسرحية المكتوبة لا بد – لكي نستخرج كل ما فيها من معان وامكانيات – أن نتمثل تلك الحركة المسرحية المادية ونتخيل الشخصيات في حركتها وتحاورها وكأننا نراها على خشبة المسرح .

وتلك قدرة فنية ونفسية لا تتحقق الا عند من يديم التردد على مشاهدة المسرحيات مشاهدة تجعله قادرا على تجسيم ما يقرأ من ارشادات مسرحية ومن حوار . والمتفرج بعد ذلك – على عكس قارئي الرواية – يخرج من نطاق فرديته فيصبح جزءا من طائفة كبيرة تتجاوب تجاوبا جماعيا مع احداث المسرحية وشخصياتها . وذلك يفرض عليه أن يكون على قدر خاص من الوعي الفني والاجتماعي يهيئه لتلك التجربة الاجتماعية المشتركة .

كل هذه عناصر قعدت بالمسرحية عن أن تجاري الرواية فيما أصابت من تطور كبير . ولكن كتابها مع ذلك قد حاولوا منذ البداية أن يشاركوا قدر طاقتهم في رسم صور مجيدة للبطولة العربية والانسانية تحفز الهمم وتبث في النفوس ايمانا بالحياة والمستقبل ومع أن الرومانسية كانت في مطلع هذا القرن الطابع الغالب على الرواية والمسرحية ، فان الكتاب المسرحيين في ذلك العهد قد استوحوا في بعض أعمالهم مواقف البطولة في تاريخنا العربي وصوروا فيها من المواقف والمعاني ما يمثل ما كان يعتمل في نفوس الناس حينذاك من طموح وثورة على الظلم والاستعمار وتفكير في احياء ما كان لهم من مجد تليد عظيم . من ذلك مسرحية ، صلاح الدين الايوبي ، للمرحوم نجيب الحداد التي مثلتها فرقة الشيخ سلامة حجازي على مسرح « دار التمثيل العربي » منذ افتتاحه في أواخر سنة ١٩٠٥ ، وظلت تعيد تمثيلها الفرق الغنائية حتى بعد مماته . وقد كان من تعلق جمهور المسرح العربي بموضوع البطولة العربية وخاصة في شخص صلاح الدين ، أن عاد الى تناول ذلك الموضوع الاديب المفكر فرح أنطون في مسرحية أسماها « السلطان صلاح الدين ومملكة أورشليم » التي قدمت منذ عام ١٩١٤ واشترك في تمثيلها اثنان من أعلام المسرح هما المرحوم الشيخ سلامة حجازي ، والاستاذ جورج أبيض . ومن المقارنة بين هاتين الروايتين يمكن ان نلمس تطور فكرة البطولة في أدبنا المسرحي . ذلك أن

مؤلف المسرحية الثانية لم يقصر همه على اظهار بطولة صلاح الدين واستثارة اعجاب الناس به اعجابا يجعله عندهم في موضع التقديس والعبادة ، بل اتجه الى اظهار الصراع بين الشرق والغرب ، ودعوة أبناء العالم العربي كله على اختلاف دياناتهم ومللهم الى التآزر والتعاون على طرد المستعمر من كل قطر عربي . وهكذا تحولت البطولة على المسرح من عبادة البطل لعظمة شخصيته الى الايمان بفكرته . والحق أن هذا التحول يمثل ما كان يجري في المجتمع العربي حينئذ من تطور خطير بظهور الطبقة المتوسطة والعاملة ، وظهور شخصية الفرد العادي التي كانت ضائعة من قبل امام سلطان فرسان العصور الوسطى وأمراء الاقطاع وطغاة الحكام والولاة . وهو تطور حدث مثله من قبل في المجتمعات الاوربية فانعكست آثاره على الاعمال المسرحية وبدأت البطولة تهوي من سماء الفرسان والامراء وأنصاف الآلهة الى عالم الرجل العادي بمشكلاته وكفاحه ومعاناته في سبيل تحقيق الحياة الكريمة لنفسه ولابنائه . وهكذا تحولت المسرحية العربية بالتدريج - في خروجها من المرحلة الرومانسيه - الى معالجة أدواء المجتمع العربي وتصوير المفارقة بين حياة الاثرياء والفقراء فيه والحديث عن معاني الحرية والديمقراطية التي كانت تعتمل في نفوس العرب حينذاك . ولكنها مع ذلك لم تهمل تصوير البطولات العربية القديمة والمواقف التاريخية الحاسمة التي يعتز بها العرب ويستمدون منها الشجاعة والايمان بالنفس . فقد كان الصراع الدائر في المجتمع العربي ذا جانبين يتجه أحدهما الى محاربة الاستعمار ويحاول الآخر ان يشارك في التقدم الاجتماعي وخلق وعي بالمشكلات التي تعوق التطور . على أن المسرحية التاريخية لم تقتصر على رسم البطولات وتمجيدها بل حاول كتابها في كثير من الاحيان أن يربطوا بين الماضي والحاضر ويلقوا على مشكلات مجتمعاتهم أضواء من التاريخ تنبه الناس اليها وتنيرهم عليها . وتصف لهم في بعض الاحيان طريقة حلها . وهذا في الحقيقة ضرب من الرمز كان المسرحيون يلجؤون اليه فرارا من رقابة الطبقة الحاكمة من ناحية واثارة لخيال المشاهد لكي يربط بنفسه بين الماضي والحاضر من ناحية أخرى . ومن ذلك ما فعله شوقي في كثير من مسرحياته وبخاصة مصرع كليوباترا ، وما فعله عزيز أباظة في مسرحيته « غروب الاندلس » . وسواء كان شوقي في مسرحية كليو باترا قد أراد عن عمد أن يشير من خلال أحداث التاريخ الى مفاسد عصره أم تحدث كما تقتضي طبيعة الموضوع فانه قد استطاع أن يعقد صلة متينة واضحة بين الماضي والحاضر ويلفت المشاهدين الى ما في مجتمعهم من شرور تشبه ما يشاهدون على خشبة المسرح ، كقوله المعروف :

حابي سمعت كما سمعت وراعني
أن الرمية تختفي بالرامي
هتفوا بمن شرب الطلا في تاجهم
وأصار عرشهم فراش غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئا
ولو استطاع مشي على الاهرام

وقوله :

انظر الشعب ديون
كيف يوحون اليه
ملأ الجو هتافا
بحياتي قاتليه
أثر البهتان فيه
وانطلى الزور عليه
يا له من ببغاء
عقله في أذنيه

ولم يقتصر تصوير البطولة في المسرحية على الاشادة بالمواقف المجيدة لابطال التاريخ بل حاول الكتاب والشعراء المسرحيون أن يعيدوا تفسير التاريخ بما يتفق مع نزعاتهم الوطنية ويرضي شعورهم القومي ويتيح لهم أن يرسموا لمشاهديهم مثلا عليا من التضحية وانكار الذات . وهكذا رسم شوقي صورة جديدة لكيلوباترا غير تلك التي عرفناها في كتب التاريخ والمسرحيات والقصص الاوربية فجعلها ملكة حكيمة مدبرة قد وضعت لنفسها خطة سياسية تنفذها في براعة . فنراها تعلن انسحابها من موقعة اكتيوم بأنها قد أرادت أن تنتهي الموقعة بتحطيم أسطولي روما فلا يبقى في البحر الابيض الا اسطول مصر القوي . ثم نراها تفسر سلوكها مع الرجال تفسيرا آخر غير ما اعتاد التاريخ أن يقدمه فيتقول :-

كأني بعدي بالاحاديث سلطت
على سيرتي أو وكلت بحياتي
يقولون أنثى أفنت العمر بالهوى
بهيمية اللذات والشهوات
فدى لغرامي بالرجال وحسنهم
غرام الغواني أو هوى الملكات
فليس الغلام البارع الحسن فتنتي
ولا الرائع الاجلاد والعضلات
ولكن عشقت العبقرية طفلة
وفي الغافلات البله من سنواتي

ونراها مرة أخرى تحلل شخصيتها المعقدة وتؤكد هذا المعنى مرة ثانية فتقول :ـ

بنت الحياة أنا وتشهد سيرتي
ما كنت من أمي سوى تمثال
عنها تناولت الرياء وراثة
وأخذت كل خديعة ومحال
وقسوت قسوتها ولنت كلينها
واقتست في صدري بها ووصالي
ووجدتها قد خلدت أبطالها
فبسطت سلطاني على الابطال

ثم يصور شوقي انتحارها لا على أنه فرار من مأزق لم يكن لها مفر منه الا بالموت بل يعده تضحية مقصودة في سبيل الوطن حتى لا تدنس كرامته في شخص ملكته فتقول :ـ

أبي لا العزل خفت ولا المنايا
ولكن أن يسيروا بي سبيا
أيوطأ بالمناسم تاج مصر
وثمت شعرة في مفرقيا

وتقول مرة أخرى :

أأدخل في ثياب الذل روما
وأعرض كالسبي على الرجال
وأحدج بالشماتة عن يميني
ويعرض لي التهكم عن شمالي
اذن غير الملوك أبي وأمي
وغير طرازهم عمي وخالي
حياة الذل تدفع بالمنايا
تعالي حية الوادي تعالي

ويقول عنها الكاهن انوبيس بعد أن انتحرت :

بنتي رجوتك للضحية والفدا
فوجدت عندك فوق ما أنا راج
ان تصبحي جسدا فنفسك حرة
وعلاك سالمة وعرضك ناج
سيقول بعدك كل جيل منصف
ذهبت ولكن في سبيل التاج

ثم يختم شوقي مسرحيته بوعيد قد لا يتمشى مع أحداث التاريخ ولكنه يصور شعور أنوبيس الذي يمثل في الرواية مشاعر المصريين جميعا فيقول :

قسما ما فتحتم مصر لكن
قد فتحتم بها لرومة قبرا

وقد سقنا هذه الامثلة من تلك الرواية الشعرية لان المسرحية الشعرية قد ارتبطت منذ البداية بالتاريخ وتجنبت الموضوعات المعاصرة التي قد تخلق شيئا من المفارقة بين طبيعة الشخصيات العصرية والحوار الشعري ٠ والمسرحية الشعرية لهذا أحفل بتصوير البطولات من المسرحية النثرية ، والبطولة فيها تسمو بالتركيز وبما في الشعر من انفعال قوي وتعبير نفاذ ، الى درجات لا ترقى اليها في غيرها من المسرحيات ٠

على أن صراع العرب الدائم مع الاستعمار وقوى الشر في داخل المجتمع العربي نفسه قد فرض على الكتاب المسرحيين أن يصوروا البطل في معظم الاحيان في صورة نموذجية تجتمع فيها كل صفات البطولات في أسمى درجاتها وتنتفي عنها كل نقيصة يمكن أن تشوب شخصية البطل ٠ لذلك أصبح هؤلاء الابطال فوق مستوى المشاهد لا يمكن أن يتطلع الى الوصول يوما الى مستواهم أو يطمع في أن يأتي ببعض ما يأتون من خوارق ، وهو لهذا يعجب بهم ولكنه اعجاب فيه كثير من الروعة والدهشة تملآن عليه نفسه بانفعالات مثيرة قوية ، ولكنها غير واضحة لا يعرف الى أين تتوجه ولا ما تريد أن تحقق ٠ وهكذا غلب على تلك المسرحيات طابع الميلودراما التي تعتمد على المواقف المثيرة والاحداث المعقدة والاسلوب الخطابي الرنان ٠ ولا شك أن مثل تلك المسرحيات قد قامت بدور خطير في تعبئة الشعور القومي وردت الى المشاهدين ثقتهم بأنفسهم بعد أن فقدوها تحت وطأة الظلم والهوان الطويل ٠ ولا شك أيضا أننا لا نزال في بعض اللحظات الحاسمة من تاريخنا الحاضر محتاجين الى هذا اللون من المسرحيات الذي يخاطب عواطف المشاهدين بصورة مباشرة ويرسم لهم البطل انسانا كاملا في شجاعته وقوته وتضحيته ٠ وانا لنذكر في هذا المقام الدور المجيد الذي قام به المسرح أثناء معركة بور سعيد وبعدها مما كان له أكبر الاثر في شد أزر المحاربين وبعث الحماسة البالغة في نفوس المواطنين ٠ والحق أننا لا يجوز أن نلتمس في مثل تلك المسرحيات ما ننشده في المسرحيات الاخرى من مقومات فنية خاصة وقد أعجل كاتبها عن التجويد وتهيأت نفوس مشاهديها في تلك اللحظات الحاسمة الى تلقي ما فيها من معاني الوطنية دون نظر كبير الى جوانبها الفنية ٠ ولا ينبغي أن نغفل في حديثنا عن المسرحيات التي تعالج موضوعاتها معالجة مباشرة أن طائفة كبيرة من المجتمع العربي لا تزال في مستوى فكري واجتماعي لا يسمح لها بالانتفاع بما في المسرحيات الفنية الكبيرة من عواطف وأفكار وأنهم في أشد الحاجة الى التعليم في اطار فني يتناسب مع وضعهم الفكري والوجداني ٠ ولا شك أن المسرحيات التعليمية رغم قصورها من الناحية الفنية تؤدي خدمة كبيرة لهذا القطاع

الكبير من المجتمع ، وهي ضرورة من ضرورات المرحلة الاجتماعية التي نجتازها في هذه الايام .

على أننا مع ذلك يجب أن نتنبه الى أن المسرحيات التعليمية المباشرة رغم أهميتها لمجتمعنا العربي في مرحلته الحاضرة لا ينبغي أن تستأثر بكل اهتمام كتاب المسرح أو تؤخذ مقياسا للابداع والاجادة الفنية والا فسيظل مسرحنا خاليا من الاعمال المسرحية الكبيرة التي يعالج الكاتب فيها من الانفعالات النفسية او المواقف الانسانية ما لا يتصل اتصالا مباشرا بالقضايا السياسية الكبرى وان ارتبط بها في النهاية ارتباطا وثيقا عن طريق الايحاء واعطاء المشكلات الصغيرة لحالات اجتماعية كبيرة . وسيظل المشاهد العربي - اذا دام اعتماده على المسرحية التعليمية - عاجزا عن أن يتذوق ما في الفن المسرحي الرفيع من مقومات لا يدركها الا ذوق مصقول وفكر مثقف ، مما لا يتكون الا بطول التردد على المسرح ومشاهدة روائعه التي تتحقق فيها تلك المقومات . وينبغي في هذا المقام أن نتبين طبيعة البطولة في المسرحية الحديثة وندرك ما طرأ على مفهومها القديم من تحول . فالبطولة شيء نسبي لا يتمثل في ضخامة العمل الذي يأتيه البطل بقدر ما يتمثل في المعاناة النفسية التي يبذلها في سبيل تحقيق ارادته وان تمثلت في عمل صغير . فالفلاح الذي يبذل جهدا ماديا ونفسيا كبيرا في اصلاح قطعة أرض صغيرة ويمضي في اصرار وقوة ارادة حتى يتم له ما يشاء يمكن أن يكون موضوعا للبطولة في عمل مسرحي ناجح ، والفرد الذي يغالب نفسه لينتصر في محيط حياته المحدود على هوى شخصي يوشك أن يصرفه عن أداء واجبه كمواطن صالح او ليخرج ظافرا من محنة خاصة ألمت به ، يمكن أن يكون بطلا تبث بطولته في نفس المشاهد من المعاني ما يمكن أن ينصرف الى كثير من الموضوعات الاجتماعية والمشكلات الانسانية الكبيرة ، التي لا تتصل اتصالا مباشرا بحياته ومشكلته الخاصة والايمان الذي يترسب في نفس المشاهد من خلال تلك الاعمال المسرحية ذات البطولة الانسانية المعقولة ينفذ اليها بطيئا من خلال وجدانه فيستقر في عقله الباطن الذي هو في الحقيقة خلاصة شخصيته ومنبع سلوكه . ولا شك أن الايمان الوجداني أبقى وأبعد أثرا في شخصية الانسان من الايمان العقلي الذي يمكن أن ينهار عند أول برهان يناقضه . ودور الفن الهادف في الواقع يتمثل في خلق ذلك الاقتناع الوجداني ليقترن بما يخلقه المصلحون والمفكرون عند المواطنين من اقتناع فكري يقوم على الحجة والبرهان . وليس معنى ذلك بالطبع أن الفن يمكن أن يخلو من العناصر الفكرية الهامة ولكن تلك الافكار لا بد أن - تستحيل في العمل الفني الى أحاسيس يتلقاها المشاهد أو القارىء بوجدانه قبل كل شيء . ولا شك أننا اذا أدركنا ذلك كله سنجد في الموضوعات الاجتماعية وفي حياة المواطن العادي معينا خصبا لاعمال مسرحية ناجحة تشارك في تطور المجتمع بما تقدمه من ألوان البطولة الانسانية في مواجهة المشكلات الحيوية والازمات النفسية المختلفة ، وسننصرف بالتدريج عن المعنى السائد للبطولة على أنها تحقيق الاعمال الخارقة التي تستلزم في الغالب قوة جسدية ثم نفسية معجزة الى معان نفسية جديدة فيها كثير من العمق والاصالة والواقعية ، وفيها مع ذلك صقل للذوق واثراء للفكر وتنمية للشخصية الانسانية. وسيتبع ذلك أن يجذب المسرح كثيرا من أولئك الذين ينصرفون عنه لانهم لا يجدون فيه تصويرا صادقا لحياتهم ولا عرضا واقعيا لشخصيات مجتمعهم الذي يعيشون فيه ولا حوارا بسيطا قريبا من لغتهم التي يتحدثون بها دون أن تكون فيه تلك الخطابية والالفاظ الضخمة التي تفرضها طبيعة البطولة التاريخية أو الاسطورية الخارقة .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير الى تخلف المسرح في كثير من بلادنا العربية فلا نكاد نجد منه في معظم تلك البلاد الا المسارح الغنائية أو دور اللهو والتسلية ، ولا نكاد نظفر فيها بمسرح واحد قد زود بأحدث الوسائل المادية الحديثة التي تتيح للمؤلف مزيدا من الحرية وللمخرج وللممثل مزيدا من الابداع ، وللمشاهد من الراحة والاستمتاع ما يصرفه شيئا ما عن دور السينما ويخلق لديه حب المسرح والرغبة في التردد عليه . لقد بدأت النهضة المسرحية في البلاد العربية منذ وقت ليس بالقصير وتآزرت تلك الدول في خلق تلك النهضة تآزرا تمثل فيه ما بينها من روابط متينة وأخوة مشتركة. فلقد قام المسرح في مصر أول ما قام على يد رواد من لبنان ومن سوريا وغذاه هذان القطران بأعلام الممثلين والممثلات والمؤلفين من أمثال جورج أبيض وعزيز عيد وروز اليوسف وفرح أنطون ونجيب الحداد وغيرهم . كما أهدى العراق الشقيق الى مصر ابنا من أبنائه صار بعد الركن الاول للمسرح الفكاهي في مصر هو نجيب الريحاني . وحري بالبلاد العربية في هذه الايام الحاسمة من تاريخها المجيد أن تستأنف تعاونها في هذا السبيل مرة أخرى ، فتنتشل المسرح مما هو فيه من تخلف وتدفعه لكي يساير النهضة العربية الثائرة ، وتقدم الفنون الاخرى التي بدأت التطور مع الادب المسرحي في وقت واحد ولكنها سبقته بشوط طويل . صحيح أن في الجمهورية العربية نهضة مسرحية كبيرة تتمثل في المسرح القومي الذي توليه الدولة كثيرا من الرعاية والذي

يقوم بجهد ضخم في النهوض بالمسرح واجتذاب رواد جدد اليه عن طريق تقديم الاعمال المسرحية الكبيرة من الآداب الاوربية والادب العربي ، كما تتمثل في فرق أخرى من الهواة كفرقة المسرح الحر وغيرها ٠ وفي الجمهورية العربية معهد عال للتمثيل يتخرج فيه كل عام عدد لا بأس به من الممثلين والنقاد الذين يضمون الى الموهبة ثقافة واسعة منظمة ٠ ولكننا مع ذلك ما زلنا نأمل أن تمضي هذه النهضة الى أبعد من هذا فيكون لدينا مسارح كبيرة مزودة بأحدث الاساليب الفنية والعلمية ، وفرق مسرحية منتشرة في أنحاء الجمهورية لا يقتصر نشاطها على العاصمة وحدها ، وبذلك ينمو الوعي المسرحي عند الجماهير ويزيد اقبالهم على المسرح وتعظم قدرتهم على التمييز بين الجيد والرديء من أعماله ٠ كما نرجو أن يشيع هذا الوعي في بلادنا العربية جميعا حتى لا يحرم الجمهور العربي من الاستمتاع والافادة بهذا الفن الانساني الجميل النبيل ولن يتحقق هذا الا بأن تستأنف تلك البلاد كما قلنا تآزرها القديم في هذا السبيل ، فتعقد مؤتمرا خاصا لشؤون المسرح ترسم فيه الخطط للمستقبل القريب من بناء المسارح واعداد الممثلين والمخرجين وتشجيع المؤلفين وغير ذلك ٠ والى أن يتحقق ما نرجوه من عقد هذا المؤتمر الخاص نرجو أن تنظر هيئة المؤتمر في اقرار هذه التوصيات :

١ ـ يوصي المؤتمر بأن تهتم الحكومات العربية ببناء المسارح الحديثة وترصد لها في ميزانياتها ما يكفل تنفيذ بنائها في أقرب وقت ٠

٢ ـ تنشىء الحكومات العربية معاهد للتمثيل والنقد حيثما أمكن أو ترسل بعثات الى البلاد العربية والاوربية للتخصص في هذين الفنين ٠

٣ ـ تنظر الدول في مكافأة الممثلين والمخرجين بما يتناسب مع مواهبهم وما يبذلون في فنهم من جهد ٠

٤ ـ تشجع الدول المؤلفين وتمنحهم مكافآت لا تقاس بما يصيب أعمالهم المسرحية من نجاح أو فشل مادي بل بمقدار ما تقدمه هذه الاعمال من مشاركة في تطور فن المسرحية ٠ وتكون الدول لهذا الغرض لجان قراءة تكون مهمتها كشف الملكات الجديدة عند الناشئين من المؤلفين وتقديم الاعمال الممتازة عند الناشئين والكبار على السواء ٠

البطولة في السينما

أما السينما فقد غلب عليها التقليد منذ نشأتها الاولى ٠ وهي لامكانياتها الواسعة في تصوير الاحداث بكل جوانبها وتفصيلاتها تعنى عناية كبيرة بالبطولات التي تتمثل في مواقف مادية تبين قوة البطل الجسدية وتثير لهفة المشاهد على مصيره ٠ ولكن مصير البطل في السينما يكاد يكون دائما معروفا من قبل فهو لا بد أن يخرج منتصرا من كل مأزق ويسحق أعداءه أو يقهر ما يحيط به من ظروف سيئة وغير ذلك ٠ وذلك على نقيض المسرح الذي تقتضي امكانياته المادية المحدودة أن يكون أول همه تصوير الاحوال النفسية والعواطف والافكار الانسانية في أضيق نطاق مادي ممكن ٠ والحق أن المواقف المادية في المسرح ليست عند الكاتب المسرحي المجيد الا مجرد مفاتيح لتلك الاحوال والعواطف والافكار ٠

وصورة البطل في السينما العربية تستمد معظم سماتها من البطولات الاجنبية وبخاصة الامريكية وهي لذلك رغم ما قد يكون فيها من اثارة لا تبني شخصية المشاهد القومية بناء سليما يقوم على مخاطبة ما في نفسه من قيم موروثة وطريقة احساس وادراك تنبع من البيئة العربية التي يعيش فيها ٠ صحيح أن بعض الافلام العربية قد صورت بعض البطولات العربية التاريخية كصلاح الدين مثلا ولكن هذه الافلام لم تحرص على الاصالة ولم تول أعمالها ما هي جديرة به من عناية وجهد فجاء معظمها مجرد نسخ مشوهة للافلام الامريكية في مثل ذلك الموضوع ٠

ومما يؤسف له أن كتابنا قد عزفوا منذ البداية عن الكتابة للسينما رغم أنها قد أصبحت الفن الجماعي الاول للمجتمع العربي ، ورغم ما لها من تأثير هائل في نفوس الشباب يغير من سلوكهم وشخصياتهم وحتى أزيائهم في كثير من الاحيان ٠ وقد بدأ المنتجون والمخرجون يحسون أخيرا بأن القصة الجيدة هي الاساس الاول لصناعة السينما وأن السينما بدونها ستظل ضربا من البراعة الفنية في التصوير والتمثيل لا ينفذ الى صميم الحياة ولا يهز نفوس المشاهدين ولا يجلب عليهم في النهاية ما يبغون من ربح ٠ وهكذا أخذوا يبحثون عن القصة الجيدة في أعمال كبار أدبائنا ونوابغ الشباب العربي فيحيلونها الى نصوص سينمائية استطاعت أن تكون أساسا لبعض الافلام الكبيرة الناجحة ٠ كما بدأ كثير من الكتاب المعروفين يقبلون على الكتابة لهذا الفن ويصورون فيها ألوان البطولة العربية التاريخية والاجتماعية على السواء ٠ ومن ذلك فيلم رد قلبي للاستاذ يوسف السباعي ، وفيلم جميلة للاساتذة نجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوي ويوسف السباعي ، وقد غلب على السينما العربية في معالجتها للمشكلات الانسانية والاجتماعية الحدة والمثالية والمواقف المتكلفة والحلول غير الطبيعية ٠ على أنه من حسن الحظ أن القائمين

الثقافة والأخلاق

بقلم : عبد الرزاق البصير

يقول بعض الكتاب : اذا كانت الثقافة في ذاتها تحويل الفرد (لا انسان) في تصرفه وتدبيره الى انسان في سمته ونهجه وتفكيره فها هنا تتوضح الاهمية الكبرى لوضع المناهج الصحيحة لتثقيف الشعب على نطاق شامل . والذي يبدو لي ان كاتب المقال مؤمن بهذا القول أشد الايمان ذلك لانه قد ساقه مساق اليقين في حين ان الكثير من المفكرين يقفون من هذه الفكرة موقف الشك ونعني بهذه الفكرة تأثير الثقافة على اخلاق الانسان كما يرى كاتب المقال ويخيل الي ان الذين يشكون في تأثير الثقافة على الاخلاق غير ملومين لان التاريخ البشري يحدثنا بأن الفرس والرومان واليونان وهم أرقى الامم القديمة ثقافة وأعظمها مدنية وحضارة هذه الامم هي التي بدأت الاستعمار وأنشأت له نظما وقوانين ومما لا شك فيه ان فلاسفة تلك الامم ومفكريها هم الذين أنشأوا تلك النظم والقوانين . فنحن نعرف مثلا أن الاسكندر المقدوني لما استعصت عليه ادارة البلاد التي فتحها استشار الفيلسوف المشهور أرسطو في كيفية تدبير أمور تلك البلاد فما كان من ذلك الفيلسوف الا أن اخترع له أسلوبا في الحكم ما زالت البشرية تعاني منه حتى الآن ويتلخص ذلك الاسلوب في أن يفرق البلاد الى دويلات صغيرة ويؤمر على كل دولة رئيسا ويوهم ذلك الرئيس أنه هو الحاكم المطلق ليكون الرؤساء مشغولين في أمورهم الخاصة ومحاربة بعضهم لبعض وقد عرف ذلك الاسلوب في كلمة مشهورة فيما بعد (فرق تسد) ، ولا يختلف التاريخ الحديث عن التاريخ القديم وبيان ذلك أن الامم التي انتهكت وما تزال تنتهك القيم الانسانية التي اتفق الناس على احترامها هي من أرقى الامم ثقافة وأعظمها حضارة وقد ساهمت وما تزال تساهم في الحضارة البشرية فقد قدمت هذه الامم الحية للانسانية خدمات جليلة وهي ما تزال تحتل كثيرا من البلاد وتنتهب خيراتها .

مما ذكر يتضح عذر الذين يعتقدون بأن الثقافة ليس لها الا تأثير يسير على سلوك الانسان . لقد وصل الانسان الى أرقى درجات المعرفة كما توصل الى أرقى درجات العلم بدليل ما نراه من المخترعات التي لا تحصى والتي قصرت المسافات التي كانت تفصل بين الاقطار المتباعدة فلا تكاد حادثة تحدث في الشرق الا ويتأثر بها من في الغرب ولقد قلبت هذه المخترعات حياة الانسان رأسا على عقب ، هذا من الناحية العلمية ، وأما من الناحية الثقافية فيكفي أن ننظر الى علم النفس الذي يكاد يصور لنا ما يجول في الخواطر والاذهان . وانك حين تنظر الى الدراسات الادبية الحديثة يتضح لك ما توصل اليه الفكر البشري من دقائق عجيبة فهل تهذب سلوك الانسان

بأمرها قد بدأوا يدركون أن المشاهد العربي قد أصبح أنضج من أن يتأثر بتلك الالوان الفنية الساذجة فاتجهوا في كثير من أعمالهم اتجاها واقعيا سليما ، وبدؤوا يدركون أن البطولة قد توجد في الكوخ كما توجد في القصر ، وقد تتمثل في جهد العامل أو الفلاح الصغير كما تتمثل او خيرا مما تتمثل في عظمة الامراء والفرسان وجرأة اللصوص والمنحرفين . وانا لنرجو أن تمضي السينما العربية في هذا الاتجاه لتشارك في بناء مجتمعنا العربي الجديد مقدرين في الوقت نفسه أن شعبية هذا الفن تقتضي كثيرا من الانتاج الذي يهدف الى تسلية المشاهد فحسب ، ولكننا مع ذلك نرجو ان لم تنطو هذه التسلية على فائدة نفسية أو فكرية ، ألا تنطوي على الاقل على ضرر يصيب المشاهدين من الشباب بالشذوذ والانحراف . كما نرجو من كتابنا أن يقبلوا على الكتابة لهذا الفن الخطير ويولوه من العناية ما يتناسب مع تأثيره الضخم في شباب المجتمع العربي وكهوله على السواء .

الدكتور عبد القادر القط

وهل تغيرت طباعه عما كانت عليه في العصور القديمة ؟ هنا ينقسم الفلاسفة والمفكرون الى قسمين فمنهم من يرى أن الانسان قد تغيرت طباعه وتهذبت أخلاقه عما كانت عليه ٠ ومنهم من يرى الانسان لم يزل على ما كان عليه من قبل ٠ أما هذه المظاهر الاخلاقية الرقيقة التي يتصف بها الانسان فانها لا تعدو عن كونها قشورا براقة لا تكاد تنكشف حتى يظهر الانسان على حقيقته من الجشع والطمع والقسوة والوحشية ٠ وقد يكون من الخير أن نقف وقفة قصيرة عند ادلة الفريقين فريق المؤمنين بالانسان وفريق الكافرين به لنعرف أيهما قريب من الصواب ٠ أما الذين يؤمنون بأن الانسان قد تغيرت طباعه وتهذب سلوكه عما كان عليه من قبل ، فانهم يعتمدون على هذه المظاهر التي يتظاهر بها الانسان كالمظاهر الدينية والمظاهر الانسانية التي تتمثل في هذه الجمعيات المختلفة وفي هذه المؤتمرات التي تعقد كلما تأزمت الاحوال ٠ وأما الذين يشكون في تغير طباع الانسان عما كانت عليه من قبل فانهم يعتمدون في شكهم على ما أحرزه الانسان من تقدم في الاسلحة المدمرة المهلكة التي أصبحت تمحق المدن ومن فيها في ساعات معدودة ، لقد كانت الحرب من قبل تكاد تقتصر على ميادين الحرب أما الآن فانها أصبحت تشمل الامم المتحاربة ، والظاهر أنها ستشمل جميع الامم في المستقبل ويعتمدون أيضا في شكهم على ما نراه من بقاء الاستعمار وان تطور وغلف في أثواب رقيقة وسمي باسماء مقبولة ، ويخيل الي ان أدلة المؤمنين بالانسان ضعيفة لا تكاد تقوى على رد الذين يشكون في تغير طباع الانسان لان التغير الذي حدث في سلوك الانسان انما هو تغير يسير لا يكاد يلائم ما أحرزه الانسان من تقدم مضطرد في الثقافة والعلوم ٠

لقد وضع الانسان قوانين كثيرة لتنظيم حياته تنظيما دقيقا لكي يلائم ما وصل اليه الانسان من رقي وتقدم غير أننا نلاحظ أن تلك الامم الراقية المتمدنة التي بذلت كثيرا من الجهود الى درجة التضحية لوضع تلك القوانين موضع التنفيذ تلك الامم هي التي تستهين بتلك النظم عندما تتعارض مع أطماعها ومصالحها ٠ والثورة الفرنسية خير مثال على صحة ما ذهبنا اليه ، فقد قامت الثورة الفرنسية لمحق الظلم والاستغلال والاستبداد ولقد انتصرت الثورة لما قامت من أجله ثم قررت فيما قررت اعلان حقوق الانسان وأجملتها في ثلاث كلمات هي الحرية والاخاء والمساواة وهذه الكلمات هي أثمن شيء في هذه الحياة وقد كان الناس يظنون أن الفرنسيين سيطبقونها خير تطبيق لانهم بذلوا في سبيلها كثيرا من الدماء ٠ غير أن فرنسا ما لبثت أن تنكرت لاهداف ثورتها أشد التنكر وعادت الى انتهاك القيم الانسانية كأشد ما يكون ٠ ما ذكرناه عن فرنسا ينطبق على جميع الدول المستعمرة كل الانطباق ، وأظن اني لست مخطأ حين التمس العذر للذين يخالفون العقل والمنطق ويستبيحون الحرمات في العصور القديمة لان مقاييسهم الاخلاقية تختلف عن مقاييسنا كل الاختلاف ، فلقد كانت الغلبة والاحتلال مدعاة الفخر ، تجد ذلك واضحا في ما وصل الينا من الآثار الادبية القديمة ، أما في هذا العصر فالفخر يتمثل في تعاون الشعوب وفي تعاطفها وفي السعي الى السلم ونشر الحرية بين الناس والدليل على ذلك ما نراه من جمعيات مختلفة منها ما يدعو الى الرفق بالحيوان ومنها ما يدعو الى الصداقة بين الشعوب ومنها ما يدعو الى التسلح بالاخلاق ، حتى أن الحوادث الطبيعية كالزلازل والعواصف لا تكاد تحدث في بلد من البلدان حتى يهب الناس في جميع بقاع الارض لنصرة تلك البلاد المصابة وهذا شيء جميل حقا غير أن هذه الشعارات لا تكاد تقف أمام المصالح والاطماع ولم تستطع أن تمحو العداوة والبغضاء بين كثير من الشعوب ، ولا ادل على ذلك من هذا التسابق الجنوني في اقتناء الاسلحة الرهيبة ٠ ولست مبالغا اذا قلت ان ما ينفق على أسلحة الدمار يعادل ما ينفق على المصلحة الانسانية ولو كان الانسان قد تخلى عن وحشيته وأطماعه لما احتاج الانسان الى بذل كل هذا الجهد في اختراع هذه الاسلحة الرهيبة التي ان عمت أو استعملت بصورة عامة فستمحق الحضارة البشرية وليس من سبب لذلك كله الا تمسك الانسان بجشعه وأطماعه ، وما أظن اني محتاج الى توضيح أغراض تلك المساعدات التي تبذلها الدول القوية الغنية للدول الضعيفة المتخلفة فقد عرف الناس جميعا ان قصد كل معسكر هو اضعاف المعسكر الآخر ، أما الحرية والخير للانسانية فذلك ما لم تقصده الامم القوية قطعا والدليل على ذلك ما نشاهده من قمع شديد يستعمله كل من المعسكرين مع كل دولة واقعة تحت تأثير كل منهما عندما تثور طالبة حريتها واستقلالها ومن الواضح أننا لا نستطيع أن نطلق الخير على أي عمل من الاعمال الا اذا كان عامله يقصد الخير المطلق من ورائه ٠ وبعد فاني لا أدعو أبدا الى نبذ الثقافة والمعرفة وانما أحببت أن نعرف أن الثقافة ليس لها الا تأثير يسير على سلوك الناس وهذا شيء مؤسف حقا الا ان هذا هو الواقع وهو أمر لا مفر منه ٠

عبد الرزاق البصير

فن المحاضرة

بقلم : الدكتور ابراهيم الكيلاني

تتميز الحياة الفكرية عند الامم في مرحلة معينة من تاريخها بنوع من أنواع التعبير هو وليد الخمائر العقلية، والتطور الحضاري الذي تمر به هذه الامة ، فقد يتجلى هذا التعبير في شيوع الكتاب والتأليف او شيوع المقالة والقصة والرواية وغلبتهما على بقية وسائل التعبير أو انتشار الصحف والمجلات كاداة اتصال واخبار بين الجماهير ، وقد تنزع الامة في التعبير عن شعورها الفني في زمن معين الى الموسيقى أو التمثيل أو الرسم ، وقد تنشط هذه المظاهر جميعا في أمة وتنعدم كلها أو بعضها في أخرى ، انها تنشط عادة في الامم العريقة في الحضارة والعلم ، وتنعدم كلها او بعضها في الامم التي تتلمس طريقها نحو المعرفة او التي لم تستكمل نهضتها الفكرية وبناءها العقلي ·

واذا تتبعنا تاريخ الحياة الفكرية في سورية منذ أربعين عاما عرفنا ان البلاد مرت في مراحل فكرية تتناسب وتطورها الاجتماعي والسياسي ، فقد كان الوعي القومي مقترنا بالوعي الادبي الذي يروج فيه الشعر والنثر وفنون القول والكلام كالخطابة والمحاضرة والحديث دون بقية وسائل التعبير كالرسم والموسيقى وغيرها من الفنون الجميلة التي ظلت متأخرة عن مثيلاتها من الفنون الادبية ·

ولذا كان للكتاب كأداة حضارية ، ثقافية ، قيمة ومجد ، وكان المؤلفون على قلتهم يتمتعون بمكانة مبعثها الاحترام التقليدي للعلم وأهله من ناحية ، وتعطش الناس للمعرفة من ناحية ثانية ، ثم لما تطور الزمن وشاعت الثقافة وفتحت أبواب المعرفة أمام الجميع ، وأخذ العلم ينتشر أفقيا على حساب العمق ، واشتدت وطأة الحضارة المادية المتميزة بالسرعة والسطحية أخذ الناس ينصرفون شيئا فشيئا عن الكتاب مستعيضين عنه بالصحف والمجلات وبخاصة المصورة منها ، فقل الاقبال على المقروء



بقدر ما أقبل الناس على المرئي والمسموع ، فأخذت السينما والاذاعة في مزاحمة الكتاب والمجلة والصحيفة ، ثم أخذ التلفزيون في مزاحمة السينما والاذاعة · ففي وسط هذا التطور السريع احتفظ فن المحاضرات بنوع من الرواج النسبي كلون من ألوان الاتصال بالجماهير ووسيلة من وسائل نشر المعرفة بينها · ويكفي الباحث أن يلقي نظرة على مدينة كبرى كدمشق ليشهد رواج هذا النوع فلا يمر يوم الا وتلقى فيه محاضرتان أو أكثر، هذا وقد يجتمع في يوم واحد ست او سبع محاضرات · فضلا عن الندوات والاحاديث والمهرجانات التي هي مظهر من مظاهر رواج فنون الكلام عندنا ·

واذا ما أردنا تعليل رواج المحاضرة ـ مع ما يعتريها من صعوبات لايجاد المحاضر والمستمع معا ـ وجدنا ذلك في سهولة هذا النوع من النشاط بالنسبة للجمعيات والمؤسسات القائمة عليه اذ أنه في الواقع لا يتطلب فعالية ذاتية منبثقة من داخل الجمعية والهيئة فضلا عن قلة التكاليف اذا ما قورنت بالاشياء الفنية ، ولذا انحصر

نشاط الجمعيات والمؤسسات حتى الفنية والاجتماعية منها على هذا اللون دون سواه .

وهناك سبب ثان في تعليل هذا الرواج هو الهرب من الوحدة والانفراد اللذين تتطلبهما المطالعة ، وما هذا الهرب الا نتيجة عجز الناس عن التجمع الذهني الذي يحول دونه نمط الحياة العصرية القائم على التبديد والتوزيع لا التجميع والتوحيد . ومع أن المطالعة لا تحول دون الاستماع الى المحاضرة ، والاستماع الى المحاضرة لا يحول دون المطالعة الا ان الحالة النفسية عند المستمع والقارىء ليست ذاتها ، فهي تختلف اختلافا كليا عند كليهما ، فان رجلا يخلو الى كتاب جديد يقطع أوراقه متطلعا الى ما فيه من ابحاث وأفكار وآراء ليس هو ذلك الرجل الجالس بين جمهور خليط ينتظر – وكله شوق وتطلع – ظهور المحاضر ، ولا شك في أنه مهما قيل في فضل الكتاب وشرفه ونبله وأنسه فان الهزات التي تعتري المستمع أشد وأقوى نظرا لما يسبق المحاضرة من أمور تمهيدية وجو تحضيري وما يحيط به من هالة وما لشخصية المحاضر ، وصوته الانساني الحي الذي يلتمس العطف والمشاركة والانتباه من مستمعيه ، وملامح الوجه الذي يعيش صاحبه موضوعه ، وجلال المفكر الذي ابدع المعنى ، ونحت اللفظ ، وبني الجمل ، وربط بين الافكار المكتشفة كل هذا لا يستطيع المطبوع أن يصل اليه بالغا ما بلغ المؤلف من القدرة على الامتاع والدقة في التفكير والصفاء الاسلوبي .

ثم ان المحاضرة في حد ذاتها حادث اجتماعي وهو أكثر فنون الكلام خضوعا لقواعد النفسية الجماعية التي نشهدها عند الجماهير في حالة تكونها ، المقصود منها أو الطاريء ، وذلك ان حالة التأثر والقبول والعدوى عند أناس جاؤوا مختارين لسماع متكلم أو خطيب أو محاضر تختلف في طبيعتها ونوعيتها وشدتها عن حالة كل عضو مكون لهذا الجمهور اذا أخذ بمفرده . وفي رأيي أن المحاضرة كنوع تثقيفي رفيع اداة قوية للتأثير ، ومرد هذه القوة الى وقوفها في منتصف الطريق بين الفصاحة والتمثيل بل الى جمعها بين القوتين الخطابية والتمثيلية ، ولم يخطىء من قال « ان وراء كل محاضر مجيد ، او خطيب بليغ مرتجلا كان أم قارئا في نص ، يختبيء ممثل »

أقول هذا معتقدا بأن الانسان المعاصر الذي أخذت ثقافته في التقلص وجهده للسماع في الفتور والضعف لم يعد يرضى عن المحاضر الا اذا ناب هذا الى حد ما – مناب الممثل الذي يجلب المتعة ويعفى من الجهد .

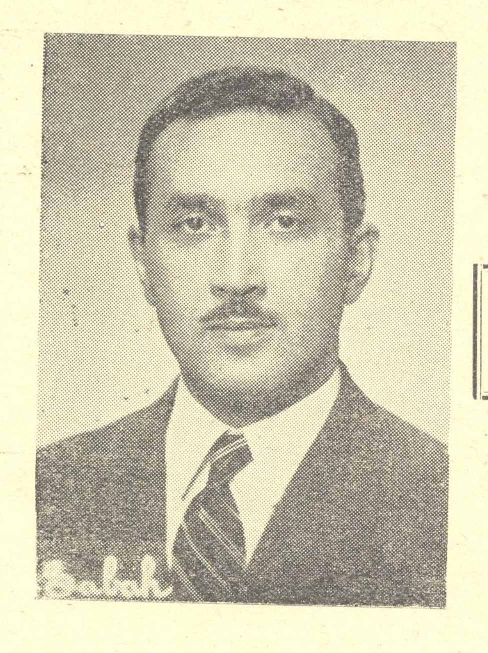
وكم كنت أودونحن في زمن عرف فيه فن المحاضرات رواجا لا مثيل له – أن أذكر الشروط التي يجب ان تتوفر في المحاضر ولكن ضيق المجال المخصص لهذا المقال يحملني على الايجاز والاقتصار على أهمها وهي : الشخصية ، والاصالة ، والاجادة .

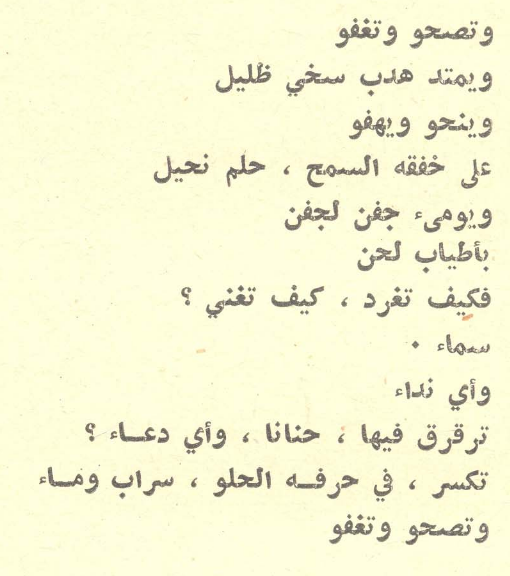
فالى جانب العلم والمعرفة والثقافة الشاملة التي هي مسلمات بديهية عند من يتصدى لتثقيف الجماهير يجب ان تتوفر في المحاضر الشخصية القوية ، والقوي الشخصية من الناس هو الذي أوتي صفات ذهنية وخلقية عالية والذي يوحي الينا بأنه لم يخلق بصورة نمطية على شاكلة الاكثرية الغالبة ، وهو الذي لا يقبل في ميدان العقليات الآراء المصنوعة والمفروضة الا بعد ان يحكم فيها عقله ، وهو الذي يسير عقله ارادته لا غريزته ، والذي لا تشعر تجاهه باللامبالاة بل يجذبنا اليه او يدفعنا عنه ، والذي يحملنا على الاعتقاد بأن العالم والانسانية يفقدان شيئا اذا ما فقداه لان وجوده ثروة يضن بها ، وقد نجد عند بعض المحاضرين الممتازين هذه المنحة الربانية التي تتجلى بهذا السيلان السحري الجذاب الذي يخلق تلك الصلة الخفية بين المحاضر ومستمعيه والتي تهز في آن واحد قلب المحاضر الذي يتكلم وقلوب الكائن الجماعي الحساس الذي نسميه جمهور المستمعين فتحوله الى كائن واحد » أما الصفة الرئيسية الثانية فهي الاصالة او الطرافة ومعناها أن يحترم المحاضر جمهوره ، وذلك بأن يعرض عليهم أفكارا وآراء هي نتيجة تأملاته الشخصية او ملاحظاته الذاتية او تجاربه الخاصة في ميدان العمل او الفكر ، والا حشر المحاضر في عداد الوسطاء الملخصين او النقلة ان لم نقل المشعوذين الدجاجلة .

أما الصفة الرئيسية الثالثة فهي تتعلق « بفنية المحاضرة » أي ما له صلة بتحضير الموضوع وأدب المحاضر وطريقة الاداء الى غير ذلك مما لا يتسع الوقت لذكره ، ولعلنا عدنا اليه في فرصة أخرى .

غفوة

الدكتور بديع حقي

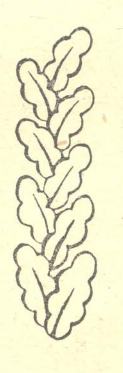




وتصحو وتغفو
ويمتد هدب سخي ظليل
وينحو ويهفو
على خفقه السمح ، حلم نحيل
ويومىء جفن لجفن
بأطياب لحن
فكيف تغرد ، كيف تغني ؟
سماء .
وأي نداء
ترقرق فيها ، حنانا ، وأي دعاء ؟
تكسر ، في حرفه الحلو ، سراب وماء
وتصحو وتغفو



بطهر ودل
كطفل
فتأنس عين لظل
يسلسل فيها خيالي .
تراها تغازل ظني ؟
فتحبس عني ،
خيالي
وراء سحابة جفن .
تراها تنادم طيفي الشفيف
بهمس الرفيف ؟
وتمسح ظلي ،
بدمع وطل
وتغفو كطفل .

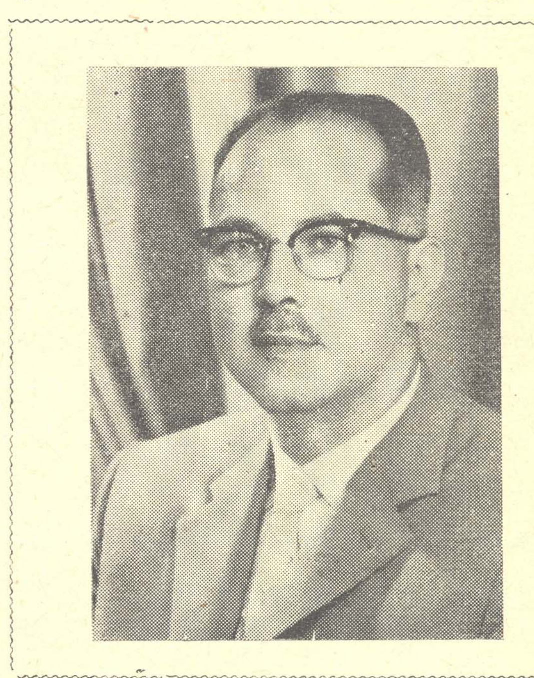


دمشق بديع حقي

تحررنا الفكري

بقلم : محمد المبارك

ان الجمهورية العربية المتحدة بلغت في الواقع حدا من التحرر السياسي ينبغي أن يكون هدف الدول العربية جميعا لتتمكن من السير نحو الوحدة والبناء والتقدم فلم يعد لدولة من الشرق أو من الغرب نفوذ أو سلطان أو ضغط يوجه سياسة بلدنا العربي المتحرر وبذلك وضعت الجمهورية العربية الاطار السياسي السليم لحياة مستقبلة في سائر الميادين وطرحت بذلك أمامنا مسألة في غاية



الخطورة وهي مسألة التحرر الفكري بعد التحرر السياسي وان مهمة الدولة ان تفسح المجال لهذا التحرر لا ان تفرضه فرضا ولذلك كان هذا الواجب ملقى على الطبقة المثقفة وعلى الطليعة الواعية ·

لقد مررنا بعد عصر الانحطاط بمرحلة النقل والتقليد للحضارة الغربية وكانت تلك المرحلة طبيعية لا بد من المرور منها ولكن وظيفتها كعامل من عوامل الايقاظ والتحريض قد انتهت وأصبح من الواجب ان تحد بحدود الاقتباس المفيد في ميادين معينة والنقل الواعي المبني على أساس من حياتنا وعقائدنا وحضارتنا وتراثنا وتاريخنا وثقافتنا · ولكن واقعنا الآن على خلاف ذلك فلا زلنا في حياتنا الفكرية ومفاهيمنا وحياتنا الاجتماعية اسراء التقليد وتلاميذ خاضعين مذعنين لسادة الفكر والمجتمع في الغرب وكأننا نريد في مسيرنا وتطورنا أن نكون نسخة ثانية طبق الاصل لاحدى الدول الغربية ومجتمعاتها ظانين بذلك أننا نحل مشكلاتنا والحقيقة أننا بذلك نفترض أن الحياة البشرية كالجوامد لا ذاتية لها واننا نخطىء الحساب فالدول والمجتمعات التي نقلدها ونسير وراءها لا تقف تنتظرنا بل تسير في طريق خاص بها فسنكون مسبوقين خاسرين للصفقة ·

ولنلق نظرة على حياتنا الفكرية لنتبين مدى هذه التبعية والتقليد ولنطرح من الحساب العلوم المحضة التي لا تختلف من أمة الى أمة كالرياضيات والكيمياء والفيزياء ولننظر في العلوم المعنوية والانسانية كالفلسفة والتاريخ والآداب والحقوق فهل يختلف انتاجنا ومؤلفاتنا في هذه الناحية عن الانتاج الغربي أم أننا لا نزال اذا استعرضنا كتابا من الكتب الجامعية في الفلسفة او الحقوق او الادب او اللغة نلمح من ورائه غالبا كتابا معينا أو كتبا من مؤلفات الغربيين ومنتهى ما يصلوا اليه الكتاب الجيد من كتبنا أن يكون حسن الاقتباس والعرض والتمثيل مع أن هذه المواد هي التي تختلف فيها نظرات الامم وتتجلى فيها شخصيتها الخاصة وهي المواد التي كانت الثقافة العربية فيها مجلية مبدعة وكان لها فيها سابقة وتاريخ يمكن أن نكمله نحن اليوم · لقد رأيت كتبا جامعية في موضوعات اشتغل فيها العرب كثيرا وبرزوا وكان لهم نظرات لا يزال الكثير منها صحيحا حتى اليوم كتب مؤلفوها مقدمة في تاريخ البحث في هذه الموضوعات بادئين مما قبل الميلاد حتى عصرنا دون أن يكون للعرب ومؤلفيهم وآثارهم أي ذكر وكأن المؤلف الوفي لاساتذته الغربيين لم يعلم عن العرب شيئا أو اعتبر ذكرهم عقوقا لاساتذته ·

ومن مظاهر هذه التبعية التي يجب أن نتحرر منها ما نجده عند بعض الاساتذة والمؤلفين في الاسلاميات ممن سلخوا في التأليف والعمل العلمي سنين طويلة من اكبار للمستشرقين يبلغ حد التقديس والموافقة والتصديق على كل ما يرون ويكتبون بل قد يغار بعضهم عليهم غيرتهم على المقدسات ويتعصبون لهم • سمعت ان استاذا كبيرا غضب لنقد أحد طلابه للمستشرق اليهودي المجري جولدزيهر وانه ثار لانتقاد مستشرق فرنسي كبير فتمنيت أن تكون هذه الغضبة لتراثنا وعقائدنا حينما يهاجمنا اولئك المستشرقون ويطعنون فيها لقد عرفت عددا من المستشرقين ولازمت ثلاثة من كبارهم في جامعة باريز فرأيت أكثرهم ضعيفي الملكة في اللغة العربية لا يفهمونها حق الفهم بل قد يقعون لسوء الفهم في أخطاء فاضحة ولم يكن بين هؤلاء الثلاثة الا واحد يحسن العربية ويجيدها أضف الى هذا انهم يصدرون في أحكامهم عن أفكار سابقة ومفاهيم مغلوطة بل قد يعمدون أحيانا الى التشويه وخيانة العلم • اعرف مستشرقا فرنسيا ترجم القرآن الكريم فغير ترتيبه المألوف وزعم أنه ترجمه بعد ترتيبه ترتيبا تاريخا وأساء فهم كثير من الآيات الواضحة وأدخل في صلب آياته قصة الغرانيق ثم عنون ما ترجمه بعنوان (القرآن) • لقد كان المستشرقون يمتازون عنا بثقافتهم العامة الواسعة وغزارة مراجعهم ومناهجهم في البحث اما اليوم بعد ان اتسعت آفاق الثقافة عند الكثيرين منا وأصبحت المراجع في متناول أيدينا فاننا نفضلهم بملكة اللغة وحسن فهمنا للحوادث وسلامة نيتنا من الاغراض الخبيثة وهذا كله لا يمنعنا من أن نستفيد بحذر شديد من نتاج أبحاثهم ومراجعهم ولا ينافي ذلك أن المستشرقين أنفسهم متفاوتون في حسن فهمهم وسلامة نواياهم وانه وجد فيهم ولا سيما من المحدثين من هم أقرب الى سلامة النية وحسن الفهم والتجرد ولكنهم قليلون جدا •

ومن مظاهر التبعية الفكرية عدم استعلاء اللغات الاجنبية في بعض النفوس وتوهم العجز في العربية فان من العار الذي يجب التخلص منه في البلاد العربية التدريس باللهجات العامية ولا سيما في المرحلة الثانوية والجامعية في جميع المواد وان من المخجل أن تبقى كثير من الكتب العلمية محشوة بالالفاظ الاجنبية التي يمكن الاستغناء عنها بسهولة او بقليل من الجهد وان من الغريب ان تهاجمنا هذه الالفاظ الاعجمية حتى في كتب النحو واللغة والادب فلا نجرؤ على التخلص منها ولا نهتم لذلك حتى سرى في نفوس بعض المثقفين وكثير من الطلاب الشك في صلاح اللغة العربية للحياة وقدرتها على الوفاء بحاجات العصر والحقيقة أن الامر كله راجع الى شعورنا بالنقص والضعة او اعتزازنا بأنفسنا واعتدادنا بما عندنا على أن يكون هذا الاعتزاز والاعتداد مبنيا طبعا على أسس عقلية علمية مدروسة لا على مجرد العاطفة •

ان روح الاعتزاز هذه قد توجد عند العامة لسلامة فطرتهم أكثر مما توجد عند المثقفين ولكنه اعتزاز عاطفي غير واع وحاجتنا الى اعتزاز يدعمه الوعي والادراك والقدرة على البناء •

ان هذه التبعية للغرب ظاهرة كذلك بل طاغية طغيانا عاتيا على حياتنا العملية وعاداتنا الاجتماعية في البيت والاسرة وفي السوق والمجتمع وعلى سلوكنا وقد أثرت تأثيرا كبيرا في مفاهيمنا ونظراتنا الى الحياة حتى أحدثت في كثير من الاجيال أزمة وتنافرا بين معتقداتنا الموروثة حتى الصافية الاصيلة منها وهذه العادات والمفاهيم الدخيلة الغازية •

لقد ثرنا في القرن الماضي على الجمود الذي كان مسيطرا في عصر الانحطاط وثرنا بعد ذلك على الاستعمار والتبعية السياسية ونحن الآن في حاجة الى ثورة جديدة على التبعية الفكرية والعجمة والشعوبية في تفكيرنا ولغتنا وعاداتنا • لقد نشأ نوع جديد من الجمود هو الجمود عند مرحلة التقليد التي يجب ان نتجاوزها • يجب ان نثور على هذا الجمود الجديد، وهذه الرجعية الجديدة التي تمنعنا من التقدم لمعرفة ذاتيتنا واكتشافها والتحقق بها والاستقلال بسياستنا الفكرية والحضارية •

ان لشخصيتنا العربية معالم قوية واضحة واتجاهات انسانية رائعة تجلت في العصر الجاهلي في مكارم الاخلاق والدفاع عنها وتوارثها ، وتجلت في الصعيد المشترك بين الديانتين السماويتين الكبيرتين المكون من عناصر الايمان بالله والحياة الخالدة والقيم الخلقية والروحية ، وتجلت في مبادىء الاسلام الذي أصبح بالنسبة الى جميع العرب على اختلاف أديانهم تراثهم القومي وثقافتهم المشتركة والجو النفسي والفكري الذي يعيشون فيه (الى جانب كونه دين المسلمين جميعا) ان التحرر من هذه التبعية وبعث معالم الشخصية العربية والقيم الانسانية والروحية العظمى المتصلة بها لا تمنع من الاستفادة من غيرنا فحيادنا في هذا الميدان حياد ايجابي لا سلبي كما هي حالنا في ميدان السياسة فلنساير الثورة التحررية وخطة الحياد الايجابي في ميدان الفكر ونثر على العبودية والتبعية لنثر على القيم المزيفة وعلى الاسس التي قامت عليها حضارة الاستعمار والحضارة المادية في شتى صورها وأشكالها ولنفسح المجال لانسيانيتنا الرائعة وحضارتنا الانسانية بقيمها الخلقية وجذورها الروحية وثمارها العملية والفكرية ولنكمل رسالة اسلافنا ولنكن الطليعة التي تبني لنفسها وللانسانية حضارة المستقبل المثلى •

محمد المبارك

من ذكريات رمضان

بقلم : الدكتور صالح الأشتر



« لو علمت أمتي ما رمضان ، لتمنت أن يكون كل عمرها رمضان ! » حديث يحفظه أفراد أسرتنا جميعا ، ولهذا لم يكن شيء أحب الى الاسرة من رمضان ، على الرغم من وطأة الجوع التي تؤذي المعدات الصغيرة الملتهبة ، والعذاب المضني الذي يعصر قلوب الصغار ، من أذان العصر الى أذان المغرب من كل يوم ، حتى اذا غربت الشمس ودوت طلقات المدفع تبيح للصائمين أن يفطروا ، لم يمد أحد منا يده الى المائدة ، فهناك دعاء مأثور لا بد من تلاوته !

وعندما يرتفع صوت سيد الاسرة بدعائه المأثور تكون عيوننا الصغيرة القلقة مسمرة على المائدة وما فوقها من ألوان الاطعمة ، وألسنتنا الجافة تتلمظ ، وهي تردد في عجلة كالضجر ، ما ينطق به السيد من دعائه فقرة فقرة :

« اللهم اني لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، وصيام الغد من شهر رمضان نويت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ٠٠ اللهم ياواسع المغفرة اغفر لي ! اللهم ياواسع المغفرة اغفر لي ، اللهم ياواسع المغفرة اغفر لي »

وما نكاد ننتهي من ترديد الفقرة الاخيرة من الدعاء، حتى ينفتل السيد عن المائدة شيئا لينصرف الى لفافته فيقضي من تدخينها أربا ، وتسنح الفرصة للايدي الصغيرة ، فتتسابق الى المائدة ، في مرح صاخب تقطعه عودة السيد الى المائدة ، وهيبته تسعى بين يديه ، فيسكت الصغار عن حديثهم ، وتقبل السيدة الوالدة على رجلها ، تؤثره بالمختار المفضل من كل لون ، وفي حركاتها اضطراب يفضح قلقها ، ذلك أنها تريد أن تفوز من السيد - والسيد ذواقة لا يكاد يرضى عن جودة طعام ! - باعتراف صريح يشهد لها بجودة ما طبخت وأعدت في يومها ، ولا بد للسيد من أن يعترض - كعادته - على زيادة في ملح هذا اللون ، أو زيادة في انضاج ذلك اللون ، قبل أن يستجيد شيئا ، وعند ذلك يفتر ثغر السيدة عن ابتسامة راضية تنسى معها جميع أتعاب يومها ، وتلتفت الى صغارها ، وهم جادون في ملء بطونهم الخاوية ، فيستخف بها حنان أم رؤوم ، يفيض من قلبها الكبير عليهم ، فيحسون بدفئه ، وينعمون من نظراتها بعطف لم يتعودوا مثله من السيد أبيهم !

كان (طبق) السيد المفضل في كل يوم من أيام رمضان واحدا لا يكاد يتغير ، فالسيد مغرم بالثريد باللحم ، يؤثره ساخنا ملتهبا تضج في الانوف رائحة توابله ، والى جانبه قطعة أو قطعتان من (الكبة النيئة) وملعقة أو ملعقتان من (المحمرة) ! فان زاد السيد شيئا فتلك لقيمات من ألوان أخرى ، يتناولها في زهد مكظوم ، ليجامل بها السيدة وما بذلت من جهد في اعدادها ٠٠ هذا كل طعام السيد ، أما الاشربة ، وفي مقدمتها الماء وعصير الليمون أو البرتقال ، فالسيد لا يقتصد في تناولها اقتصاده في طعامه ٠٠ ألا يعلن السيد دائما أنه لولا الماء والتدخين لصام دهره كله !!٠٠

ويرفع السيد يده عن طعامه وشرابه ، وفي بطنه قرقرة ، وفي فمه تجشؤ ، ولسانه يردد دعاءه المأثور : « ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الاجر ،

اني غدا – ان شاء الله – من الصائمين ! »

وما يكاد السيد ينتهي من دعائه حتى تدب في الدار حركة الوضوء للصلاة ، في استحثاث واستعجال ، فأذان العشاء قريب ، وللمعدات الممتلئة كسل وتراخ قد تضيع بينهما صلاة المغرب ! وما أسرع ما يرن في أرجاء الدار صوت السيد بالتكبيرة الاولى ، ويتلاحق الصغار يأتمون بأبيهم ، ويشمل الاسرة كلها خشوع فياض لا يذوقون مثله في غير رمضان ..

أما صلاة العشاء فتؤدى في المسجد ، ولمسجد الحي في رمضان ذكريات حلوة في قلوب الصغار ، فهو يأخذ كل زينته في رمضان ، فتشع الانوار في كل جانب ، وتتلألأ **الثريات** ، ويغص المسجد على سعته بالمصلين ويكون للقراء في جنباته دوي بالقرآن يلذه الصغار ويأنسون به ، حتى اذا أذن المؤذنون لصلاة العشاء انتظمت الصفوف وتراصت خلف الامام ، وللصفوف الاخيرة أن تجد لها في الساحة الصغيرة أمام المسجد مكانا ، ولهذه الساحة من الطريق أن تلبي حاجة المسجد كلما ضاقت أرجاؤه ، وكذلك يعرف مسجد الحي في رمضان اقبالا شديدا من المؤمنين عليه ، فيراهم في جنباته يصلون فروضهم ، ويتشددون في السنن فيصلونها بجميع ركعاتها ، مؤكدة وغير مؤكدة ، ويزيدون على ذلك نافلة من الركعات ، ايمانا واحتسابا ، وكلهم يعرف القول المأثور : « من أدى في رمضان فريضة فكأنما أدى سبعين فريضة ! » ولصلاة التراويح بركعاتها العشرين طعم حلو لا ينساه الصغار كما لا ينسون ما يتخلل الركعات من أدعية المؤذنين وتسبيحاتهم وابتهالاتهم ، وقد حفظ الصغار عن أبيهم أن صلاة التراويح في رمضان رياضة لا تكاد تعدلها رياضة ، يطرح بها الجسم خموله ، وتستعين بها المعدة على هضم الطعام الكثير المكدس في جوفها ..

ويفوز الصغار بامتيازات لا يعرفونها في غير رمضان ، ذلك أن السيد لم يكن ليأذن لاولاده بالخروج من الدار ليلا ، الا في ليالي رمضان ، فالحي كله لا ينام في الشهر المبارك قبل أن ينقضي من الليل ثلثاه ، وحينذاك يتناول أهل الحي طعام السحور ويؤدون صلاة الفجر ، ثم يستسلم الحي كله للنوم ، هانىء العين قرير النفس ، حتى ساعة متأخرة من النهار !

ويذكر الصغار في كثير من الحنين والحب سهرات رمضان ، فقد كان فناء الدار يشهد في كل ليلة من ليالي رمضان سهرة للسيد وأصحابه تمتاز بسخاء غير معهود ، فرمضان – كما يقول الطيبون جميعا – كريم ، ومن كرم رمضان أن يعد السيد لضيوفه فيه ألوانا من الاشربة والحلوى ، وقد تعود ضيوف السيد الذين يرجع بهم كل ليلة من المسجد ، بعد صلاة العشاء والتراويح ، أن يقبلوا على كل ما يقدم اليهم اقبالا حميدا ، يتخلله ثناء لا اقتصاد فيه على جودة ما يأكلون ويشربون ، ومثل هذا الثناء جدير بأن يملأ قلب السيدة القابعة في غرفة من غرف الدار فخرا واعتزازا ، وقد تحفظ طرفا من الثناء فترويه في غدها لجاراتها ، وكلها تيه وفرح ، وهي تعلم أن أكثر جاراتها على علم به ، بل هن على علم بكل ما يجري في السهرة ، لانهن يشتركن فيها بعيونهن وآذانهن ، من فوق الاسطحة المجاورة ، فيلتقطن كل سر – اذا كانت للسهرة أسرار – ليذعنه من غدهن ، وليس للسيدة أن تغضب لذلك أو تثور ، فللجيران في مثل حينا الشعبي حقوق ، ومن بعض هذه الحقوق اشتراكهم – دون استئذان – في أفراح الاسرة وأسرارها !!

وأجمل ما يذكره الصغار من رمضان الطفولة تلك الفصول الحلوة من سيرة النبي التي يتلوها في السهرة أحد السامرين من أصحاب السيد ، ولا يزال الصغار الى اليوم يذكرون صوته المتأرجح الدافىء وهو يقص أحداثا من حياة النبي ، تهز قلوبهم وتثير شجونهم : فلكم بكت منهم العيون سحاً وهم يسمعون الاخبار عن تعرض النبي لاذى قريش وكيدها وسفاهتها ، ولكم ضحكت منهم الاسارير وهم يسمعون الحديث عن انتصار النبي في هذه الغزوة أو تلك ، وهزيمة المشركين أمامه ، عند ذلك كان الصغار ينصرفون عن التفكير في كل حلوى أعدها السيد للسهرة ، فلا يشغلهم (المشبك) الذهبي اللون ، ولا (القطائف المحشوة باللبأ والجوز) والمغمسة بماء السكر ، ولا (الهيطلية) الرجراجة الغارقة بماء الورد والسكر ، بل تظل عيونهم معلقة بكتاب السيرة المقروء ، وقد تستبد بهم ، كما تستبد بالسامرين جميعا ، فرحة الانتصار في غزوة من الغزوات ، فيضجون وترتفع منهم الصرخات ، وتختلط الاصوات ، حتى يعلو صوت السيد ليقول في رضى وعتب : « ياجماعة صلوا عليه ! » ويردد السامرون – والسامرات فوق الاسطحة – في نفس واحد : الصلاة على النبي ! »

* * * *

ياما أحلى هذه الذكريات ، انها لتعيش حية في ضمائر الصغار ، حتى اذا أصبحوا اليوم كبارا ، ودارت بهم عجلة الحياة في كل درب ، لم ينسوا لرمضان الطفولة ذكرياته الحلوة ، فاستعادوها صفحة صفحة ، لينعموا بما فيها من اشراق الروح وفيض الخير وصفاء الجمال(١)

الدكتور صالح الاشتر

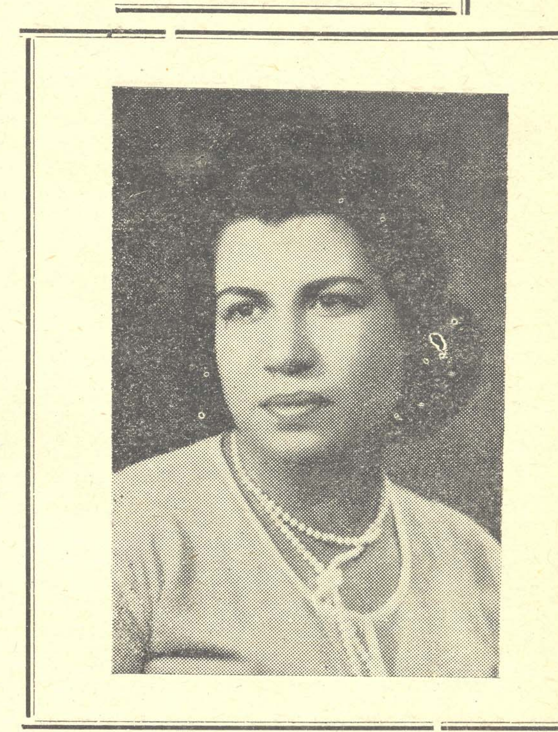
أستاذ الادب العربي بجامعة دمشق

---

(١) فصل من كتاب للمؤلف بعنوان « اسلاميات » يصدر قريبا .

جول سوبرفييل

بقلم : زكية الصوفي



ولد (سوبر فييل) عام ١٨٨٤ في مونتفيد يبو ، من أبوين فرنسيين وقضى حياته متنقلا بين (الارغوى) حيث ظل طيلة الحرب ، وفرنسا حيث توفي عام ١٩٦٠ ، بعد أن توج أميرا للشعر خلفا (لبول فور) الذي توفي في ٢٠ نيسان (ابريل) عام ١٩٦٠ ٠٠ غير أن المنية لم تدعه الا أياما يتنعم على عرش ، أبى أصدقاؤه الكثيرون الا أن يربعوه عليه ٠٠

لم يدع (سوبر فييل) بابا من أبواب الادب الا وطرقه : القصة ، الرواية ، الدراما ، المسرح ٠٠ من أجمل كتبه « ولد البحر العالي » ٠ ومن قصصه «عواقب السباق » وهي دراما أخذها المؤلف من « ولد البحر العالي » كتبت بأسلوب يشبه الحديث المقفى ٠٠ أبيات جيدة من الشعر على وزن خفيف ٠٠ شبيهة بالاهزوجة ٠٠ وتدور القصة حول شاب كان يحب الى حد جواده الذي كسرت قدمه أثناء السباق في (أوتوي) ٠٠ فعطف عليه الى درجة أصبح فيها حصانا مثله ٠٠ مربوطا بين خشبتي عربة ٠٠ غير أن حبه الشديد لخطيبته ، أنقذه لحسن الحظ من هذه الورطة ، ومكنه شغفه من العودة الى حالته الاولى كبشر سوي ٠

٠ لنستمع الى (سوبر فييل) يصور لنا هذا الحادث المضحك على لسان شاب :

« حصاني وعصفورتي
أيهما يجعل قلبي أكثر خفقانا ؟
آه ! هل استطيع قبل أن أموت
أن أكون منهما سعادة واحدة ؟
خطيبتي وحصاني
هما فرحتاي على الارض
وكل ما تبقى سيان عندي
بما فيه أبي وأمي »

لنلاحظ كم هو موفق في اختيار بحر أهزوجة الذي يتلاءم الى حد مع لغة هذه الدراما الايمائية الغريبة وصورها الشائعة التي يشتم منها رائحة القرون الوسطى ٠٠ وقد نجحت نجاحا كبيرا على مسرح باريس عندما مثلها منذ ثلاث سنوات (جان لوي بارو) الذي قام بدور الشاب (وسيمون فالير) بدور الخطيبة ٠٠

وكثيرا ما يلجأ (سوبر فييل) في شعره الى الصور فنراه يبعث الحياة في كل ما يجلب انتباهه ويثير دهشته ٠٠ يراقب ٠٠ ويصور ٠٠ ويتأمل ٠

لنذهب معه الى دار الطباعة ٠٠ ولنصغ اليه واصفا ما يراه في قصيدته « حروف المطبعة »

« هنا يجري عمل حشرات الطباعة
تلك التي تستطيع أن تقول لنا كل شيء
باحتكاكها بعضا ببعض
وما أن تبدأ عملها ، حتى ينشأ
حادث ، سرقة ، حرب
هي مستعدة لاي شيء
تتناول الحديث بصمت وتتكلم عاليا للعيون
مستعدة لتعطي الحياة والموت للالوف من النسخ
قبل أن تعود الى علبتها حيث تنسى ما قالته

ولا تعود تفكر بشيء
حتى ولا بيد الرجل
الذي أيقظها من نومها . »

واشتد خياله الى درجة أصبح فيها مصورا من نوع فريد :

« رجل يروح ويجيء
فكرة تصبح هرا
وأخرى تصبح كلبا
مستعدين للقتال
هوذا الرجل محاط
بمجموعة من الحيوانات
الحيوانات المفترسة هي هنا
تأبى أن تتنازل
وحده ببغاء
مخبئا كلماته المزيفة
يفتش عن بعده الحقيقي
ويبقى فريدا على رصيف
البراءة المسكينة . »

غير أن خياله ليس ببعيد ، فأننا ندرك بسهولة ما يريد قوله .

وفي آخر كتبه : « جسد المأساة «

نرى الشاعر يبحث عن فكرته .. المحاطة دائما بغيوم لا يستطيع التحرر منها ، ليتكلم فيه عن هروبه الدائم .. فنراه يعدو وراء صوره ، وأقباس النور التي تضيء ليله بين حين وحين .. يتناول (سوبر فييل) في كتابه هذا ، المشاغل الميتافيزيكية ، يتناولها على طريقته ، برفق .. بسؤال يزداد قلقا ، لانه لا يتلقى جوابا مطمئنا :

« اقترب الاله مني : انه يقترب .. ويبتعد .
وبقينا نحن الاثنين نتناقش . »

ثم يقول :

« من أنا في الظل الاناني
حتى أعامل معاملة الند للند
هذا الاله الذي فجأة يقاومني ؟ »

فيتجلى في كتابه هذا ، تخبط المخلوق باحثا عن الخالق .. حركة دائمة من المد والجزر تحمل الشاعر الى ضفاف يرى فيها بعض الهدوء الذي لا يخلو من شك ، وتعود به الى هذا الليل الساهر حيث يسأل أبا الهول ، الصبور ، المنصرف لآلامه ومشاغله :

« هذا الوجه الارق
الذي ينظر الي في قفصي
ليرى كيف يتألم وجه
شاك ، كبير كاسيا . »

ولهذه الكآبة الشخصية ، كآبة رجل أمام الموت ، يضيف (سوبر برفييل) قلقا جديدا ، قلقا جماعيا .. فيقول :

« هذه القنبلة هدمت كل شيء
حتى ملائكة السماء
ودون أن ترسل صوتا
الا كنحلة تصنع عسلها . »

ولنستمع الى (سوبر فييل) قبل أن نختتم دراستنا عنه ، لنستمع اليه في احدى قصائده غير المنشورة :

المساء

« المساء المنتشر على الارغوى
يحلم ببلد مملوء بالفجر
يرسل قمرا كبيرا
مرتويا من الكواكب واحدا بعد الآخر
وتحت تحليق الطيور الدائم
فتشت عن نفسي في الريف
بين الاعشاب وحفيفها
ظل أسقطه صوت طلق
صوت ! انحنيت ونظرت
عار في الليل اللطيف
والعشب المرتفع ، جسد ملقى
لقد قتلت نفسي دون انتباه .

الشهيد

عمر البيطار

عاش ، ما عاش رجلا وقضى حين قضى : شهيدا

شعر : نديم محمد

كوب الشهيد ، من اللظى المشبوب فاشرب ، ودع لسواك : فضل الكوب
سفه الزمان غفا ، وأيقظ معشرا تركوا عجيب الحكم ، غير عجيب
وأدوا الكرامة ، واحتموا بقميصها وأتوا عليه ، بالدم المكذوب
يسع الحياء الناس ، الا قابعا في الوحل ، يمسح وجهه بالطيب !

★

آمنت بالظفر المخضب وجهه ، وغسلت في ريا الخضاب : ذنوبي
وكفرت بالنصل الرحيم ، يسومه : جرح الكمي ، مذلة المغلوب ..

★

أطعم يمينك ، للهيب ، عداوة ، وانظم شمالك ، في نيوب الذيب .
واضرب جبين الشمس ، ان تأنس به ، كبرا عليك ، بأبيض مشطوب
حق الشهادة ، أن تجر ذيولها ، حمراء ، بين تنوفة ، وكثيب ..
والمجد ، أفتن ما يكون قنيصة ، علقت بحمر مخالب ، ونيوب
والموت ، عارية الجهاد ، فردها بيد الكريم السمح ، رد طروب

★

للامس ، في عيني ، صورة أشمط فحل ، حديد الشكتين ، صليب
يبلي ، بلاء الليث عن أشباله ، ويعف ، عند تخطف المسلوب
لبى نداء السيف ، يمسح غمده ، ومشى ليوم ، في الزمان ، عصيب
والموت ، بين مقدم ، ومؤخر ضرب ، من التصعيد ، والتصويب
وغلائل الصحراء ، كل نقيعة بدم ، على ظمأ الرمال ، حبيب

★

هيهات ، من خلق الفحولة ، غضبة هدرت ، وقرت في فم المحروب
والعار ، من رصد الخطوب ، لعائذ متوجس ، من يومها المرهوب
تفنى الشعوب ، وتسترد حياتها .. بمجرب ، ثبت الجنان ، مهيب
مر الشكيمة ، أن يهز قناته هطلت ، بصوب قبائل ، وشعوب

نشيد الانشاد

بقلم : سعد صائب

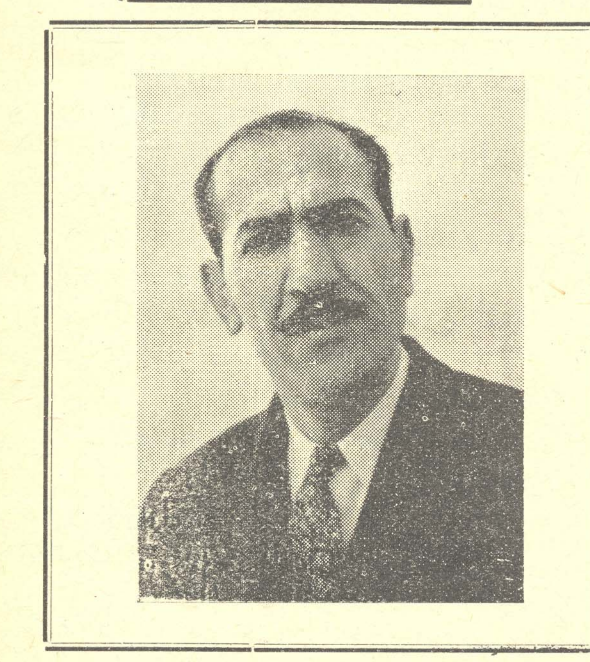
عاطفة ، تصوير ، تجربة ، موسيقى (١) !

تلك هي اللوحة المشرقة التي رسمها لنا بريشته الشاعر « عمر النص »في مسرحيته اليتيمة « نشيد الانشاد » التي ختم بها ديوانه الانيق « الليل في الدروب » ٠ وان الناقد المنصف ليجد نفسه في موقف الدهش والحيرة أمام أروع المعاني ، وأبرع الصور ، وحيال أسمى تجربة عاطفية سجلها الشاعر في تعبير فني مموسق ، يزخر بالجرس والرنين ، ويعج بالحياة والحركة تترادف جميعها وتتالى لتترك في ذواتنا ظلالا زهوة حلوة تفعل فعلها فينا وكأنها ضرب من التأثير السحري ، حاول الشاعر جاهدا ، بما له من قدرة فائقة ، ان يبدع ـ الى حد ما ـ لونا من المسرحية جديدا في أدبنا المعاصر ، بناه على فهم سليم لاغراضها ، وانشأه على دراسة عميقة لمقوماتها ، ولست مغاليا اذا قلت انه بمحاولته هذه كاد يكتشف الينبوع أكثر في لغة المسرح ودقته واتقانه ونقائه ، دونما ضجيج وصخب ، او قسوة وطغيان على تلك الاغراض والمقومات التي نراها ماثلة بوضوح لدى أغلب الشعراء الذين الفوا للمسرح مستلهمين التاريخ والواقع ، اذ جاءت مسرحياتهم مغايرة أشد التغاير لطبيعة المسرح ، مخالفة لروحه ، متباعدة عن دقته وفنيته ٠

ونخال أن ثقافة الشاعر « عمر النص » الموسيقية ، واطلاعه الواسع على الثقافة الكلاسيكية العالمية ، قد اثرا على تصميمه مسرحيته ، فاعطياها هذا الطابع الغريب نوعا في كتابة المسرحيات ٠

وهذه المسرحية تعالج مشكلة الانسان الفنان أمام المرأة التي يجهل هذا الانسان ماضيها الذي لم يمتزج بماضيه ، وهي نوع من الدراما أراد بها الشاعر تصوير الحالات النفسية التي تعاورت شخصيتين تاريخيتين هما « سليمان الحكيم » و « بلقيس ملكة سبأ » أثر لقائهما ٠

ولعل النظرية الاخلاقية التي داخلت هذه المسرحية



هي هذا القلق النفسي المتزايد الذي طغى على « بلقيس » اذ تفاجأ باعراض « سليمان » عنها ، وهي التي حملت اليه عواطفها ، واملت أن يبادلها عاطفة بعاطفة لذلك نراها تحاول كشف سر التغيير الذي طرأ على الاحاسيس التي داخلت « سليمان » ولكنها تحار أشد الحيرة من هذا القلق الذي اتضحت ملامحه في موقفه السلبي حيالها ، وهنا يصل الشاعر ـ من خلال احداث المسرحية ـ الى حل لهذه النظرية الاخلاقية ، وهي تصويره الحالات النفسية التي اعتورت « سليمان » و « بلقيس » واظهاره خيبتهما في الحب حين التقيا وواجه كل منهما الآخر !

وفي وسعنا تقسيم المسرحية الى ثلاثة أقسام ، يحاول الشاعر في القسم الاول تصوير عاطفته أمام هذه المغامرة المجهولة التي يقدم عليها والتي يشعر فيها بمقدم حلم ، وموعد مع الاعياد ، كما يبدو في هذا القسم الترقب والاستبشار والتطلع الى لقاء غني شجي ٠

وهذا المقطع مكتوب بشكل غنائي ويكاد

(١) فصل من كتاب « شاعر معاصر » المعد للطبع ٠

يكون افتتاحية في اوبرا غنائية ، يعقبه مباشرة الحوار والحادثة ثم تتسرب المسرحية في النهاية كما أتت معيدة ذلك النغم الاول بعد أن ينقلب الى شيء من الصدى الحزين . يستهل الشاعر افتتاحيته في تصوير لقاء الحبيبين ، والشوق الملح الذي ساور الشاعر والح عليه في هذا اللقاء حيث يقول :

اتومى لي عيناك أم أنا أحلم
شبابك يدعوني وطرفك يلهم
وكفك هذي تطمئن الى يدي
فتزهر جنات وتخفق أنجم
فرشت بأهدابي الطريق فأقبلي
دروبك أعياد ويومك موسم
بعينيك آباد تكاد نجومها
تخوض الي الليل والليل مظلم
يهم بها طرفي فتسأله متى
فيجأر بي شوق وينكرني دم
كأني وقد غرقت فيك نواظري
أحس بحلم في العيون يغمغم
ففي كل جفن قصة استعيدها
وفي كل هدب موعد يتكلم ..
أكاد ألم الذكريات على دمي
وأمسك أنفاسي اذا شهق الفم

الى ان يقول :

لقيتك في دربي فأورق ذابل
وأشرق محزون وضوأ مظلم
وأطرقت لا أدري وقد ضاء عالمي
أتومىء لي عيناك أم أنا أحلم !

ثم يأتي القسم الثاني وهو قسم الحوار في المسرحية ، ويبدأ بمشهد بين « بلقيس » ووصيفتها ، ويبدو من الحوار ان هذا المشهد يقع بعد مضي زمن على لقاء « سليمان » و « بلقيس » وفيه نرى « بلقيس » تضيق بالملال الذي يظهر على سليمان كما نلمس تلك الخيبة التي تحسها بلقيس في سلوكه نحوها ، وفي نظرته الى ما حوله ، فتحاول وصيفتها أن تسري عنها ، ولكن « بلقيس » الذكية الرهيفة الاحساس تدرك أن سليمان يفتش عن شيء ليست تملكه .

فلنستمع الى هذا السؤال الملح تطرحه الوصيفة على سيدتها وهي ذاهلة حيرى :

ترى ما وراءك ؟ اني أحس
بعينيك تتهمان القضا ..
أحس بعاصفة في العروق
ينوء بها طرفك المفتدى

فتجيبها « بلقيس » على سؤالها مستغربة جهلها بهذا الضيق الذي يلح عليها ، وكأنها لم تر « سليمان » وقد أخفى ملاله ، وانكر موعده بلقائها ، وهي التي أقبلت عليه في لهفة وتوق شديدين ما زالت تكابد جواهما ، وتحاول اطفاء اللهب الذي تضرم في أحشائها، فنراها تسوغ هذا الضيق الذي يبدو مرتسما على محياها :

صفية لا تنكري أن أضيق
فقد أشفق القلب مما رأى
أهذا سليمان ! يخفي الملال
وينكر موعدنا ان دنا
كأن على عينيه نظرة
تحاول أن تبلغ المنتهى ..

ولكن الوصيفة لا تقتنع بما أبدت « بلقيس » من تعلات ، فتعاود سؤالها عما يخيفها من موقف سليمان حيالها ، وان الكائنات كلها تفيض ببشائر الرضى والرغبة بهذا اللقاء :

وماذا تخافين ؟ والكائنات
تفيض بشائرها بالرضا
يتيه بك الملك والعنفوان
ويزهى الجلال وتزهو الدنى

فتجيبها « بلقيس » موضحة لها أسباب هذا الخوف الذي طغى عليها ..

خوفها من انطفاء النجوم اذا ما غض ناظره بالهوى ، وهو الذي كانت ذكرياتها تضيء به ، ويطفو نعيمها وتندى رؤاها ..

خوفها من هذه الهوة التي تغتلي بشكوكها ، وتنطق ظلمتها بعجزها عن رد هذه الجفوة التي تعاني مرارتها كلما تطلعت الى عينيه وابصرت شرود احداقه :

أخاف .. أخاف انطفاء النجوم
اذا غض ناظره بالهوى
وكانت تضيء به الذكريات
ويطفو النعيم وتندى الرؤى
وكم مرة راودته العيون
فأنفض جبهته وانطوى ..
يمر فتفرق منه الظنون
وتحذر جفوته ان رنا
وتشرد أحداقه بغتة
فأبصر فيهن ما لا يرى
أرى هوة تغتلي بالشكوك
وتنطق ظلمتها بالونى

ونرى المشهد الثاني وقد جمع بين « سليمان » ووزيره « آصف » ، بدا فيه « سليمان » محير الفكر ،

موزع النفس ، يشعر بقرب المأساة التي ستقع ، كما يشعر بهذا البون الكبير بين حلمه الذي كان يحمله بين جوانحه ، والحقيقة التي تشده الى الارض ٠ وها هوذا يسأل وزيره عن أسباب البقاء اذا كان يجهل لغزه ، وعما يدفعنا الى ان نهيم وراء ظنوننا ، وعن هذاالاحساس الذي نحسه حيال الوجود ، وأخيرا عن مغزى رؤيتنا هذا الوجود الذي يضطرب حولنا ، ما دمنا حيارى تعذبنا حيرتنا ، وما دمنا نشكو الصدى والماء من حولنا قريب ، وما دمنا نجر مخاوفنا في الظلام ونخشى عليها اقبال الضحى ليمحوها بالرغم من معرفتنا لها ، ونكراننا وحشتها ، ولكننا نأبى الا ان نحيا في الظلام ، ونأبى الا أن نعيش المخاوف ، كأنها البلسم الذي يشفي الجراح التي حملناها خلال الدروب الطويلةالتي مشيناها، ولعل مرد ذلك كله الى ان أشواقنا قد غلبتنا على أمرنا ، وابت الا السمو والتحليق صوب النجوم ، تاركةأجسادنا ملتصقة بالارض تفتش فيها عن لذاتها ٠٠ فعلام البقاء اذن ؟ وفيم الهيام وراء الظنون ؟ أفي سبيل الحب ولكم ضاعت فيه أمنياتنا ، وبددناها في رؤاه وأوهامه ٠٠ وعلام ترانا ننزف أدمعنا ، ونعد الوعود من أجل أمرأة كفرت بحبها ونقضت عهدها ؟ ٠

سليمان :

سألتك آصف فيم البقاء

اذا كنت تجهل لغز البقا ؟

لماذا نهيم وراء الظنون

لماذا نحس ؟ لماذا نرى ٠٠

يعذبنا أننا تائهون

نؤم السراب ونشكو الصدى

نجر مخاوفنا في الظلام

ونخشى عليها انقضاض الضحى

حملنا الجراح خلال الدروب

وسرنا نلم خيوط المنى

تحملق أشواقنا بالنجوم

وتلصق أجسادنا بالثرى ٠٠

ألحب ؟ يا ضيعة الامنيات

نبددها في اقتناص الرؤى

أتنزف أدمعنا ٠٠ والعهود

لكافرة ٠٠

هنا يفجأ « آصف » بالنبأ فيعجب لهذا التغير الذي طرأ على سيده ، فيبادره توا بالسؤال عما حمله على هذه الجفوة المباغتة ، وعما الجأه الى أن يكفر بلقاء « بلقيس » وهو الذي حمل لها بين جوانحه ما حمل من غرام مشبوب ، ومن حرقة وظمأ الى لقائها ، فيثور « سليمان » متهما « بلقيس » بالفراغ سواء في عينيها او في قلبها ، او في وجودها كله ، ولكنه مع ذلك يحس ان قلبه ما انفك مرتبطا بها بالرغم من كل ما يراه فيها وما يلمسه منها ، وبالرغم من هذا الموقف الذي وقفته كأن لها ثأرا تريد تحقيقه ، وكان حريا بآصف أن يبدي دهشه ، وان يطرح سؤاله على قلب « سليمان » المخدوع ، لا على « سليمان » المتعب الذي تنوء الطريق به ان مشى ٠٠ وليته سأل هذا اللقب كيف اطمأن — من قبل — فوشى الدروب وزان الربى ؟ وليته سأله كيف اغرى «سليمان» بحمل « بلقيس » في عروقه وراح يسمع نقلتها في حشاه :

سليمان :

سل القلب آصف كيف اطمأن

فوشى الدروب وزان الربى

لقد عشت أحملها في العروق

وأسمع نقلتها في الحشى

وهأنذا متعب ٠٠ متعب

تنوء الطريق به ان مشى

أراها ٠٠ فأنكر هذا الفراغ

بعينين تدعيان الهوى

وأنظر في وجهها ٠٠ في العيون

فتنكر أحداقها ما أرى

وأخنق فوق فمي نزوة ٠٠

فيصرخ بي فمها المشتهى

ألم ترها ترقب النيرات

كأن لها ترة في السما ٠٠ ؟

وحين يلتقي « سليمان » « ببلقيس » في المشهد الثالث تحاول بلقيس جاهدة أن ترغم « سليمان » على الاعتراف بهذا الاخفاق الذي مني به ، وان تجعله يبوح بخيبته التي أحسها تجاهها ، وبأن اللقاء الذي كان يحلم به كان لقاء خاسرا ، وهنا يعترف « سليمان » بأنها كانت عنده أكبر من كل شيء ، وانعم من كل شيء ، وأغلى من كل شيء ، ولكنه يأبى ان يستهين بهواه الذي كان في قلبه ، وهو هنا متردد يحس انه ما يزال يحب هذه الانسانة ، ولكنه لا يستطيع أن يقبلها في وجوده :

بلقيس :

سليمان ما بك ؟ ان الشكوك

ترنق في ناظري الفضا

شفاهك تشرق بالذكريات

وتعثر بالحلم المجتبى

وعينك متعبة تطمئن

اذا أطبقت وحدها في الدجى

وتؤثر أن نلتقي في الظلام

كأنك تخش شعاع الضحى

سليمان : أحبك بلقيس .

بلقيس : قل ما تشاء

فطرفك يشفق مما روى

هنا في عيونك ..

سليمان : ماذا ترين ؟

بلقيس : أرى الشك يحدجني .. والأسى

أخنت خيالك ؟

سليمان : ماذا أقول ..

لقد كنت غيرك ..

بلقيس : ماذا جرى ؟

ألم أك حلمك قبل اللقاء ؟

سليمان : فديتك بلقيس ..

بلقيس : يا للغبا ..

وهكذا ظلا في تجاذب ملح ، وعتاب مرير حول البواعث التي بعثرت دنيا حبهما فأدمتها ، وحفرت فيها هوة تاهت روحاهما في ظلمتها ، وأنكأت جراحهما ودفعت بكليهما الى الارتياب والشك ، ولكن ثمة ظمأ يكوي قلب « بلقيس » بالذات ، فيشرق فمها بسؤال يمزق حجب هذا الشك ، فتصيح مستغربة ملتاعة أيكره ماضيها ؟ فنحس من جوابه أن الانسان فيه قد ثار ، وأن الرجل الذي كان يختبىء وراء العاشق والشاعر والمفكر والفنان قد ظهر ، فهو يغار من الذكريات ، ويكره كل يد غاصت أناملها في شذاها ، ويعذب ذاته بتخيل « بلقيس » ملقاة على وساد ضاج وقد أكب على فمها العنبري انسان آخر .

فلنستمع الى هذا الحوار الذي طاش فيه الهوى وترنحت كأسه ، وجفت خمره ، ولنرقب هذين الحبيبين وقد اجترأ الدهر عليهما ، وغالت يده حبهما فأنكر كل منهما على أليفه موقفه المفاجىء :

بلقيس : أتكره ماضي ؟

سليمان : لا تذكريه

فاني أخاف انقضاض السما

هو السم تشقى به المقلتان

وتكوى العروق وتعيا الرقى

أغار أغار من الذكريات

وأنكر وسواسها في الكرى

وأكره كل يد هدهدتك

وغاصت أناملها في الشذى ..

ألم ترسلي في المساء البليل

جدائل يعبدها من رأى

وألقيت رأسك فوق الوساد

فضج الوساد وجن الدجى

وضاق بحرقته ظامىء ..

فهم بعينيك حتى ارتوى

أكب على فمك العنبري

فروى الغليل وبل الصدى ..

وتثور « بلقيس » ثم تحاول أن تطمئن « سليمان » وأن تعود به الى الساعة التي يعيشان فيها ، ولكنها تحس بأنها تحاول عبثا ، ويحس هو عند ذلك بأن طريقيهما قد اختلفا الى غير رجعة ، وحين تنذره بالبين نراه يلقي برجائه الاخير أن تبقى وان لم يقتنع بهذا الرجاء ، ولكنها تعود الى عزتها الملكية فتعلن أنها مسافرة :

بلقيس : أنا .. أم خيالك ضل الغداة

فراع النجوم وداس السنا

سليمان ! قل لي متى نستريح

فنسلو الدموع ونطوي الاسى ؟

سليمان : أقول ؟ وماذا يقول الربيع

اذا روعته رياح الشتا ..

طريقك يوغل خلف القفار

ودربي يرود بي المنتهى !!

بلقيس : صدقت سليمان ..

سليمان : هل تغفرين ..؟

بلقيس : أأملك بعدك غير الرضا ..

أنا في الذهول ألم الوعود

وأحضن كل خيال سرى

أغض الجفون على دمعتين

وأشمخ هازئة بالبكا ..

وقصرك هذا الذي تدعيه

وتقنص منه ذيول السما

سأتركه في غد .. في الصباح

سليمان : فديتك لا تؤذني بالنوى

برغمي أنك في ناظري

بقية حلم ورؤيا هوى ..

أتبقين بلقيس ..

بلقيس : رد العزاء

فلست أبالي أفول الرجا

سليمان : أنا تائه أتعبته الظنون

وضاق الطريق به والتوى

أردتك فوق المنى والخيال

فألقيت بي في السفوح الدنى

وغم علي الفضاء العريض

فماذا أقول

بلقيس : الى الملتقى ..!

وهنا يأتي القسم الثالث من المسرحية ، وهو رد عاطفي وفني على الاستهلال الذي أجراه الشاعر في بداية مسرحيته ، حتى أنه احتفظ بنفس البحر ، ونفس القافية ، كي يصور هذه الردة التي تمثل انقلاب الحلم الزاهر الى

مأساة واقعية . واننا نجد « سليمان » وقد انصرف في طريقه بعد أن سافرت « بلقيس » يعيش مع ذكرياته ، ويئد أشواقه ، ويمضي الى غير غاية وهو يحلم بهذا الافق البعيد البعيد ، يضيق بعالمه ويغرق في مبهمه :

تركتك في دربي فأخفق موعد
وأجهش اشراق وأقفر معلم
وأطرقت لا أدري وقد ضاق عالمي
أأنت وراء الافق أم أنا أحلم !

وبعد .. لقد حاول الشاعر « عمر النص » في هذه المسرحية أن يحل نوعين من المشاكل :

أولا : المشاكل التكنيكية لكتابة المسرحية الشعرية .

ثانيا : المشاكل الفنية التي تتعلق بشكل الحوار المسرحي .

ففي المشاكل التكنيكية جرى « شوقي » و « عزيز أباظه » وجميع الذين كتبوا مسرحيات شعرية عربية على المزج بين البحور والقوافي في نفس الفصل ، وفي نفس المشهد أيضا ، حتى أن القارىء يضطر مرغما الى الانتقال بين بحر وبحر ، وقافية وقافية في كل بيتين أو ثلاثة أو عشرة ، وقد أدرك « عمر النص » في مسرحيته « نشيد الانشاد » أن هذا الشكل من الكتابة يذهب بالطابع المسرحي للشعر ، اذ أنه يضيف الى الحوار تقلبات فنية تبعد به عن الواقع ، كما أن استعمال القوافي يجعل القارىء أو السامع يقف عند آخر البيت أمام روي فخم فينسى أن الحوار لم يتم بعد ولذلك يفقد الحوار واقعيته المسرحية .

ولقد حاول « عمر النص » في هذه المسرحية أن يقصر الحوار على بحر واحد وهو « المتقارب » فكتب جميع حوار المسرحية فيه . ثم حاول أن يحل مشكلة القافية فهرب من القوافي الضاجة الرنانة ليكتفي بقافية خفية لا تكاد تحس وهي « الياء المقصورة » التي لا تقف أواخرها أمام تدفق الحوار واستمرار الجمل الشعرية .

أما مشاكل الحوار الفنية فتتعلق بثلاثة شروط يجب أن تتوفر في الحوار الشعري وهي :

أولا : واقعية الحوار البسيكولوجية : ومعنى هذا أن هذه الكلمة أو تلك يمكن أن تقال في هذا المشهد أو لا يمكن . وقد كان أكثر الشعراء الذين يعالجون المسرحيات الشعرية يسهون عن دراسة بسيكولوجية الموقف ، فيتركون لابطال رواياتهم أن يتكلموا بشكل لا يمكن أن يحدث في الواقع المعاش في نفس تلك الظروف النفسية .

ثانيا : واقعية الحوار المسرحية : ذلك أن بعض الكلام ، أو بعض الاحداث يمكن أن تقع على خشبة المسرح أو لا تقع ، ولذا يجب دراسة كل كلمة تقال في الحوار من حيث صلاحيتها لو مثلت على خشبة المسرح .

ونعتقد أن دراسة شاعرنا للفن المسرحي ، وثقافته المسرحية وادمانه على حضور المسرحيات التي كانت تمثل في باريس ولندن أعطاه احساسا بالحاجة المسرحية لم تتح للذين عانوا هذا الفن .

ثالثا : أما الشرط الثالث فهو هذا الحوار الواقعي في بسيكولوجيته ، الواقعي في شروطه المسرحية ، والذي يجب أن يبقى شعرا ، وشعرا جميلا أيضا . وكان على شاعرنا أن يعنى بانتقاء ألفاظه ، وأن يبقي الحوار على ذلك المستوى الشعري الرفيع الذي عودنا اياه في غنائياته .

وثمة نواح أخرى في هذه المسرحية جديرة بالملاحظة ، وهي أن الشاعر اكتفى بشخصيتين تاريخيتين ركز عليهما اهتمامه ، وابتغى تصوير خيبة الحب من خلال موقفيهما ، ولقد ظل متشددا على الحادث الرئيسي دون أن يدخل حوادث ثانوية بجانب ذلك الحادث ، أو يدخل بعض المفاجآت في سير مسرحيته .

وليس يكفي أنه أفسح مكانا لشخصية « آصف » وزير « سليمان » أو « صفية » وصيفة « بلقيس » لانهما لم يبدلا من سير المسرحية ، ولم يدخلا أي مفاجأة عليها ، وكل ما صنعاه في موقفيهما أنهما ظلا يتساءلان ، واكتفى الشاعر بهذا التساؤل دون توضيح لملامح شخصيتهما ، أو تركيز اهتمامه على سماتهما .. كما أنه ألح الحاحا متزايدا على ابراز ذاتيته بروزا ظاهرا ، ولم يترك لاشخاص مسرحيته الفرصة لكي يتحدثوا بلغتهم الطبيعية ، ويحيوا حياتهم الخاصة ، لان من أولى واجبات الاديب أو الشاعر الذي يؤلف للمسرح « أن يترك جانبا ذوقه ، وأفكاره ، وحتى ما لديه من عقائد لكي يستطيع أن يدخل في روح أبطاله ، وأن يفترض ما لديهم من أفكار واحساسات تتناسب مع مكانتهم الاجتماعية .. وهذا شرط أساسي لكي يستطيع أن يخلق طرازا حقيقيا متنوعا ، لا يكون بمثابة الآلة المملة التي تردد صوت المؤلف ، لان المؤلف الدراماتيكي يعتبر مظهرا من مظاهر الفن الموضوعي الخالص ، الفن الذي تكون فيه شخصية الشاعر هي الاقل ظهورا من الشخصيات الاخرى في المسرحية » .

تلك هي المشاكل التي واجهت الشاعر « عمر النص » في مسرحيته « نشيد الانشاد » ولا اخاله يظن أنه استطاع أن يحل مشاكل « المسرح الشعري » حلا نهائيا ، لانه يدرك أن كتابة مسرحية كاملة قد توقع الشاعر في مآزق أخرى لم يتعرض لها في مسرحيته القصيرة .

ومهما يكن من أمر فانه أعطانا في هذه التمثيلية نموذجا من أنجح نماذج الحوار الشعري ، وأملنا كبير أن يطلع علينا بمسرحية كاملة تتجلى فيها امكانياته المسرحية وشاعريته الخصبة ، وفهمه العميق للواقع المسرحي !..

دمشق **سعد صائب**





شعر : حامد حسن

رسمك المحتل صدر المكتب
يتوسطن لكي ينزعنه
عاشق الظل ، غبي ... هذه
لم يعاتبني اذا جمشته ! !
قلت للغيرى : اهدئي ، لا تقلقي
أطرد الاشباح منه ، وأرى
انه حقي ! ! أيستغربنه ؟ ؟
أقرأ « الاهداء » أشتف الذي
كلما رددته ، طوفت في
في دمي جوع ، مخيف ، مرعب
وأنا رعشة كف خاطىء
زارعا عيني – يا عيني – في
رف فيه ألف نيسان ، وفي
في فم ماج لهيبا ، كلما
في تراءي خصل الليل على
في مدى عيني نبي شاعر
نفض الرسام في جفنيهما
في شريط أسود من مخمل
من رأى طاقاته الصغرى رأى
تائها في فتنة لا تنتهي

كلما ناجيته .. يسخرن بي
من يدي ، أختي ، أخي ، أمي ، أبي
بدعة ... ما كل ذي وجد غبي
واذا قبلته لم يغضب ! !
معبد النجوى .. وان شئت اذهبي
كل ظل غير ظلي أجنبي ! !
هل غدا الحق من المستغرب ؟ ؟
فيه مكتوب ، وما لم تكتبي
موسم من أمنياتي ، طيب
هادر ... يا للمخيف المرعب
تسأل الله ، وعينا مذنب
ثوبك المخضوضر ، المخضوضب
كل شبر ألف مهوى كوكب
عبر الشوق به صاح : اشرب
ملعب القرط ، ودون الملعب
يسرق الاحلام من عيني نبي
حرد الدل ، وجهد المتعب
دار بالصدر ، وبعض المنكب
حول هذا النور بعض الغيهب
فاستبيحي يا عيوني ، وانهبي

حامد حسن

عبرة لمن يعتبر

بقلم : زكي الأرسوزي



في فترة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ دخلت سوريا في تجربة سياسية بعيدة الاثر في مصيرنا ، حينذاك عمت المظاهرات الاقليم باجمعه ، لم يبق مسلم او مسيحي الا واشترك فيها ، من جبل الدروز حتى الجزيرة . وكان شعار المتظاهرين الوحدة والاستقلال ، وعندئذ تظاهرت فرنسا بالاذعان لمطالب السوريين الحقة . دخل ممثلو الدولة المنتدبة في مفاوضات لعقد معاهدة صداقة بين فرنسا وسوريا ، وكان الجمهور يحمل موقف فرنسا هذا محمل الجد ويجهل النية فيما وراء الظواهر .

ولكن ما لبثت الظروف ان كشفت عن قصر نظر محترفي السياسة عندنا ، كانت فرنسا مبيتة النية على فصل لواء اسكندرونة عن سوريا وتسليمه الى تركيا مقابل قيام هذه بحراسة مصالحها في الشرق الادنى ، وكان سلخ اللواء عن سوريا بالطرق القانونية ، يستلزم اعادة قضية سوريا بجملتها الى هيئة الانتداب ، الهيئة التي أوكلت فرنسا بمهام الانتداب . ولم تكن معاهدة الصداقة بين فرنسا وسوريا الا وسيلة للقيام باستفتاء تحت اشراف عصبة الامم يقر قانونيا أمر الحاق اللواء بتركيا .

وهل كان لؤم فرنسا ليقف عند اثارة شهية الاتراك في التسلط على سوريا ؟ أو لم تقم فرنسا وهي على أبواب حرب عالمية ثانية بمحاولة في سوريا مماثلة قامت بها في تونس ؟ كانت أم الحرية استفزت عرب تونس واستدرجتهم لمظاهرات تكشف بها عن ذوى الاستعداد للشغب ضدها وللثورة عليها فتنهي أمرها معهم وهي قوية قبل أن تصيبها المحنة أثناء الحرب فيزول سلطانها نهائيا عن المغرب العربي . وهكذا حرمت فرنسا تونس من خيرة مناضليها .

وكان الامر كذلك مع سوريا . استدرجت أدعياء الوطنية في سوريا الى الحكم وأظهرتهم بمظهر العجز عن ممارسة الاستقلال والحرية واليكم صورة موجزة عن سلوك ممثلي فرنسا في سوريا في سنتي التجربة : طلبت فرنسا من قادة الكتلة الوطنية المتربعين في الحكم الغاء الاحزاب وبتعبير آخر منع كل معارضة قد تناوىء سياسة فرنسا . ولما قال كاتب المقال للمسؤول الاول عن سياسة التعاون بحلب أي ضمانة تبقى لدينا والحالة هذه ضد خطر نكول فرنسا عن عهودها ، أجاب دعي الوطنية انه هو وزملاؤه قد وعدوا فرنسا بذلك وهم يتحملون المسؤولية .

وكانت فرنسا قد الزمت أدعياء الوطنية المتربعين في الحكم بأمر آخر وهو ابقاء الموظفين في وظائفهم ، وهكذا ظل عملاء الانتداب يمارسون أعمالهم بوحي المستشارين الفرنسيين تحت قناع الاستقلال وكانت النتيجة ان تحول جهاز الدولة الى مجموعة من الزبانية يحملون الاهلين على الكفر بالوحدة والاستقلال .

كان الموظفون ، على مسؤولية العهد الاستقلالي ، يتفننون في الاساءة الى الناس ، وكان اعوان فرنسا خارج الوظائف يبالغون في المساوىء حتى حصل جو موبوء لم تشهده البلاد في عهد الانتداب .

وهاك مثالا عن سلطان الوفد المفاوض في ادارة الشؤون العامة : عرض علي (س) وزير الداخلية ورئيس (الكتلة الوطنية) أمر تعييني من وظائف الدولة ، وأنا أجبت على العرض بالشكر على أن يكون أمر تعييني في التعليم أي اعادتي الى الوظيفة التي كنت اعفيت منها ، وعلى الفور أمر (س) مدير التجهيز جودت الهاشمي بتسجيلي في عداد المدرسين عند وضع البرنامج ، ولكن

معالي الوزير ابلغني في اليوم الثاني اعتذاره قائلا ، ان مستشار المعارف يعارض في عودتك الى التعليم ٠

وهاك مثالا آخر عن مغزى التعاون بين الكتلة الوطنية وفرنسا : اوعز مستشار الداخلية « ف » الى وزير الداخلية بتعيين أحد زبانية سياسة الانتداب «ب» محافظا على جبل الدروز وقد زود المحافظ بتعليمات عن السياسة من قبل المستشار وكانت السياسة أن يرجع أحرار الدروز عن غيهم في المطالبة بالوحدة والاستقلال وذلك بالتنكيل بهم وباخضاعهم ، لمشيئة أعوان فرنسا الذين يعارضون الوحدة والاستقلال كانت نفس السياسة تتبع في كل مكان في الجزيرة وفي العلويين ٠٠ ومما كان يزيد الطين بلة تعاون قوى الامن مع « القبضايات » ضد الاحرار ، الاعتداء عليهم في الشوارع وفي السجون ٠ وكانت النتيجة ان لجأ في آخر أيام عهد التعاون رئيس الوزراء وهو ركن من أركان الكتلة الوطنية الى الجيش الافرنسي من أجل قمع مظاهرات الاهلين التي كانت تقام ضده هنا وهناك في شوارع الشام ٠

وهكذا تحولت سوريا الى سديم بعد ان كانت متماسكة والى ذهول بعد ان كانت مندفعة كل الاندفاع في تفاؤلها لمستقبل أحسن ولكن اذا كان عهد التعاون قد جعل الكتلة الوطنية تلفظ أنفاسها فان الكتلويين أنفسهم جنوا ثروات طائلة في ذلك الجو العكر ، ولما أعلن المفوض السامي المسيو « بيو » نهاية العهد والعودة الى الانتداب كان الجمهور السوري قد نفذت قواه ٠ دخلت فرنسا الحرب وتخاذلت جيوشها أمام الغزاة ولما يستيقظ الجمهور السوري من الذهول الذي كان قد أصابه ٠ ومن حسن الحظ أن لاقت فرنسا جزاءها ، جزاء نفاقها في ترددها بين الخصمين حتى أصبحت من سقط المتاع ٠

ونحن ان نلنا استقلالنا فان حقنا في الاستقلال لم نمارسه بعد ٠ ألسنا نحمل مخلفات عهد الانتداب من عقلية وقوانين كما يحمل النقف الضعيف قشور البيضة التي خرج منها ، ذلك ما جعل عهد الاستقلال وكأنه امتداد لعهد الانتداب ، ولكن هل تشبث أحد باستكمال شروط هذا الاستقلال لجعله حقيقة لا يهددها خطر الانتكاس ؟ ان الاستعمار (وان يذعن اليوم لمطالب الشعوب في الاستقلال) فهو لم يزل على الابواب ينتظر ظروفا أخرى ليكر على هذه الشعوب كرته الاولى ، ان التطفل من طبع الانسان ، فمن يتيسر له الاستعانة بساقي رفيقه لا يسير على الارض ماشيا ، وأي ضمانة أعددناها ضد خطر النكسة ، نكسة الاستعمار ٠

وجد الجمهور السوري ـ المصري في وحدة الاقليمين خطوة أولى نحو ضمانة الاستقلال فهلل العرب جميعا لهذه الخطوة ولكن هل قامت محاولات لاستكمال شروط هذه الوحدة ؟ اولم تقم هنا وهناك الاسباب التي تدعو الى الدعاية الهدامة في البلاد ، بل الم تقم المحاولات لالقاء تبعة مساوىء الافراد على الوحدة نفسها ؟ قلت لتلاميذي وكنت أكرر القول في كل مناسبة : ان روح مصر تتجلى في تفاني أهل بور سعيد أثناء العدوان على القنال كما تتجلى روح سوريا في تهليل أهل الشام لاعلان الغاء الكيان السياسي من أجل اقامة دولة عربية تعيد العرب كأمة عظيمة الى موكب الحضارة وان تبدر أعمال من الافراد في مصر او في سوريا دون مستوى المهمة فقد ترجع هذه الاسباب الى اغراض يرمي منها الاستعمار الى عرقلة تطور البلاد ٠ وليس المهم في الامر ظهور أعمال هدامة من قبل خصوم العروبة ، لان الحياة نفسها تحمل معها العوامل المقوضة لها ، بل المهم هو التدابير الوقائية للحفاظ على كيان الدولة ، وأي شيء يقي الدولة من الخطر مثل اشتراك الجمهور في مراقبة الشؤون العامة وتعاونه مع المخلصين من المسؤولين على اصلاح الفاسد وتقويم الاعوجاج ٠ نقدم هنا رايين أحدهما «لبروكلس» ممثل اتينا في عهدها الذهبي والاخر « لمومسن » كبير مؤرخي العصر ، نوضح بهما وجهة نظرنا ٠

فاما الرأي الاول فيكشف عن العلاقة بين قوة الدولة وبين اهتمام الناس بالمصير المشترك العام : « نحن وحدنا لا نعد الرجل الذي لا يهتم بالصالح العام غير ضار فقط ، بل نعده أيضا عضوا غير نافع ، واذا كان نفر قليل منا هو المبدع والمنتج ، فاننا جميعا قضاة عقلاء في الامور السياسية ٠ ان المواطن الاتيني لا تشغله أمور منزله عن الاهتمام بأمور الدولة ، حتى اولئك الذين يقومون بالاعمال التجارية فان لديهم قسطا لا بأس به من معنى السياسة ٠٠ اننا قوم سياسيون ، لا نعد الرجل الذي لا يشارك في ميادين السياسة شخصيا خطرا على المجتمع فحسب ، بل نعده أيضا انسانا تافها في ذلك المجتمع ، وكلنا مندمجون في تيارات السياسة وحتى اولئك الذين تصرفهم مصالحهم عن الاشتغال بها لديهم فكرة واضحة عن سياسة الدولة ٠٠ ان العقبة الكؤود التي تعترض سبيلنا ليست عدم فهم المشروعات التي تحتاج اليها الدولة فنحن نناقش هذه المشروعات ، لكن الذي ينقصنا هو المعلومات التي نكتسبها من جراء المناقشة ، والتي هي عنصر أساسي للعمل ٠٠ ولدينا قدرة عظيمة على التفكير قبل العمل ، ومقدرة هائلة على العمل ٠

وأما رأى « مومسن » فاليك ملخصه « بقدر ما تسمح ذكريات عهد قد مضى منذ أكثر من ربع قرن ، عهد قمت به بتدريس التاريخ ، يقول مومسن في كتابه تاريخ روما بمناسبة الحرب بين هذه الدولة ، وبين

حقل البنفسج

قصة بقلم : زكريا تامر

عاش محمد أعواما عديدة في مدينة صغيرة ، تقبع بذل عند أقدام جبل شاهق ، ترتطم السحب بصخوره الصفراء • وكانت سماء المدينة سوداء على الدوام فهي لا تملك قمرا وشمسا ونجوما • وكانت المصابيح الكهربائية تظل مضاءة في جميع الاوقات •

واستطاع محمد ذات يوم ان يتخيل امرأة تقف محنية الظهر في حقل بنفسج مبلل بالمطر ، وتنتحب بانكسار بينما يلتمع فوقها قمر شاحب •

وبعد أيام قليلة ، أبصر المرأة نفسها تمشي واجمة مكتئبة في أحد الشوارع ، فلحقها كالمسحور ، وتمكن من معرفة مكان منزلها ، وأخذ يحوم حوله باستمرار وكله شوق لرؤيتها •

وكان منظرها يدهشه ويذهله فكأنها غريبة تماما عن الارض والناس ، وقد جاءت من عالم غامض ناء ، وهي تعبر عن عزلتها وغربتها بخطواتها ووجهها الجميل وعينيها الساهمتين •

وأصبحت أمنية محمد أن تنظر اليه المرأة وتبتسم له ، ولكن المرأة لم ترمقه بنظرة في أية مرة فكان محمد يشعر بأنه جورب عتيق مهمل ، فيتشرد عبر المدينة وقد تحول الى قط هزيل يموء مواء حادا •

وتفاقمت أحزانه ، وبدأت تسحقه ببطء وتشف ، فنصحه صديق له بالذهاب الى ساحر اشتهر • بمقدرته الخارقة •

وكان الساحر رجلا ليس فتيا ولا هرما ، ولقد قال لمحمد :

– أستطيع الليلة اذا أردت أن أحضرها اليك وهي نائمة في سريرها • فقال محمد بيأس :

– أريد أن تكون عيناها مفتوحتين •• تنظران الي بود •• أريدها أن تبتسم لي •

فلم تنطلق الضحكة الخبيثة الساخرة من فم الساحر انما تغلغلت في جلد وجهه المتجعد ، وظل فترة لائذا بالصمت ، ثم قال :

– هل تريد ان أحضرها اليك وهي نائمة في سريرها •

فتركه محمد لانه لم يكن يريد جثة امرأة ساخنة• ومشى محمد عبر الطرقات دون هدف ، وكانت الاشجار ذات الاغصان العارية تنتصب حوله كنساء هرمات ، وقادته خطواته الى مسجد كبير ، وكان في داخله شيخ له لحية بيضاء ، تحلق حوله عدد من الرجال ، وكان الشيخ يتكلم عن الله والشيطان •• قال :

بيروس ملك مكدونيا : ان بيروس اراد ان يبني لنفسه مجدا تاريخيا مماثلا لمجد ابن عمه الاسكندر الكبير ، فاتجه نحو الغرب وكانت روما تقابل مكدونيا وجها لوجه وشتان بين ما كان عليه الشرق والغرب حينذاك • كان طغيان ملوك الفرس قد حول شعوب الشرق الى رعاع يوالون كل من اعتدى على العرش فما كان لاسكندر الا أن ينتصر على خصمه الملك حتى تفتح أمامه أبواب الاقاليم من البوسفور الى الهند • غير ان روما كانت في عنفوان شبابها مؤلفة من مواطنين يذود كل منهم عن حياض الوطن كما يذود الاسد عن عرينه • وهنا يبدي مومسن ملاحظة قيمة عن الاختلاف بين البطل والمجازف • كان اسكندر بطلا ، كانت ضربته ضربة معلم ، قامت على تقدير الظروف وحساب النتائج ، لا يكفي للمرء أن يكون حسن النية وأن يكون شجاعا ليسجل اسمه بين الاعاظم ، بل يلزمه العقل والتدبير أيضا ، هذا بينما كان بيروس مدفوعا بطموحه دون الاهتمام بالنتائج ولما يئس بيروس من نتيجة الحرب ضد الرومان اوفد احد خطباء اليونان الى مدينة روما يطلب من مجلس شيوخها المفاوضة من أجل الهدنة ، وعندئذ رد عليه أعضاء المجلس بعبارة مأثورة هي : لا مفاوضة قبل الجلاء : وعندما عاد الرسول الى سيده أبلغه أن هناك في روما لا يوجد ملك ورعية بل مواطنون كل منهم يعتبر نفسه سيد المملكة وصاحبها يدافع عنها دفاع الملك عن ملكه •

زكي الارسوزي

ـ الله هو خالق كل الاشياء ٠٠ وجميع المخلوقات لا تفعل شيئا الا بأمره ٠

فقال محمد لنفسه : اذن يستطيع الله مساعدتي على تحقيق أمنيتي ٠

وقال الشيخ : ابليس عدو البشر ٠٠ انه الشر ٠

وغادر محمد المسجد بينما كانت دماء شرايينه أصواتا تتوسل بلهفة ، وتهتف ضارعة : ساعدني يا الله يا الله ٠

وافترست محمد خيبة فظة حين رأى المرأة مرة أخرى فهي ما زالت تسير شاردة بلا ابتسامة ، ولا ترمق أحدا ٠

فعاد محمد الى غرفته وهو يقول لنفسه : صمتها وتجاهلها لي ٠٠ شر ٠

وعندما أصبح داخل غرفته نادى الشيطان بمرارة وسمع بعد قليل هدير محرك سيارة ، فاقترب من النافذة المطلة على : الشارع ، فشاهد سيارة فخمةسوداء تقف بحذاء الرصيف ٠ وعاودته نقمة قديمة على الناس الذين لا يملكون أياما بائسة ٠ وتراجع كئيبا ، وجلس على مقعد خشبي ٠ وما لبث أن فتح الباب على حين فجأة، ودلف الى داخل الغرفة رجل جذاب الوجه ، أنيق الملابس، فنهض محمد وقد استولى عليه الاضطراب ، ولم يقل الرجل المجهول أية كلمة ، وبقي واقفا دون حركة وسط الغرفة ، فسأله محمد بصوت مرتعش :

ـ ماذا تريد ؟

فابتسم الرجل ، وقال :

ـ أنت ناديتني ٠٠ هل أخطأت العنوان ؟

وقهقه الرجل الغامض ، وقال بمرح :

ـ هل أدهشتك ؟

واتجه نحو السرير ، وقعد على طرفه ، ثم قال متسائلا :

ـ ماذا تريد مني ؟

فقال محمد : هناك امرأة أريد ٠٠

فقاطعه ابليس قائلا بمكر :

ـ اذن هي مسألة امرأة ٠

وأخذ يتأمل محمد بنظرات متفحصة ثم قال له :

ـ أنت لست جميلا ٠٠ أنت لا تجيد التحدث ٠

وأجال نظرة سريعة فيما حوله ، وقال :

ـ وأنت بالطبع لست غنيا ٠٠ أليس عجيبا أن تطلب حب امرأة ؟

فقال محمد بحرارة :

ـ أريدها فقط أن تبتسم لي ٠

وشعر محمد انه ضال في غابات مفعمة بالضباب، وكان يحس على الدوام بأن في دمه أطفالا ٠٠ صرخاتهم مخنوقة ٠٠ ولقد انتظر طويلا ان تبزغ فوق صحرائه انثى تهبه الشمس والعطر والنشوة والطمأنينة ٠٠ سيتأبط ذراعها ويسيران معا بخطى متمهلة عبرالشوارع مستنشقين شذى ليالي الصيف ، وسيتدانى رأساهما تحت المظلة لحظة ينهمر المطر ، وسيذهبان أحيانا الى دور السينما ويجلسان في الظلام متلاصقين كقطين أليفين ٠ وعندما سيسمع ضحكتها سيتمنى لو يذبح على ركبتيها ويهرق دمه على لحمها الابيض الناعم ٠ وستكون فتاة عثرت ذات صباح على عصفور صغير ، هزمه مطر الليل وصقيعه وألقاه على أرضية باحةالبيت٠٠ستحتضن يداها العصفور ، وتمنحانه الدفء والحنان ، وتطعمانه لباب الخبز بكثير من الود ، وسيحبها العصفور ولن ينساها حين تطلق سراحه ليرفرف بجناحيه عبر الفضاء الفسيح ، وسيظل يزورها كل يوم ، ويحوم مزقزقا قرب نافذتها ٠

وتنهد ابليس ، وقال بصوت كئيب :

ـ أنا عاشق أيضا ٠٠ تخيلت مرة أمرأة تقف في حقل بنفسج مبلل بالمطر ٠٠ وتنتحب وفوقها يتلألأ قمر أبيض ٠٠ وشاهدت المرأة ذاتها بعد أيام تطل من شباك منزل ، ولم أستطع أن أدفعها لان تقول لي كلمة واحدة ٠

واكتسى وجه ابليس بقناع اسيان ، وقال محمد لنفسه : هل يسخر بي ؟

وتمطى ابليس ، وتثاءب بصوت مسموع ، وقال وهو يستلقي على السرير :

ـ أنا متعب جدا ٠٠ عملي كثير ٠٠ وابني الصغير ظل يبكي طوال الليل ولم يتركني أنام لحظة ٠

فسأل محمد بتردد : هل لك ولد ؟

ـ أنا متزوج منذ ثلاث سنوات ٠٠ أف ٠٠ شيء متعب أن تكون مسؤولا عن عائلة ٠٠ أولاد ٠٠ زوجة ٠٠ بابا نريد ثيابا ٠٠ بابا نريد كتبا ٠٠ بابا خذنا الى السينما ٠٠ بابا ضربنا أولاد الجيران ٠٠ وأمهم تنظر الى محفظة النقود وتمد يدها قائلة : هات ٠ شيء متعب أن يكون الانسان حيا أو ميتا ٠

وصمت ابليس ، ولم يمض سوى وقت قصير حتى غرق في النوم ٠ ووقف محمد قرب السرير ، يتأمل الوجه الوسيم المتعب ، وامتلأت نفسه بحنو بالغ ، فأمسك بغطاء صوفي سميك ، ورماه فوق جسد الرجل النائم ٠

وأخذ محمد يتجول في جنبات الغرفة محاذرا ان يحدث أية جلبة ٠ وتخيل فجأة جبل مدينته الشامخ ٠٠ محمد سيتسلقه ٠٠ سيبلغ ذروته التي لم تطأها قدم

مجدلية

شعر : خليل خوري

« من كان منكم بلا خطيئة ، فليرجمها بحجر »
« الناصري »

أيها الصل الذي ينسل في غاب الصنوبر
نافثا في عالم الطهر فحيحه
ما الذي أبقيت من طهر الذبيحه
غير أشلاء الغوايات الجريحه ؟

* * * *

مجدليه
ياصرير الشهوات الانثويه
يا ابنة النزوة ، ياجهش العروق المستميته
فوق نيران الطقوس الوثنيه
صلبوا عيسى ، فمن ذا يا شقيه
سيذود الراجمين
عنك يا مجمرة الآثام ، في ليل السكارى الناعمين
بكنوز الكهف ، والارض الشهيه ؟

* * * *

وتصيحين بريئه
جوهري ، جوهركم ، مستنقعي
قاتل السم الذي في أضلعي
من سواقيكم أنا لملمت ماءه



مجدليه
أيها الثغر الذي يقطر خمرا
أيها النهد الذي ينضح جمرا
يا خوابي الدفء في الكهف المسور

انسان .. سيستنشق هواء القمة .. وهناك سيطل من أعلى .. وستكون مدينته مستسلمة لنظرته المفترسة .. وستكون عندئذ كدمية مهشمة .

وأجتاحت محمد غبطة عارمة ، ولكنه تساءل :

— .. ثم ماذا سأفعل ؟

وأدرك أنه لا بد له من ترك قمته والانحدار باحثا عن شيء ما .

وتهاوى محمد على المقعد بينما كانت مخيلته تسترجع حقل البنفسج وامرأته الجميلة الباكية المحنية الظهر .

وفي خارج الغرفة دهست احدى السيارات رجلا وحطمت جمجمته تحت عجلاتها . وبعد هنيهات جاءت سيارة الاسعاف فحملت الجسد المدمى تاركة عظام الجمجمة المتفتتة للزبال جمعها بمكنسته وألقاها في صندوقه الحديدي بحركة متعبة غاضبة .

وكان الناس المتسكعون في الشوارع دائبين على التمتمة بحسد وغيظ لحظة يبصرون نعشا محمولا على الاكتاف :

— ياله من محظوظ .

وكانت سماء المدينة سوداء بلا ضوء .

دمشق — زكريا تامر

من دواليكم أنا قطرت عنقود الخطيئه
شهواتي ، شهوات الوحش فيكم
فاصلبوها في دماكم
تصلبوا في الخطيئه •

* * * *

نهبوك ؟
لا تبالي ! لعنوك ؟
لا تتوبي !
لا تعري ذاتك البيضاء من طهر الذنوب
ان آثامك آثام السكارى دنسوك
لا تتوبي ! هم أرادوك شقيه
هم أضلوك وراغوا
خبؤوا أعينهم عن نظراته
ولووا آذانهم عن كلماته
ولدن طامن فيهم
ظمأ الوحش الى لحم الضحية
خدعوه ! صلبوه ، وأتوك
يطرحون
عار صهيون عليك
يدعون
أنهم فيك يبيدون الخطيئه
يزعمون
أن من مجد البراءه
رجم من خان البراءه
ورمى الناموس والله وراءه •

* * * *

لا تراعي ، ربهم يا مجدليه
غير ربك
دربهم يا مجدليه
غير دربك •
أنت ما خنت البراءه
ما طعنت الله ، ما بعت دماءه
ما تقاسمت مع الهلكى رداءه •

* * * *

وتصيحين بريئه
شهواتي ، شهوات الوحش فيكم
فاصلبوها في دماكم
تصلبوا في الخطيئه •

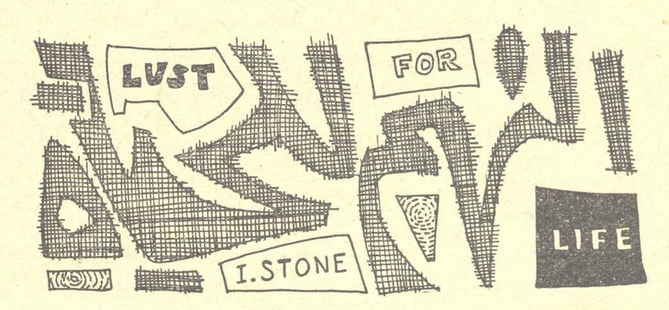
* * * *

مجدليه
لك أبكي يا شقيه
أنت يا قديسة بيضاء في ليل الخطايا
أنت يا راهبة عذراء في هيكل آثام البرايا
جرحينا ، نحن شئناك بغيا
وحرقناك على شهواتنا قلبا نقيا
وجعلناك لادران خطايانا مباءه
يوم عفرنا على مجمرنا فجر البراءه
جرحينا ، أنت ما زلت نقيه
يا بغيا سوف تمضي لدجى القبر نقيه
أنت ما كنت سوى خمر الذبيحه
يا قرابين نحرنا ظهرها العاري على
مذبحنا الدامي ، لنسقي
ظمأ الوحش ونسترضي فحيحه •

* * * *

مجدليه :
أنت يا قديسة تحمل آثام البرايا
أنت يا صوفية عذراء • يا خمر الطقوس الوثنية
يا ضحيه
نحن ما كنا ضحايا
نحن يا عذراء ، اطماع دنيئات بغايا
والذي نزعمه عهرا ورجسا وخطيئه
هو فينا جوهر النفس الدنيئه
نحن شئناه ، طرحناه عليك
فا لعنينا
انما الطهر على شهواتنا الدنيا تعفر
جرحينا والعنينا
أنت من آثامنا السوداء أطهر
أنت ما زلت نقيه
وستمضين الى الله نقيه
مجدليه •

دمشق — خليل الخوري



من حياة ڤانسان ڤان كوخ

قصة الإنسانية ...

... عاشها عبقري حتى الجنون

نقلها الى العربية : عفيف بهنسي



١

ـ لقد آن وقت نهوضك ياسيد فان كوخ ٠

ومع أن فانسان كان نائما الا أنه كان يتوقع نداء « ارسولا » ، وأجاب :

ـ انني مستيقظ أيتها الآنسة ارسولا ٠

ـ لقد استيقظت الآن ـ وضحكت الفتاة ـ عندما ناديتك ، أليس كذلك ؟ ٠

وسمعها تهبط الدرج وتغيب في المطبخ ٠

واشتد فانسان على ذراعيه بكل نشاط وقفز من السرير ٠ لقد كان عريض المنكبين مفتول الذراعين ، ثم ارتدى ملابسه ، وسكب بعض الماء البارد في اناء صغير وأخذ يشحذ موسه ٠

كان فانسان يتمتع بمسرة كبيرة عندما يحلق ذقنه كل يوم ، الشفرة وهي تنزلق على طول الخد الممتلىء الى مجامع الفم الملتهب ، والهابط الى الفك الذي يشبه كتلة من الغرانيت المشتعل ٠

وغمر وجهه بقبضة من العشب ، وأوراق السنديان التي جاءه بها أخوه تو من أرض (نراندر) وتضمخ بالعطر الهولندي لكي يبدأ نهاره ٠ ثم نادته ارسولا وهي تقرع الباب :

ـ لقد جاء ساعي البريد برسالة لك ياسيد فان كوخ ٠

وفض الغلاف ، فعرف خط أمه ٠

وامتلأت أساريره بالبشر ٠ ووضع الرسالة في جيبه منتظرا أن يقرأها في أوقات فراغه من عمله في « غوبيل » ٠

وبعد أن رجد شعره الطويل الكثيف الاحمر ، وارتدى قميصا أبيضا اختار له ربطة سوداء كان يعقدها عرضانيا ، نزل الى غرفة الطعام حيث ينتظره طعام الفطور ، وابتسامة « أرسولا » ٠

كانت أرسولا وأمها وهي أرملة كاهن قروي ـ تديران روضة الاطفال في بيت صغير محاط بحديقة ٠ وكانت أرسولا في التاسع عشر من عمرها ، ذات عينين واسعتين ضاحكتين ووجه بيضوي ناعم وبشرة ملونة ٠ وكان فانسان يحب رنين ضحكها الذي كان يضيء وجهها الصارم ٠

كانت تقوم بخدمة البيت بحركات نشيطة بارعة ، وتتكلم دون انقطاع أثناء الطعام ، أما هو فقد كان في الحادي والعشرين عندما شد لاول مرة بالحب ٠٠ وانفتحت الحياة أمامه ٠ وكان يعتبر نفسه أسعد الناس فيما لو بقي يتناول طعامه مجابها ارسولا حتى آخر أيامه ٠

وحملت أرسولا شطيرا من اللحم وبيضة وقدحا من الشاي المغلي الاسود ، ثم ارتمت على مقعد عريض تجاهه ، تأخذ بالابتسام وهي تناوله الملح أو البهار أو الزبدة والخبز ٠ وقالت وهي ترطب شفتيها بلسانها ٠

ـ لقد نمت الخزامى التي زرعتها ، أتريد أن تراها

قبل أن تذهب الى عملك في المتحف ؟
ـ أجل أتريدين ؟ أعني أتستطيعين ذلك ؟
ـ ياله من انسان عجيب يزرع الخزامى بنفسه وينسى أين زرعها .
لقد كان لهاعادةالكلام عن الآخرين كأنهم بعيدين عنها.
وفقس فانسان البيضة . وبتحفظ ثقيل كطبيعته بدا عاجزا عن ايجاد الكلمات التي تسر ارسولا .
وخرجا الى الباحة . لقد كان الجو باردا في هذا الوقت من نيسان ولكن شجر التفاح كان مزهرا كان يفصل الباحة عن الدار حديقة صغيرة ، وقدبرزت الخزامى من الارض ، فأخذ فانسان وارسولا يعزقان حول النتشة. وتلامس رأساهما قليلا ، وفاحت رائحة العطر الطبيعي من شعر ارسولا . فقال :
ـ آنسة أرسولا
ـ نعم ؟ .. وأحنت رأسها وهي تسأله بتبسم ، فقــال :
ـ أنا .. أنا .. فسألته بصوت مرتفع
ـ ولكن ماذا تريد أن تقول . وتبعها حتى باب الصف . فقالت :
ـ سيكون « الاطفال » هنا عما قريب ، ألا تخاطر بالذهاب متأخرا الى المتحف ؟ .
ـ لدي وقت ، لا أحتاج لاكثر من خمسة وأربعين دقيقة للوصول حتى « ستراند » .
ولم تجبه بشيء وأعادت خصلة من شعرها كانت مدلاة على عنقها ، وبهذه الحركة الخفيفة بدت انثناءات جسمها كثيرة بالنسبة لجسدها الرشيق وسألته :
ـ ماذا عملت من أجل اللوحة التي وعدتني بها لتوضع في الباحة ؟ .
ـ لقد أرسلت الى باريس نسخة صورة (لسيزار دوكرك) وسوف يذيلها الرسام نفسه باهداء .
ـ هذا رائع ! . وضربت بيديها ثم خطت بعض الخطوات وعادت تقول :
ـ أحيانا ياسيدي ، أحيانا فقط تبدو أكثر الناس لطافــة .
وابتسمت له بعينيها وشفتيها وتظاهرت بالذهاب. فردها بيده .
ـ مساء البارحة قبل أن أستسلم للنوم فكرت بأسم خاص أناديك به واخترت لك اسم « ملاك الاطفال ».
وأحنت أرســولا رأسهــا وانفجرت بالضحك . وصاحت :
ـ ملاك الاطفال ، ان هذا جميل على أن أعلم أمي بــه .

وتخلصت من حصــاره وانطلقت ضاحكــة عبر الحديقة واختفت داخل البيت .

٢

وضع فانسان قبعته العاليــة على رأسه وأخــذ قفازيه وخرج الى شارع « كلا نام » لقــد كانت الدور منفصلة عن بعضها نظرا لبعدها عن مركز لندن ، وقد أزهرت في حدائقها عرائش الليك والزعرور والعوسج .
كانت الساعة الثامنة والربع ، انه لن يصل الى غوبيل قبل التاسعة .
ومشى بسرعة ، يخترق جماعات العمــال ورجال الاعمال الذين يذهبون الى أعمالهم . فيشعر بذلك بتعاطف قوي معهم ، اذ أنهم أنفسهم يعرفون كم هو رائع أن يكون الانسان محبا ، ومشى محاذيا شارع التايمس ، واجتاز جسر وستمنستر ومر قرب (اوستمنسر أباي) والبرلمان ودخل في رقم ١٧ من شارع ساوتمبتون ، ثم الى ستراند حيث يوجد فرع لندن لشركة غوبيل لبيع اللوحات الزيتية والحفر .
وعندما اجتاز الصالة الكبيرة المغطاة بالسجاجيد السميكة المزينة الثمينة ، كان يرى لوحة تمثل نوعا من السمك او التمساح يبلغ طوله حول عشرة أمتار وقربه انسان صغير جدا ، وكانت اللوحــة معنونــة باسم : « القديس سان ميشيل يقتل الشيطان . وقال له أحد البائعين :
ـ هناك رزمة لك من باريس .
كان يعقب غرفــة الرســم الزيتي حيث تعرض لوحات (ميلله) و (بوجتون) و (توريز) ، الغرفة المخصصة للحفر ورسم الحبر ، أما الغرفة الثالثة فقد كانت تشبه مكتب الاعمال ، أو أنها صندوق البيع . كان فانسان يعلم أنه انما يبيع لوحات رديئة . فان أغلب الزبائن كانــوا يجهلون بصورة مطلقة قيمة مــا يشترونه . وكانوا يدفعون أسعارا باهظة مقابل نسخ مجردة من القيمة . ومع ذلك فان هذا شأنهم هم وليس شأنه . ويبقى عمله محصورا بتأمين الازهار للمعرض . وفتح الرزمة التي جاءته من باريس ، كانت مرسلة من سيزار دوكون وفيها اللوحة موقعة مع هذه العبارة : « الى فانسان وارسولا لواييه : أصدقــاء أصدقائي هم أصدقائي » وقال في نفسه :
ـ سأتقدم اليوم مساء بطلب يد أرسولا وأنا أقدم لها الرزمة . بعد أيام قليلة ، سأبلغ الثانية والعشرين ، ثم انني أربح خمس جنيهات في الشهر ، فلماذا الانتظار اذن ؟ .

ومضى الوقت سريعا في محل غوبيل • وكان فانسان يبيع يوميا ما يقرب من خمسين نسخة مهتما بالصورة الزيتية وبرسوم الحبر ، وكان شاعرا بالسعادة لمؤازرته في ازدهار المحل ماليا ، وكان يقدر زملاءه كما كان زملاؤه يقدرونه • وكم قضوا معا الساعات الممتعة يتحدثون فيها عن أوروبة •

في طفولته اعتزل الناس فوصموه بغرابة الاطوار ولكن أرسولا غيرت سلوكه بصورة تامة ، وأوحت له أن يكون لطيف المعشر ـ محبوبا ، وأخرجته عن انطوائه ودفعته للتآلف مع الحياة العادية •

وقبل أن يغلق المحل في الساعة السادسة ، أوقفه السيد أوباخ قائلا :

ـ لقد كتب لي عمك فانسان فان كوخ بشأنك ، انه يريد أن يعرف مدى نشاطك ، وكنت سعيدا بأن أعلمه أنك واحد من أحسن المستخدمين في المحل • فأجابه فانسان :

ـ ان هذا لطف كثير منكم ياسيدي •

ـ أبدا ، وبعد عطلة الصيف فانني سأنقلك الى قاعة رسم الحبر والحفر •

ـ ان هذا يعني أشياء هامة بالنسبة لي ياسيدي ذلك لانني •• أنوي الزواج •

ـ أحقا ؟ • انه خبر سار • ومتى يكون ذلك ؟ •

ـ هذا الصيف على ما أعتقد • اذ لم يسبق أن فكر بتحديد التاريخ •

ـ حسنا يا ولدي هذا شيء جميل • ستحصل على زيادة في نهاية العام • وعدا ذلك فعند عودتك من شهر العسل فأنني سأسعى لزيادة أخرى من أجلك •

٣

ـ لقد اتيتك بلوحتك ، آنسة أرسولا • قال فانسان ذلك وهو يرفع اللوحة •

كانت أرسولا ترتدي ثوبا أخضر ورماديا ، مفصلا حسب أحدث زي • وسألته :

ـ هل وضع الفنان كلمة ما لطيفة من أجلي ؟ •

ـ أجل واذا أحضرت مصباحا فانني سأعلقها في الصف •

ومطت شفتيها كأنها تسأل بها قبلة ، وأجابت وهي تنظر اليه نظرة جانبية :

ـ يقتضي أن أساعد أمي الآن ليكن ذلك بعد نصف ساعة ؟ •

ودخلت الى غرفتها بينما وقف فانسان أمام المرآة وأخذ يتأمل نفسه • لقد كان نادرا ما يهتم بهندامه الخارجي ، ففي هولندا كثيرا ما يخرج خشن اللحية • وبالنسبة للانجليز فقد كان رأسه ووجهه يبدوان ثقيلين، وكانت عيناه تغوصان في محجريهما العميقين وتنفتحان عن لون سماوي محمر ، وله أنف عريض ومستقيم وجبهة محدبه وحاجبان غزيران وفم شبق وفكان صلبان وقذال كثيف وذقن عريضة ، انه مثال حي للسحنة الهولندية•

وترك المرآة وجلس على حافة السرير • وتصور في نفسه ان يكون انسانا لامعا • أبدا لم يعان الحب سابقا وابدا لم ينظر الى فتاة ، ولم يكن يدفعه نحو ارسولا الهوى ولا الرغبة الجنسية • لقد كان شابا مثاليا وهو يحب للمرة الاولى في حياته •

ونظر الى ساعته • ومن رسالة والدته أخذ البطاقة المرسلة اليه من أخيه تيو واعاد قراءتها • كان تيو يكبره باربع سنوات وهو يعمل في غوبيل أيضا ، فرع لاهاي، في المحل الذي سبق لفانسان أن شغله ، وكانا كأبيهما وعمهما شديدي الحب لبعضيهما منذ الطفولة •

وأخذ فانسان ورقة صغيرة وضعها على كتاب وخط عليها بعض الاسطر لاخيه وأضاف اليها بعض الخطوط رسمها عن نزهة قام بها على طول نهر التايمز • وقال في نفسه فجأة :

ـ يا الهي لقد نسيت ارسولا تماما ! •

ولكي ينتظر ربع ساعة أخرى ، ولقد حاول ان يطوع خصلة متمردة من شعره الاحمر عبثا ، فأخذ يمشي جيئة وروحا واللوحة تحت ابطه بانتظار ارسولا:

ـ اعتقدت انك ستنساني • قالت له ذلك ارسولا وكأنها دخلت من الممشى •

كانت مشغولة في جمع بعض الرسوم للاطفال •

ـ هل جئت باللوحة ؟ ـ أستطيع أن أراها ؟

ـ كنت أفضل أن أعلقها على الجدار قبل لكي تريها بصورة أفضل ، الديك مصباحا ؟ •

ـ انه عند أمي •

عندما عاد من المطبخ ، كانت ارسولا تضع على عارضيها شالا أزرقا انزاح قليلا وقد تمكن فانسان من مساعدتها على اعادته الى مكانه • لقد كان أريج زهر التفاح يملأ الحديقة وكان الممر مظلما ، ووضعت ارسولا أصابعها الخفيفة على ياقة معطفه الاسود • وتقدمت توازنها فألقت بثقل يدها عليه وضحكت من عجزها • ولم يفهم لماذا قامت بدور التعثر • ولكنه كان يحب أن يسمع ضحكها يرن في ظلام الممر • وفتح باب الصف مفسحا لها مجال الخروج • وتلامس وجهاهما تقريبا • فحدجته بنظرة عميقة فشعر انها أجابت على سؤاله قبل ان يصيغه •

ووضع المصباح على المنضدة وسألها :

ـ أين تريدين أن أعلق اللوحة ؟ •

ـ فوق منبري الا تعتقد ذلك ؟ •

في الغرفة التي تبدو كأنها غرفة صيفية كان يوجد خمسين طاولة تقريبا وكرسيا وعلى منصة صغيرة كان

منبر ارسولا . وأخذ فانسان وارسولا يختاران المكان الافضل لتعليق اللوحة . وعندما اسقط فانسان المسمار من يده ، لتوتره ، أطلقت ارسولا ضحكة ودية حلوة ،

ــ أعطني ، انك اعسر ، دعني أقوم مكانك بهذا .

ورفعت ذراعيها وبحركتها النشيطة الحاذقة كانت تشترك عضلات جسمها اللدن ، وكانت حركاتها دقيقة وسريعة ورشيقة . وشعر فانسان برغبة جامحة لان يحيطها بذراعيه ، هنا ، على ضوء هذا المصباح الخافت وان يضع بقبلة مقدمة لكل ما سيقوم به . ولكن ما أن يحاول ان يلامسها حتى تفر من يديه في الظلام . ورفع لها المصباح لكي تتمكن من قراءة الاهداء ، وسرت جدا حتى انها صفقت بيديها فرحا ، وكانت تتحرك بسرعة لم يقدر معها أن يمسك بها .

وقالت :ــ الآن انه صديقي أيضا ، اليس كذلك ، لطالما حلمت بصداقة فنان .

وكان فانسان يريد ان يقول شيئا عن عواطفه ، شيئا يتهيأ للافصاح عنه . واندارت ارسولا نحوه في الظلمة الخفيفة فترك شعاع المصباح انعكاسا على عينيها، كان وجهها البيضوي محاطا بالظلمة،وشيء ما لم يستطع التخلص منه سيطر عليه عندما رأى شفاهها المرضبة الحمراء فوق شحوب جلدها الناعم ، وتملكه صمت ثقيل عن أشياء لا يمكن التعبير عنها ، وكان يشعر بها قريبة منه تنتظر منه ان يلفظ ببعض كلمات الحب دون جدوى وتدير ارسولا وجهها وتنظر اليه برهة من جهة ثم تجري هاربة نحو الباب . فتبعها وأوقفها تحت شجرة التفاح .

ــ أرجوك يا أرسولا . واندارت أرسولا وأخذت تتأمل به بصمت وهي ترتجف . كانت بعض النجوم تلمع في السماء ، والليل حالك السواد ، اذ أنه ترك المصباح في الصف ، ولم يبد الا ضوء ضعيف من نافذة المطبخ . والتفت بشالها عاقدة ذراعيها على صدرها . فقال لها :

ــ أتشعرين بالبرد ؟

ــ أجل ، أننا نحسن صنعا اذا ما دخلنا .

ــ لا أرجوك ، انني .. واعترض طريق عودتها .

وأخفت ذقنها بدفء شالها ونظرت اليه بعينين دهشتين .

ــ وأخيرا يا سيد فان كوخ أخشى أن لا أفهم ماذا تريد .

ــ كنت أريد أن أحدثك .. فقط .. انني .

ــ أرى الوقت قد تأخر الآن ولست أشعر بالدفء أبدا .

ــ اعتقدت بأنك تعرفين ، لقد حصلت اليوم على اضافة في مرتبي .. وسوف انقل الى قاعة الحفر .. سيكون هذا الترفيع الثاني الذي أحصل عليه في عام واحد .

ورجعت ارسولا خطوة نحو الوراء وقد انزاح شالها عن كتفها ، ولم تعد تشعر بالبرد مطلقا من خوفها .

ــ ماذا تريد ان تقول بالضبط ياسيد فان كوخ ؟

وشعر ببرودة صوتها ولكن عزاه الى ارتباكها ، وتفتحت فجأة كل مشاعره ، كان يشعر في نفسه بنوع من الهدوء الذي يوجبه دمه البارد .

ــ أريد أن أقول لك يا أرسولا ما عرفته منذ برهة مني أنني أحبك وانني سأكون سعيدا جدا فيما لو أصبحت زوجتي ..

ولاحظ كم بدت مستغربة ان يكون زوجا لها . وتساءل ما اذا كانت اللحظة مواتية لضمها بين ذراعيه .

ــ زوجة لك ؟ وبدا صوتها ملحنا . ولكن هذا ياسيد فان كوخ مستحيل . فقال لها :

ــ انني أنا الذي لم أعد أفهم شيئا الآن .

ــ انني استغرب جهلك . انني مخطوبة منذ أكثر من سنة .

ولم يشعركم بقي من الوقت واقفا أمامها مدهوشا. وسألها بصورة آلية .

ــ من هو ؟

ــ ماذا ؟ ألم تقابل خطيبي أبدا ؟ لقد شغل غرفتك قبل مجيئك . كنت أعتقد انك تعرف ذلك .

ــ وكيف لي أن أعرف ؟

وانتصبت على رؤوس قدميها وأخذت تنظر باتجاه المطبخ .

ــ ولكن انني .. انني أعتقد بأنك على اطلاع بهذا.

ــ ولماذا أخفيتم علي هذا خلال عام بكامله؟أتعرفين بانني ابتدأت بحبك .

ولم يتأثر صوته بأية رجفة تردد .

ــ وهل هي خطيئتي اذا كنت تحبني ؟ انني لم أطلب منك أكثر من الصداقة .

وتخلى فانسان عن تحفظه وجذبها اليه وطبع شفاهه على فمها بصورة خشنة وامتص رضاب القبلة العذب وملأ خياشيمه عطر شعرها ، وتغلب عليه هواه فقال متوسلا :

ــ ارسولا انك لا تحبينه ، سوف لا أتركك اليه أبدا ، ستصبحين زوجتي . لا أستطيع أن أتركك . وسوف اتبعك حتى تنسيه وتصبحين لي .

ــ أصبح زوجتك ! .. أتعتقد أنه يجب علي أن أتزوج كل انسان يقع في حبي ؟ .. اتركني أسمعت .. أو اصرخ مستنجدة .

وتخلصت من ذراعيه وركضت في الممشى ، وعلى الدرج نظرت خلفها وبصوت منخفض ، فاهت بكلمات أشبه بالسباب :

ــ يالك من أشقر مجنون ..

الشفق الأعشى

مهداة الى « ك »

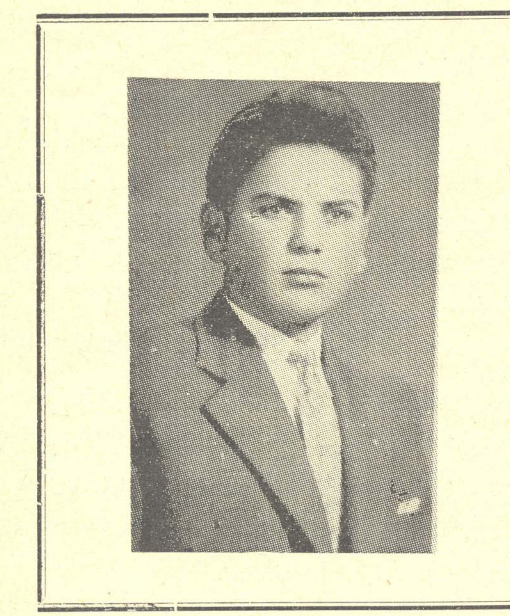
قصة بقلم : كمال نجم

صديقتي ،

رسالتي هذه ستقرأينها وقد لا تعرفين مرسلها ، فاليد التي تعودت أن تخط لك أصبحت عمياء ، واليراع الذي الفت أن تري دمه المسفوح على القرطاس ، لينقل اليك خلجات نفسي ، ورعشات فؤادي ، قد اعتزل الكتابة ، وتخاصم مع المراسلة لان اليد التي كانت تلاعبه وتحركه ، شلتها الاقدار ، وأضعفتها ضربات الزمن ·· فها هي يا صديقتي ممرضتي بجانبي تنقل اليك خواطر ولواعج أمليها عليها ، طالما أن هذه الخواطر واللواعج قد اصطرعت في ذهني وقتا طويلا ، وكم كنت أحب الا أعرضها عليك أو أتعرض اليها من قريب أو بعيد ، لكن هي الظروف ، وهي مشيئة القدر ، وأحكام القدر لا ترد، وما علينا نحن أبناء آدم ، الا أن نكون واقعيين ·· ونخضع لما نحن فيه ، ونتكيف مع أثواب الدهر ، التي تحيكها لنا أيام عجاف أو سمان ·· واليك وبكل صراحة وبساطة شرحا لقصتي وما أريد من وراء قصتي ·

أنا الآن ياحنان في المستشفى العسكري بالقاهرة ·· ممدد على سريري ، أعيش في جو كله الام في ظلام ، لا أرى ما حولي ، ولا أعرف ما يحيطني ، وذلك بعد أن رفضت شظية قنبلة قذفها جند الاستعمار الا أن تأخذ مني ناظري في معركة بور سعيد ·

لا تجزعي لهذا النبأ ياحنان ، لاني أنا ما جزعت له ولا وجلت ، ولكني رغم بعدي عنك ·· عن بلدي دمشق الحبيبة ، أستطيع أن أقرأمعانياومعانياعلىوجهك، أترى لماذا بدأ رسالته بكلمة صديقتي ، ولم يبدأها كما تعود في الماضي ، بكلمة حبيبتي أو خطيبتي ، أو شريكة حياتي · لك الحق أن تتساءلي عن ذلك ، وان تدهشي كل الدهشة ، وقد لا يفوت الحزن الذي سيعتصرقلبك، والدموع التي أحسها تغشى عينيك مثل هذا التساؤل ·· ولكنني صريح كعهدك بي ، ربما صراحتيالآنياحنان تغيظك ·· تؤلمك ·· صراحتي تدفعني لان أقول أن ما بيننا قد انتهى ·· وان الخاتم الذهبي في اصبع يدك



اليمنى ، تستطيعين نزعه لتضعيه في أي يد رغبت ·

لا أستطيع أن أتبسط الآن ما حدا بي ، لاخذ ما عزمت عليه ، ولكن حسبك اني أود البيان بأن منطقي وضميري ، ربما كبريائي يا حنان ، ذلك كله جعلنيأصل الى هذه النتيجة · لانك وأنت الوردة الفواحة ، وقد حاكت زرقة عيونك السماء ، ما خلقت لتتزوجي من شاب ضرير مثلي ·

قولي ما شئت عني ، والصقي بي الصفات التي تؤاتيك ، فهذا ما عزمت عليه عزما أكيدا لا تراجع فيه ، ولا رجعة عنه ، فقد أصبحت من ساعة وصول رسالتي اليك في حل مما كان بيننا ·· وما يرضي نفسي ياحنان أن ضربة القدر هذه وهي فقدان بصري أعتبرها ميسم غار والكيل فخار يكللان جبهتي لاني كنت أشعر وأنا أكافح ضد الغزو في بور سعيد بأني انما أدافع عن بلدي الحبيبة دمشق ·

نضال

حين أنهى نضال املاء رسالته على ممرضته ،أعطاها عنوان حنان في دمشق لتبعثها اليها ٠ ثم خرجت الممرضة، وفي سواد الظلام الحزين الرهيب راح نضال يتذكر وأخذت الحوادث تترى على رأسه منذ لقائه بحنان في جامعة دمشق ، ومولد الحب الذي ظللته نفثات الوفاء٠٠ وكيف أنهى دراسته وحمل عصا الرحيل الى القاهرة لاتمام تحصيله العالي هناك ، بعد أن خطب حنان عازمين على الزواج حين رجوعه من القاهرة ، ثم تذكر بدء العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ تشرين الاول ١٩٥٦ أي بعد وصوله اليها بشهرين ، حين هب الشعب مصمما على أمرين لا ثالث لهما : الموت أو النصر ، فاشتدت حمأة العدوان ، وأخذ شباب الجامعات يتطوعون أفواجا ، ثم تذكر شعوره آنذاك حين اندفع مع رفاقه للتطوع في فرق الانقاذ الذاهبة الى بور سعيد ، شعوره بالعزة ، شعوره بأنه حين يدافع عن بور سعيد انما هو يدافع عن ذرى الشام وروابي اللاذقية ٠٠ ومرت بخياله الساعات الرهيبة في ليل ٦ تشرين الثاني حين بلغ العدوان على بور سعيد أشده وكان مع فرقته التي تسللت اليها ، عندما تساقطت عليهم قنابل الطائرات ٠

ويتوقف شريط الذكرى في مخيلة نضال ليعود وقد وجد نفسه مستلقيا على سرير ، والضمادات تلف رأسه وصدره ، ويحاول أن يفتح عينيه ٠٠ يحاول أن يرى ، ولكنه لا يرى ، ويصيح أين أنا ويأتيه الجواب :

ــ أنت في المستشفى العسكري بالقاهرة ٠
ــ كيف أتيت ٠
ــ لقد حملك رفاقك على أثر اصابتك في بور سعيد ٠

ويتابع نضال متألما

ــ أحس بألم في عيوني
ــ لا تخف انها شظية بسيطة ٠

ويجهد نضال بعد ذلك أن يقنع نفسه أنه سيرى، ولكن الايام تأبى الا أن تأخذ منه بصره ٠٠ ويمر اسبوع واحد على رسالته الى حنان ، فيصله جوابها ، وتقرأ له الممرضة ٠

نضال حبيبي ،

حرام عليك ــ وأيم الحق ــ حرام أن تزيد على ما حل بي من ألم بسبب عينيك ، فتقول برسالتك ، أن اخلعي هذا الخاتم من اصبع يدك ، فأنا لست أهلا للاقتران بك ٠٠ لماذا تقول هذا يا نضال ، كأنك غريب عني ، لم تعرف في يوم من الايام كنه نفسي ، كأنك تجهل بأني ما خلقت الا لاجلك ، رغم تعنت القدر وصروف الايام ٠٠ ماذا أقول ، أتذكر يانضال ذاك اليوم الذي قضيناه في ضواحي بلودان ، وكان الزمن ربيعا ، والاشجار قد أزهرت ، فبدت الطبيعة وكأنها مسرح تصدح عليه البلابل بأصواتها العذبة ، لحن الحب ، لحن الجمال ٠٠ بلى يانضال ، اني أذكر ذلك،واسترجعه في مخيلتي ساعة ساعة بل لحظة لحظة ، حين بدا الكون حولنا وكأنه جعل من آلهة السماء شهود لقائنا ٠ عندها يا نضال وقفت تحت شجرة التفاح ، وحفرت على جذعها الخالد اسمينا ، ثم ضحكت وقلت لي : انظري الى هذين الاسمين فستضم صاحبيهما شجرة الحياة كما ضمهما جذع هذه الشجرة ، ولعلك تذكر أنت ، وأنا الآن أذكر كيف كان القدر يخيط سعادتنا ، فقلت لك عندها : سأفديك بنور عيني وسأهبك حناني مدى الحياة ، فكيف تجرأ ياحياتي أن تقول لي تزوجي واسعدي ، كيف تسمح لنفسك أن تهينني بهذا الكلام النشاز ، وتجرح قلبي المكلوم فوق جرحه عليك ٠٠

كيف تريديني يا نضال أن أكافئك على نضالك وكفاحك فأتزوج غيرك ، هل كان من عادتي أن أنكر الجميل ٠٠ جميل الحب وجميل الوفاء ٠٠٠ سأبقى لك وسأنتظرك ما حييت ٠٠ أستودعك الله ورافقتك السلامة والشفاء ٠

حنان

أقول الحق أن دموع نضال لم تظهر جلية رغم سيلها كما ظهرت دموع الممرضة ، وهي تتلو الرسالة عليه ٠

ولكن ! ترى لماذا بكى نضال ؟٠٠

ثمة مفهوم للسعادة قد اتخذه نضال دينا وديدنا له منذ زمن طويل ، هذا المفهوم يقول أن السعادة لا تأتي من الخارج ، فهي ليست بئرا ترفده جداول ، فاذا امتلأ طاب ، انما هي نبع صفاؤها في نضحها ، وطيبها في متح مائها ، هذا المفهوم يقول أن السعادة في الرضا ٠٠ رضا النفس ، رضا الوجدان ، رضا الكبرياء ، ولكن كيف ترضى نفس نضال بهذا الزواج ؟ كيف ترضى أن يحطم الآمال ويقتل الاماني ٠٠ الآمال التي بناها وبنتها ، والاماني التي علل بها نفسه ، وعللت بها نفسها ، كيف ترضى نفسه أن يسير في الطريق وحنان دليله ٠٠ ويقابل شخصا وحنان بصره ٠٠ كيف يرضي كبرياءه ، وكيف يسعد ، أو قل كيف يسعدها وهو الذي طالما بنى لها قصور العز وعلالي المجد ، السعادة في الرضا ٠٠٠ ونفس نضال لن ترضى بهذا الزواج وان كان القدر ٠٠ وان كان الكبرياء هو السبب ٠

لقد بكى نضال لانه يعلم علم اليقين عناد حنان وتصميمها ، وبكى نضال أيضا لان نفسه وقد آمنت

بهذا المفهوم ، مفهوم السعادة الذاتية ٠٠ مفهوم الرضا الوجداني الداخلي ٠٠ الذي يأبى أن يقترن بحبيبته ٠٠ ويضطرم الصراع في نفسه ، وكل يشد الحبل الى جانب ، وهو يتفتت ويتألم بينهما ٠

ويملي نضال على ممرضته رسالته الثانية الى حنان يقول فيها أنه على عهد رسالته الاولى باق ، وعلى أمر عدم زواجه بها مصمم ، ويشرح لها مفهوم السعادة الذي يعتنقه ويؤمن به ٠٠ ولكن أنى تلين قناة مثل قناة حنان وكيف يخبو حب مثل حبها ، فاذا برسالتها الثانية اليه لا تأتي بجديد في الامر ، انما هي عود على بدء لما أعلنته في رسالتها السابقة ، والتي ختمتها بقولها : سأبقى لك وسأنتظرك ما حييت ٠

الايام تتلو الايام ، ويأتي منتصف عام ١٩٥٧ ونضال لا يزال في المستشفى تلتئم جروح رأسه الواحد بعد الآخر ، ثم يقرر نقله الى احدى المستشفيات في الخارج ، للامل في انجاح عملية باعادة البصر اليه ٠٠ ويسافر الى المانيا ، وتطول اقامته فيها للعلاج ، ثم تجرى العملية ٠٠٠ ويدخل الطبيب ليسأله ماذا يحب أن يرى أول ما يرى ٠٠ فالعملية قد نجحت ٠٠ وسيعود اليه بصره المفقود ٠ فيقول نضال :

ـ أريد جريدة من بلدي ، جريدة عربية ٠

حين يتسلل النور الى عيني نضال ، كما يتسلل الفجر الى بهيم الليل ٠٠ وديمة القطر الى الارض الجدباء ٠٠ يعطونه جريدة عربية ، فيتصفحها ٠٠ واذ بعينيه تقرأ نبأ اعلان الوحدة بين مصر وسورية ٠

دمشق **كمال نجمة**

عيد الثورة العربية

٢٣ يوليو – الذكرى الثامنة ١٩٦٠

شعر : احمد عبد الرحمن

أزف النصر واستجد الولاء فاشهدي يوم شعبنا يا سماء !
وحدتنا أهدافنا وأمانينا فطاب الهوى وطاب الاخاء !
موطني يا مرابع العز والكبر فداك الاذلال والاغضاء
موطني ما عكفت أثني على غيرك مستجديا لبئس الثناء
ما عداني فيك البيان ولا خان يراعي بيومك الايحاء
قلمي ملهم الخيال وشعري فوق ما فكرت به الشعراء

* * *

موطني يا رعاك منا الفداء نحن في زحمة الخطوب نداء
ما شكوت الاعنات والظلم الا ضج في صدرنا لك الانتخاء
فمضينا للثأر تهدر في زاكي دمانا العزيمة الشماء
فلكم حطم الشباب قيودا أثقلتهم وحرروا ما شاؤوا

* * *

يوم تموز ملء شطريك تاريخ مجيد وعزة قعساء
يوم تموز ثورة الشعب للشعب – تبارت في وصفك الانباء
ما شهدناك بل شهدنا أياديك – وجلت تلك الايادي الوضاء
حررت مصر أرضها فزها الشام ابتهاجا وأشرقت سيناء

* * *

يا لها ثورة غدا كل قطر عربي له بها استعلاء
عززت جانب العروبة أضحت وبنوها بفضلها أقوياء
يا لها ثورة أطاحت بتاج صنعته من مكرها الدخلاء
فغدا في البلاد يمشي فسادا يتمادى في غيه ما يشاء
ساس عهدا مع الدخيل عميلا بئس عهد تسوسه الجبناء
واذا بالطريق قافلة الاحرار تبدو فتختفي العملاء
فيزول المستعمرون عن النيل وتجلى عن شطه الغرباء
وتعود (القنال) ملكا لابناء بلادي وتخسأ الادعياء

* * *

يوم تموز في مجالي مساعيك ترف العطور والانداء
فيك في فجرك السعيد تولت ظلمة العرب واستهل الضياء
وتهادت بنودنا في الميادين وتاهت راياتنا الخضراء
وبأبطالك الاباة الميامين بلغنا المنى وعز الرجاء
وتجلى في الركب أروع ماض ملهم الرأي رائد بناء
يحشد البأس للكفاح ينادي عرب نحن أمة عرباء
عرب نحن تحسد الشمس مجدا أحرزته جهودنا البيضاء
عرب نحن تشمخ العزة القعساء فينا وتفخر العلياء ! !
فتعالى في مشرق الارض والغرب نداء دوت به الارجاء :
ألف لبيك يا جمال فانا أمة لا ينال منها الفناء ! !
أتعب الدهر بأسنا فشكا الدهر وألوى بعزمه الاعياء ! !
ما تعبنا من النضال ففي كل مكان معارك حمراء
في فلسطين في الجزائر في سفح عمان ثوارنا البسلاء
يحرزون النصر المؤزر تلو النصر لا تستبيهم الخيلاء ! !
سندك المسخ الرجيم سنحمي مهبط الوحي والاباء اباء

* * *

كم شهيد في ميسلون وفي التل توالت في دربه الشهداء !!
غرسوا من عظامهم في الميادين وروت تلك العظام الدماء
فتحت في الثرى أفانين دوح عهدته الفيحاء والشهباء !
وانتشى في الكنانة البكر ربع ظللته خمائل غناء ! !
فتفيأ بظلها يا أخي .. وانعم ففي ظلها الرضى والهناء !!

جبلة — أحمد عبد الرحمن

صلاة

من أجل اللاجئين في ليلة العيد

بقلم : رجاء عجمي

آلهي ! في هذه الليلة من ليالي الشتاء الحزين ، اذ تطل ملائكتك من أماكن الربيع الازلية ، وتنحني فوق شرفات الغرف المقفرة ، ناثـرة على مهل فـوق الارض كؤوس الزهور البيضاء ، مطوفـة محومـة صامتـة في الفضاء الساكن ٠

آلهي ! في هذه الليلة ، وقد ولولت الريح ، كأنها أرواح الخطاة الذين أبى القبر أن يستقبلهم ٠

أرحم آلهي جميع أولئك النائمين فوق سرير حقير ليأخذوا من نومهم قوة تعينهم على تحمل الغد ٠

ارحم يا آلهي من خلقك الشيوخ العائشين في عالم النسيان ٠

أرحم يا آلهي أولئك القابعين في غرفهم الدامسة الباردة ، يرتقبون الغد المجهول ٠

أرحم أولئك الذين يتضاحك من قبحهم النـاس ، والذين يهزأ بهم الناس لسلامة في قلوبهم ٠

أرحم المرضى الذين يموتون في كل يوم ، وهم على قيد الحياة ، والفتيات اللائي حرمتهن من سحر الجاذبية والجمال ، فباتت الحسرة في قلوبهن تأكل أحشاءهن وتعذبهن ٠

أرحم أللهم أولئك الذين يتألمون ليرتاح غيرهم ، وكأنهم الشموع والالم نارها ٠

أرحم اللهم الودعاء والصالحين الذين لا يستطيعون أن يذرفوا من الدموع مزيدا ، لانه لم تبق في مآقيهم دموع !

أرحم اللهم أولئك الذين يسـيرون في تيه هـذا العالم ، قد عضهم البؤس ، وحزهم الآلم ٠

أرحم اللهم أولئك الذين يعيشون وراء ديارهم ، بعد أن طردهم منها دخيل غاشم ٠

أرحم اللهم الاطفال الفقراء ، ينسلون من وراء الخيام ، بخلق شاحبة ، وخرق مهلهلة ممزقة ، ليرقبوا بعيون مرمدة ، أطفال الاغنياء ، يرفلون بالحرير وبالدمقس ٠

أرحم اللهم ! أولئك الذين يزحفون صبيحة يوم العيد ، وهم يتطلعون الى مساجدك ، علهم يجدون في زواياها شآبيب رحمتك ٠

اللهم ! ان السعادة لا تكون عزاء لمن يتألم ، فدعهم آلهي ينامون ، ويطبقون جفونهم ٠

آلهي ! ارسل لهم في هذه الليلة ملاك الرحمة ، لينسل الى مخادعهم ، وأوصه يـارب أن يدخل بأنـاة ورفق ، لئلا يوقظهم ٠

آلهي ! علمه كيف ينحني فوق شفاههم انحناءة الاخت انحناءة الوالدة ، فالوالدة عنيفة في حبها ٠

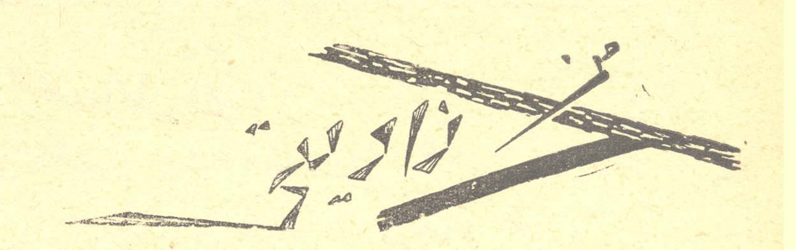
آلهي ! هـا هي شمس العيـد تطل من شرفاتك السرمدية على خيام اللاجئين بعد أن اعولت ريح الليل وولولت ، لتغمر قلوبهم بنورك ورحمتك ٠

آلهي ! مضت عليهم سنوات طويلة وهم ينتظرون العيد وراء أسـلاك تحتويهم خيام لا تـرد عنهم غائلة قر أو حر ٠

آلهي ! ان عيد هؤلاء هو العود لارضك الطيبة ، وملاعب صباهم الخيرة ٠

آلهي ! متى تأذن لهـم بعيد يعيد الى وجوههـم الشاحبة البسمة والحياة ٠

الآنسة رجاء عجمي





عين كبيرة ، كبيرة جدا ، مفزعة ومخيفة جدا ، هي عين حيوان بحري لا أعرف له اسما ولم أر له شبيها لا في الحياة ولا في قواميس علم الحيوانات البحرية المفزعة ٠ وانما شاهدته لاول مرة في خاتمة فيلم رائع لم ولن يعرض في الاقليم السوري وأظنه لم ولن يعرض في كثير من الاقطار العربية ، ذلكم هو فيلم « متعة العيش » الذي أحب أن أحدثكم عنه اليوم ٠

حين سحب الصيادون شبكتهم الضخمة على الشاطىء وقفوا مبهورين أمام هذا الحيوان البحري الضخم الذي لا اسم له ، ولا يد ولا ساق ولا رأس ولا ذنب ، وانما هو كتلة كبيرة منتفخة ، بشعة مقرفة ، في وسطها عين سوداء واسعة مخيفة ما أن رآها الصيادون حتى كفوا أبصارهم خجلا ، أما السابحات من بنات روما ، فقد شعرن لاول مرة بأن عليهن أن يسترن سيقانهن وأجسادهن ، فقد كانت العين الكبيرة المفزعة تحدق فيهن بشكل فاضح ، وشعر كل من اصطدمت عينه بعين الحيوان البهيم أنه يتجرد ، ينفضح ، يكشف عورته ، يواجه خطاياه ونذالته وقذارته ، اكتشف كل منهم أنه حقير فهرب من عين الحيوان البهيم ليلتجيء مرة أخرى في الغابات البشرية الكثيفة التي تعشعش في جميع أركان أوربا القذرة الملوثة ٠ وكان من بين الذين شعروا بالحرج أمام نظرات عين الحيوان البهيم ، « مارسيللو » بطل الفيلم ، فقال في نفسه : « أنا أيضا قذر ، ولكن ماذا أعمل ؟ » ثم تابع طريقه ٠

وأنا لا أحب ـ نكاية بالشعر العربي المعاصر ، وكله سطحي وكاذب ـ أن أستخدم في ما أكتب مفردات مخجلة مثل نذل ونذالة وقذر وقذارة ، ووغد ، وابن حرام ، وحقير ، وما أشبه ذلك من مفردات يعتقد الناس الطيبون أن تاريخ البشرية انما هو نضال في سبيل محو مضامينها ومحو كل ما هو سيء ولا أخلاقي لتتفتح في الوجود البشري معان أسمى وأرهف وأعلا ٠٠ ولكن هذه المفردات ترد بكثرة في الفيلم الذي أحدثكم عنه ، وترد في مكانها المناسب ، اذ أن كاتب سيناريو هذا الفيلم ـ العبقري حتما ـ انما أراد خلال ثلاث ساعات كثيفة من عمل سينمائي خارق أن يضع السكين على المفصل باحكام ، ويضرب دون هوادة ، ليكشف عن انحلال أوروبا ، ليفضح الحضيض البشري الذي تتخبط فيه المخلوقات الاوروبية ، ليرثي ، ليصرخ ، لينشد ، ليسجل أعظم كارثة : أدنى انسان في أرقى حضارة ، ابادة الانسان في حضارة يظن الطيبون أنها مهد الخلاص ، ضياع الانسان ، ضياع كل القيم في حضارة يظن الطيبون أنها أنجزت تحديد كل القيم ونفضت اليد من عمليات التوضيح وأعلنت للمخلوق البشري : ها ان كل شيء أصبح واضحا أمامك ، وما عليك الا أن تختار ٠

وفي محرق هذا التناقض يعيش « مارسيللو » بطل الفيلم ٠ فهو شاب وسيم من أبناء مدن الارياف الايطالية القريبة من روما ٠ وهو شاب طيب ومثقف وشاعر ، ما أن نشر بضع قصائد حتى تلقفته الصحف ، ومن دار

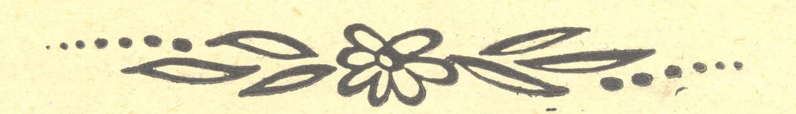
الصحيفة بدأ ينزلق ٠٠ ينزلق ويبتعد في الوقت ذاته عن كونه طيبا ومثقفا وشاعرا ٠ فقد أصبح من واجبه أن يسخر ثقافته وبراعته الفنية في صياغة تقارير صحفية عن فضائح روما ٠ وروما هي قلعة البابا ممثل الاله ، وروما هي جنة كل أنواع الدعارات التي تخطر أو لا تخطر على بال ٠ فهي ملتقى الاوروبيين والامريكيين ٠٠ ومنذ بداية الفيلم نشاهد طائرة هيليكوبتر تطير فوق روما ، ويتدلى منها تمثال ضخم للرب المصلوب ٠ كان ظل التمثال يمسح أجسادا فاتنة عارية متمددة فوق أسطحة البنايات الشاهقة ٠ وكان مارسيللو يسجل من طائرة هيليكوبتر ثانية وقع ظل الرب المصلوب على ذوات الاجساد العارية ٠٠ وشيئا فشيئا كان مارسيللو ينزلق ويغوص أكثر فأكثر ٠٠ حتى تخلى نهائيا عن التفكير في العودة أو الخلاص ، اذ أن مثل هذا التفكير سيحرمه من السيارة التي أصبح بفضل نوع معيشته يمتلكها ، كما أنه سيحرم من كل الامتيازات الاخرى : بيت مستأجر في أحسن أحياء روما ، وفتيات كثيرات ، وخطيبة حلوة ، وراتب ممتاز ، واشتراك في متع أغنى طبقات في العالم تبحث عن اللذة ، اشتراك ابتدأ به مارسيللو بوصفه « مراقبا » ثم ٠٠

ولهذا فان الفيلم يعرض عدة قصص ، لكل منها أبطالها وظروفها وملابساتها ، ولكن هذه القصص جميعا كانت تمهد بين يدي المراقب لاستنتاج واحد هو : « لا مناص ٠٠ الدعارة أبادت أوروبا » ٠ وكان مارسيللو الصحفي مراقبا في هذه القصص جميعا ، وكان السؤال الذي يطرحه على نفسه في البداية ، وهو « يشاهد » : كيف نفعل لننقذ هؤلاء ؟ ٠٠ وماذا أفعل لاصون نفسي من الوقوع بما وقعوا فيه ؟ ٠٠ فوجد أمامه جوابا صغيرا هو أن يتزوج ، فخطب لنفسه فتاة جميلة كانت تحبه حبا جارفا ٠٠ على أن استمراره في المشاهد والمراقبة ـ بحكم وظيفته كصحفي مختص في تزويد المجتمع بتقارير عن طرق معيشة أغنياء أوروبا وفنانيها ـ جعله في النهاية يطرح على نفسه السؤال بصيغة أشد رهبة ومأساوية : كيف أفعل لانقذ نفسي ؟ ويظل يجتر هذا السؤال والداء يستشري ٠ لقد اشترك ، لقد اختار ، لقد أجبر على الاختيار مثل كل الذين يعيشون حوله ، وترك خطيبته الحلوة ، وترك كل شيء ، واستسلم ٠٠ لقد قبل لنفسه أن يصبح لاعق صحون في ولائم سادة اللذة ٠٠ وفي نهاية الفيلم يرفع بكلتا يديه علامة الاستسلام ٠٠

هذا الفيلم الرائع ، الكثيف ، الشاعري ، الذي يمتلك على المشاهد حسه وذوقه وتفكيره ويثير لديه أسئلة كبيرة طوال ثلاث ساعات ، ويظل يضج في تفكيره ومشاعره ثلاثة أيام أو أكثر ، لم ولن يعرض في الاقليم السوري ولم ولن يعرض في كثير من الاقطار العربية لان الفضائح المثيرة الصريحة التي يعرضها مخيفة وقد تهدم ، وقد تثير أصحاب الفضيلة رجال الدين ، وقد تسيء الى مجتمعنا الذي آلى على نفسه أن لا يوجع رأسه بالتعمق في « المعرفة » أما أنا فأقول ان هذا الفيلم لن يعرض في أكثر بلدان الشرق لان فيه كمية مفرطة من اللحوم الشهية ٠

ولقد قلنا ان فيلم « متعة العيش » يثير لدى الانسان تأملات جارحة لا يستريح المرء من صخبها وعنفها وهو يغادر قاعة دار العرض ، وأنه يواجه الانسان باسئلة كبيرة صاعقة قد يجد المرء نفسه عاجزا أمام الجواب عليها ٠ ولكنني سأكتفي هنا بطرح أكبر هذه الاسئلة : « ما هي أفضل السبل ليعيش الانسان حياته مستمتعا بها شريطة أن يكون أنسانا ؟ » ٠٠ لقد وجد كاتب سيناريو الفيلم العبقري أن كل أجوبة أوروبا على هذا السؤال فاشلة بل عكسية ، ووجد أن الانسان الاوروبي المعاصر وصل الى نهايته ، وأن «الطاهر الوحيد» هو ذاك الحيوان البحري الغفل المقرف لشدة بدائيته المخيف لشدة وضوح النظرات الفاحصة في عينه ٠

ويبدو أنهم في أوروبا على هذا الحل الوحيد متفقون ٠ فقد قرأت منذ أيام قصيدة طويلة لاحد شعرائهم يقول فيها : ان الدعارة أصبحت ميتافيزيكية ٠ والانسان لئيم وصل الى أسوأ درجات البؤس العقلي ٠ ويجب ألا يذاع ما يقوله كل انسان لنفسه ٠٠ انني أرى انسانا آخر ٠٠ في أقصى هذه الغابة العمودية ٠٠ مجردا من كل نوع من واجب الوجود ٠ أراه انسانا جديدا في الجهل الجليل ٠٠ يجهل كل ما قد عرفناه أو حفظناه ٠ لا رمز عنده الا حيوان خرافي مفزع يهدي نفسه لا مباليا الى الشمس الساطعة ٠



وجمدت المطر

قصة بقلم : منور فوال

استلقت الصبية الجميلة على فراشها الوثير بتراخ · ورمقت النافذة المطلة على الحقل بنظرة متفائلة يكتنفها سؤال كبير ، وما لبثت أن لمحت غيمة كثيفة تختلط بزرقة السماء تبشر بهطول المطر · فابتسمت بدلع · وتقلبت على جنبها ، ولكنها ما عتمت أن نهضت الى أمام النافذة ، وأمعنت في السماء جيدا · فتأكد لها أن المطر لا شك هاطلة · والزرع في الحقل سيرتوي بعد ظمأ طويل · وسنابل القمح الذهبية ستنمو بطول شاهق · والنباشير كلها تؤكد أن الموسم الزراعي سيكون خصبا ومحصوله سيغطي الخسارة الكبيرة التي أصابت الزراعة في الاعوام الثلاثة الماضية التي (بخلت) فيها المطر على الدنيا ولم تهطل الا قليلا ··

وهزت الصبية رأسها ، وزفرت بضيق · ثم حدقت في أرض الحجرة بامعان طويل والابتسامة الصغيرة عالقة على وجهها · وصمتت ·· وهي تحدث نفسها بشيء دفين كثيرا ما ضاقت بكتمانه ·· غدا ·· غدا سيتحقق أملي ·· وسأتزوج (البك) الذي كان يؤجل زواجنا الى أن ينتعش بثمرة المحصول ··

واتسعت الابتسامة على ثغرها ·· وملأت كل وجهها وغدت مشرقة كأن السماء قد استجابت لدعواتها الطيبات التي كانت ترددها في مطلع كل فجر ··

البك ·· ألم يهمس في أذنيها في أمسية مشحونة بالعواطف المشبوبة التي كان يحملها اليها ما بين جوانحه كلما جاءها الى (الحقل) في القرية الصغيرة التي تبعد عن المدينة مسافة ربع ساعة كان يقطعها بسيارته الزرقاء الفاخرة ·

ـ سأتزوجك يا (سعدة) في نهاية الموسم عندما نبيع المحصول · ونلعب بالليرات الكثيرة كذرات تراب الحقل ··

وضحكت يومذاك (سعدة) باطمئنان له ، وهو يداعبها بخبث شرير ويلقي بظهرها الى صدره · ويده تجوس بجرأة فاضحة في خصلات شعرها التي تستره (عصبة) محملة بقروش فضية ·· وبعض رباع من الليرات الذهبية ·· وحبات من (الخرز) الازرق ··

(والبك) الذي تنتظره الصبية الحلوة ابنة الناطور العجوز في الحقل الكبير هو (لطفي) صاحب مكتب (الفجر) لتسهيل المعاملات العقارية والقضائية والاستاذ (كما يحلو له أن يسمي نفسه) رجل في الخامسة والاربعين ·· قسماته الجامدة لا تدل على صفاء ·· عيناه الهزيلتان تنمان على مكر تأصل في نظراته · وثغره متسع يكشف عن ـ تكشيرة ـ في شفته السفلى ، وأنفه المدبب يشوه ملامحه ، مما أضاف لنفسه (عقد) شاذة تبعد أكثر الناس عنه ·· اذ أن الوسائل التي كان يسلكها في سبيل الوصول الى (المادة) غير مستقيمة · فهو لا يتردد أبدا من أن يطرح نفسه بالذات في أسواق المساومة لقاء قروش زهيدة صدئة تزيد في ثروته ، واذا أراد الانسان أن يعرف ماضي (لطفي) وجده مشعبا في مفارق كثيرة ·· لقد عمل في مستهل حياته بحرف منوعة استطاع من ورائها أن يجمع ثروة طيبة استعملها في تجارة الورق·· والجلود ·· والسمن ·· الخ ··

وهكذا ·· تخطى الصعاب الى أن استقر في مكتب (الفجر) وغدا (أستاذا) ولكم كان يغضب اذا لم يسبق اسمه كلمة (يا أستاذ) اذ يعتبر هذا اهانة غير مغتفرة لم ؟·· لماذا ؟·· أوليس هو بمدير مكتب ·· ويستطيع أن يدخل الى (قصر العدل) ويلاحق معاملات القضاء من غرفة الى غرفة ·· ومن محكمة الى محكمة ··؟ لهذا كله كان يشتاط غيظا اذا استبدلت كلمة الاستاذ (بالسيد) ·

* * *

الايام تواردت ·· وأخفت ماضي (لطفي) الذي لا يشرف ببريق الذهب ورصيده الذي يغفو في صناديق البنوك ·· والسيارة الزرقاء الفاخرة التي كانت تضمه في جوفها كلما أراد التنزه في الشوارع طولا وعرضا والى جانبه حسناء في عمر الزهور ·· أو امرأة تكون كلفته بمعاملة (نفقة) على زوجها الهاجر ·· أو عجوز ثرية يخدعها بمعسول الكلام كي يبتز مالها باسم الرسوم القضائية أو رشوة موظف كسول ··

الايام ·· الايام كانت الى جانب (لطفي) بكل ما يعمل · وازداد تباهيا على أترابه ·· وكان يساعده

في مكتبه شاب خزلته الحياة بالنجاح ٠ فوجد عند (لطفي) كل نجاح ٠٠ اذ كان يمهد له سبيل الاتصال بالنساء اللواتي لهن قضايا في المحاكم والسجل العقاري ٠ فقد كان يقضي معظم يومه في ردهة (القصر العدلي) وعيناه تبحثان على امرأة لا تدل ملامحها على معرفة بشؤون القضاء ٠٠ فكان يتقدم منها بعد أن يصلح من هندامه ويصفف شعيرات رأسه ويقول لها :

— يلزم خدمة يا ست ٠٠

وتبهر نظرات (الست) بالشاب الانيق ٠ ويفتر ثغرها قليلا ثم تطلب اليه مساعدتها أو ارشادها الى مكان تروم قصده ٠ وبعد أخذ ورد طويل يذهب بها الى (لطفي) حيث يتم الاتفاق معها على ملاحقة القضية بأجرة محترمة اذا كانت (الست) لا ترضيه كرجل ٠٠ وان كانت جميلة ٠٠ فالجمال يشفع لها ٠ ويتفق معها على مبلغ (رمزي) بعد أن يرسم خطة في أفكاره لاصطيادها ٠٠

وكم ٠٠ وكم من النساء كن ضحيته ٠٠ ثم لم يكن ليتورع أبدا من أن يقدم المخدوعات المعوزات الى معارفه بعد أن يملأ رؤوسهن الغريرة بأوهام الزواج من صحبه ٠٠

لم تكن عين رقيب ترقبه ٠٠ اذ كان على صلة بشخصيات بارزة تؤازره في المحن لقاء سهرة ممتعة في مكتبه ٠ لا سيما وانه كان يستخدم فتاة — كسكرتيرة — يشترط دائما فيها الجمال قبل الثقافة ٠٠ والدلع قبل الاتزان ٠ والميوعة قبل الاخلاق فهو لا يحب (الموظفة) أن تخفض نظرها الى الارض حياء ٠ فان طبيعة عمله — في اعتقاده — تتطلب طراوة الفتاة وغنجها ٠ فان سارت أمام الزبائن يجب أن تتثنى كالراقصة فوق زجاج الموائد ٠٠ وألا يكف ثغرها عن اطلاق الابتسامات المثيرة لهذا وذاك ٠

هذا ما كان يذكره على مسامع كل فتاة تخضعها الحياة لعمل الذل مقابل لقمة عيش مريرة ٠

بالفعل كان يتوافد على مكتبه شخصيات كبيرة يهمها أن تمضي الفراغ برؤية الوجوه الجميلة ٠٠ والاجساد المتلوية ٠ وتشنف آذانها بأصداء الضحكات الناعمة التي ترسلها (الموظفة) لهؤلاء ٠٠

★ ★ ★

لم تكن الحياة في عرف (لطفي) أكثر من ساعات عابثة يقطعها لهوا في كأس سوداء ٠٠ وامرأة ضحية ٠٠ ثم يوردها كالبضاعة الى أصدقائه الافاضل أو على حد تعبيره (الاساتذة) وهؤلاء (الاساتذة) هم رجال عابثون يقتلون الحياة بجسد امرأة أعوزها القدر للعيش ٠٠ أو هم أخذوا بيدها الى السبل الملتوية ٠ ثم يمجونها بقطع بصاق حقير ٠٠ بعد أن يثقلوا يدها المرتجفة بخمس ليرات مهترئة مسمومة ٠٠ ويشيعونها بنظرات ساخرة ٠

وعلى هذا الشكل المريب قطع (لطفي) فترات حياته ٠ وظفر بثروة طائلة ٠ أخفت شوائن سلوكه ٠ وأظهرته (للاغبياء) بمظهر — البك — الوقور الذي يحسب له الحساب في القرية الصغيرة التي اشترى فيها حقله الكبير الذي يشرف على حراثته الناطور العجوز وابنته (سعدة) ٠

(سعدة) الصبية الحلوة التي كانت تنتظر — البك — بلهفة كل مساء ، حيث يعود اليها ويقضي معها وقتا طيبا الى أن كسر فيها غصن الحياة تركها والموت يتوعدها ٠٠ ويطوف بأشباحه الرهيبة حول الجسد الجميل يحاول أن ينبش بأظافره الطويلة الناشبة ربيع حياته ٠٠

ولكم بكت (سعدة) فوق قدمي — البك — الوقور تستجديه الحياة بألفاظ فيها التضرع واللوعة ٠٠ وفيها مرارة العمر كله ٠٠

— الرحمة يا سيدي — البك — الرحمة يا سيدي البك ٠

ثم تمسح دموعها ٠٠ و — لطفي — ينظر اليها باشمئزاز كبير ٠٠

وبضحكة يكتنفها دهاء حافل بالفضائح ٠ وكانت كلما بكت بين يديه ضارعة مستجدية يشيح بعينيه عنها ٠ ويطيب نداءها بالوعد المزعوم :

— سأتزوجك (يا سعدة) عندما نبيع المحصول ٠٠

تنزل تلك العبارات في أذني الصبية كنغم جميل تسبح في غمرة أجوائه حالمة ٠٠ ثم ٠٠ ثم تقدم (للبك) خدمة المساء المعهودة ٠

★ ★ ★

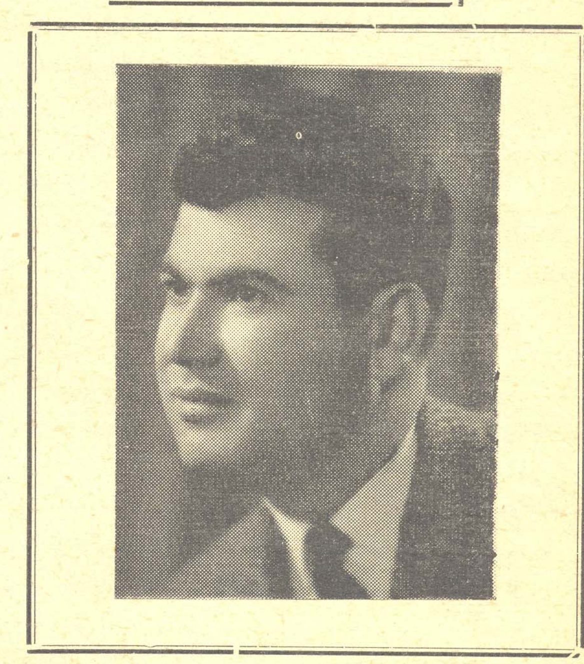
وولت سنة ٠٠ تلتها أخرى ٠ وأخرى ٠٠ والصبية الحالمة تحيا على أصداء النغم الجميل ٠ وتمنح — للبك — عصارة شبابها ٠ ورونق مفاتنها وهي تبذل العطاء ببراءة مطلقة تدعمها الاحلام الهائنة التي ستغدو بعدها زوجة — للبك — الثري الكبير ٠٠ ذو الثياب الانيقة التي تخفي وراءها براثن الشر ٠٠

مهل القدر (لطفي) على طغيانه ومهله كثيرا الى أن كان يوما أراد فيه (كعادته) أن يذهب الى حقله مع خيوط فجر جديد ٠٠ فالصبية تنتظره وفي قلبها وله فاضح ٠ وفي عينيها آيات حب مقيم ٠ تغذيه أصداء اللحن الرائع ٠ فاستقل سيارته الزرقاء ، وسار في طريق الشارع العريض ٠ وثغره يردد أغنية غير مفهومة وفجأة اختل مقوده ٠ وصدم بعمود كهربائي اخترقه الى سور حجري مرتفع هشم واجهة السيارة ٠ وكسر

سعيد جبرين

شاعر من المهجر الشمالي

بقلم : عيسى فتوح



في منطقة صافيتا شعراء نعتز بهم ، ونقرأ لهم بين فترة وأخرى شعرا مفرقا في المجلات ، أو مجموعا في الدواوين ، من هؤلاء حامد حسن صاحب (عبق) وحنا الطيار صاحب (عيناك ليل) ونجم الدين الصالح صاحب (الغاب المسحور) •

واذا تركنا صافيتا وضواحيها ، وصعدنا قليلا في الجبال — التي كانت من قبل شبه معزولة الا عن الثقافة — صادفنا منطقة هي أجمل ما أبدعت يد الخالق ، منطقة لا أروع ولا أبهى : في صخورها الشهباء المشرئبة بعنفوان وصلف ، في أنهارها المرنمة صيفا شتاء ، في خضرة أشجار السنديان والغار ، وفي حلاوة الثمار و •• في هذه المنطقة التي تدعى (المشتى) شعراء آخرون منهم رفيق الخوري صاحب (الزنبق والدم) • وبقرب المشتى قرى متفرقة لا تقل جمالا وثقافة عن المشتى يطلق عليها اسم (وادي الكفرون) •• نبغ فيه شعراء مجددون منهم فؤاد رفقة صاحب (في دروب المغيب) والشاعر سعيد جبرين الذي أصبح في عداد شعراء المهجر الشمالي •

سأقصر حديثي اليوم على سعيد جبرين اذن ، هذا الشاعر الذي هجر قريته الى بيروت طالب علم وأدب ، ومن هناك الى واشنطن في اميركا الشمالية ، حيث يعمل الآن في اذاعة صوت أميركا ، كصديقه وزميله المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي •

ولست بحاجة الى القول أني بذلت جهدا كبيرا في التعرف الى البيئة التي احتضنت الشاعر سعيد جبرين صغيرا والى البيت الذي عاش فيه ، وتحدثت الى عمه وأبناء عمه ، فأطلعوني — مشكورين — على بعض نتاجه المخطوط من شعر ونثر ، وعلى مكتبته التي تبعثرت هنا

زجاجها ومقاعدها واستقرت في مكانها حطاما أسود • وما هي الا دقائق حتى كان رجال الاسعاف والنجدة يقومون بواجبهم • ويخططون الحادث الذي أودى بحياة (لطفي) الى ما لا نهاية ••

* * *

الصبية الجميلة ما زالت ترمق النافذة المطلة على الحقل بنظرة يكتنفها سؤال كبير • والابتسامة تملأ وجهها كلما لمحت الغيمة الكثيفة تتلبد في السماء تنذر بهطول المطر •• الابتسامة تتسع •• والغيوم تغطي الزرقة الصافية •

وولت ساعات والمطر لم تهطل • والصبية تحملق في السماء بلهفة كأنما تروم لو صعدت اليها لتمزق جمود الغيم لتسحب قطرات الغيث لتروي بها الارض بعد ظمأ طويل ، كي يكون المحصول وفيرا • وتزف الى (البك) الذي يجيء اليها كل ليلة بسيارته الزرقاء الفاخرة •• ويهمس في أذنيها عبارات معسولة تحيا على أصدائها حالمة • ولكن المطر خذلتها ، وجمدت في السماء ولم تهطل (والبك) لم يعد الى الحقل أبدا •

دمشق — منور فوال

وهناك ، مزق بعضها ، وأعير بعضها فلم يرد ، وتهافت الجشعون على تراثه مدعين حب الادب - وأدب سعيد بخاصته ، معلنين الرغبة في المطالعة ، وهم كاذبون فيما يظهرون ويكتمون ٠٠ مؤسف جدا أن يصير تراث هذا الشاعر في أيدي جماعة لا تعرف من الادب الا اسمه ، ومؤسف جدا أن أرى رسائله ، رسائله التي كان يكتبها الى من أحبها مخلصا ، في حوزة أناس يمزقونها ، أو يعبثون بها ! ٠٠ ورسائل سعيد جبرين عصير قلبه ، وذوب نفسه ، هي شعره ، وذكرياته ، وآراؤه في الحب والحياة ، كما سترى في النماذج التي سأتبعها في هذا البحث ٠

حياته ورسائله :

ولد سعيد جبرين في قرية (نبع كركر) سنة ١٩٢٢ ، جده لابيه يدعى باسيل جبرين ، كان شيخا وقورا ، يزدهي بشاربيه الطويلين ، وبطربوشه الاحمر ، وقنبازه الطويل الفضفاض على طريقة مشايخ ذلك الزمان ، وكان بيته بيت عز وكرم وجاه ، لا يخلو من الاضياف ، وهو عبارة عن عمارة كبيرة من القرميدالاحمر ذات طابقين واسعين ٠

أما والدة الشاعر فتنتسب الى عائلة (القاموع) من قرية قريبة جدا الى نبع كركر تدعى (كفرون بدره) وقد عرفت عائلة أمه بالذكاء والنجابة ، فخالة الشاعر الآنسة نظيرة هي أول فتاة تعلمت القراءة والكتابة ، وعلمت العربية والروسية في مدرسة القرية ، وحفظت عشرات الابيات من الشعر ، ومقاطع كثيرة من النثر ، فكانت ، وما زالت ، تخطب في كل حفلة تقام ، وتتحدث باللغة الفصحى على ضآلة ما تعلمته في مدرستها ٠

أما خال الشاعر السيد صبحي فلا يعرف من العربية الا قراءتها وكتابتها ، لكنه ، مع هذا يحفظ شعر ابن أخته ويردده بطريقة صحيحة ٠ وعلى ذاكرته أعتمدت في الوصول الى بعض أشعار سعيد ٠

أما أبوه فهاجر الى البرازيل شابا ، ومن هناك كان يرسل المال لزوجته وأولاده الثلاثة سعيدوساميوسلمى ويوصي زوجته بالانفاق على تعليم الاولاد ، ولذلك أدخلتهم المدارس الاميركية حتى ثقفوا اللغتين العربية والانكليزية ٠ وعندما أيفع سعيد ، وأصبح قادرا على التعليم ، عينه أحد قسس البروتستانت معلما في قرية (اليازدية) قرب صافيتا ومن هذه القرية الصغيرة المتواضعة كان يكتب رسائل بوحه وحبه الى صديقته وعشيقته الآنسة (ر٠ب) المقيمة في حمانا بلبنان ، واصفا لها حياته الرتيبة بقرية لا يجد فيها مؤنسا غير الصيد والقراءة والموسيقى - فمن رسالة له بتاريخ ١٢-١١-١٩٤٠ يقول : « ٠٠ وها هي هذه القوة بعد أن رفعتني الى الاوج طوحت بي الى هذا المنفى ، حيث تموت أيامي ببطء ، دون أن يشعر بوجودي أحد ، أو يكون لحياتي نتيجة أو مستقبل ، ولكن يارجاء ، رغما عن كل هذا ، لا أستطيع الا أن أسلم وأرجو ، لولا التسليم والرجاء ما كنت لاحتمل هكذا ٠٠ »

ثم يحدثها في أمر الخطبة والزواج قائلا : « من جهة سؤال الخطبة أرى انك على حق ٠٠ أمي تحبك كثيرا ، وهكذا أهلي ٠٠ انما أنت ترين في أية حالة نحن الآن ٠٠ » وأخيرا يصف لها حياته المملة في تدريس الصغار ، فيقول : « عندي ٣٨ تلميذ كلهم صغار لا يتجاوزون الصف الرابع ، ثم شيء ثان : لا يوجد شاب أو صبية في كل القرية استطيع أن أتحدث اليه أو اليها لذلك أعيش في وحدة دائمة بين تعليم وصيد وموسيقى ٠٠ آه يا رجاء ما أضيق العيش لولا فسحة الامل ! والله يعلم متى سوف أعود الى الجامعة ٠٠ فلنصل ياعزيزتي الى الله حتى يفرج هذه الضائقة » ٠

ومضت مدة ليست بالطويلة ، واذا بسعيد في جامعة بيروت الاميركية ٠ يدرس الادب العربي بنهم لا يرتوي وجوع لا يشبع ، يجمع بين دراسة الادب والموسيقى ، الى أن تخرج في عام ١٩٤٣ بشهادة بكلوريوس علوم في الادب العربي ٠٠ وفي بيروت ، حيث المجال متسع ، وباب اللذات والصداقات العريضة مفتوح على مصراعيه ، أتيح لسعيد أن يتعرف على حب آخر ملهم ، لا يقصد من ورائه الا تغذية مشاعره ، واضرام روحه المتوثبة الى كل جميل ٠

ففي سنة ١٩٤٢ - وهي آخر سنة في الجامعة - تعرف الى فتاة لا أقول أحبها ، وانما أراد لها الخير والانعتاق من سجن التقاليد أراد أن يعرفها على المجتمع البيروتي ، باعتبارها فتاة غريبة ، لا تعرف أحدا ولا يعرفها ، فأظهر لها من اللطف الزائد ، والانسانية البالغة ما جعلها تشك في هذا اللطف ، وتظن الظنون ، فكتب لها رسالة تقع في أربع صفحات من الخط الدقيق يقول فيها :

« ٠٠ ذلك ما هيأته لاجلك ، وذلك ما رفضته وترفضينه ، وفضلت الشاي وبيت الطلبة عليه ، ورفضك هذا له تعليلان فقط ٠٠ اما انك ظننت أنني كاكثر من تعرفين ٠٠ وتساءلت : لماذا هذا اللطف والانسانية ، مع أنني لم أطلب ذلك منه ٠٠ وحاولت التفتيش عن دافع خفي لهذه الانسانية التي لا مكان لها ٠٠ وعلى هذا أرد كما يلي : قد يكون القصد من وراء هذا اللطف ماديا ٠٠ وأنا والحمد لله عندي فوق حاجتي ٠٠ وقد يكون

فنيا ٠٠ وعندي صديقات ، وعندي أشعار « بايرون » و « دي موسيه » وكمنجتي الكئيبة ٠٠ وقد يكون القصد الحب ٠٠ وأنا العن نفسي كل يوم لانني جعلت الحب يقف بيني وبين طموحي ، وقد يكون الشهرة ٠٠ وأنا لو أردت الشهرة لاستثمرت مواهبي بشكل أفضل الخ ٠٠ »

ويعطي سعيد رأيا جيدا في فتاته ، رأيا ينطبق على معظم فتيات الجامعات ان لم أقل كلهن ٠٠ انهن يرفضن كل شخص يريد أن يدعوهن الى حياة أخصب ، فيقول : « ومن هذا الفن أن يشعر الانسان بميل غريزي الى تحسين حياة من حواليه ٠٠ وايقاظ الامكانيات في كل من يحيط به ٠٠ فلست أول شخص دعوته الى حياة أخصب ، ولست أول شخص تعاونت معه ليبلغ ما كان باستطاعتي أن ابلغه لو كان طموحي أكثر أنانية ، ولكنك أول شخص رفض المساعدة والفرصة بعدم مبالاة ٠٠ رأيت عندك مواهب وطموحا ، وفي امكاني أن أساعد في جعل مكانتك أسمى ، وحياتك أغنى ٠٠ فلماذا لا أفعل ؟ »

« ورأيت شخصا يقدم لك برنامجا غنيا بكل ما هو للافضل ، فتعجبت من ذلك لانك ما تعودت أن ترى في محيطك من يعطي أشياء قيمة مجانا ، وقادك ذلك الى الشك في قيمة ما عرض عليك ، اذ أن أكثر شبابنا يقيسون جودة الشيء بارتفاع ثمنه ٠ »

هذه مقتطفات من رسالة الشاعر سعيد جبرين بتاريخ ٧-١٢-١٩٤٢ ، ونرى فيها تحليلا جيدا وعرضا حيا لنفوس الفتيات الجامعيات ومشكلاتهن مع الزملاء ، ومثل هذا يحدث في كل الجامعات ، وبخاصة في جامعاتنا نحن ، حيث العلاقات الشخصية تبدو أدق وأرهف ما تكون ٠

سعيد والقصة :

لقد سلمني ابن عم لسعيد عشر صفحات رثة من دفتر قديم كان قد دون عليه قصة طويلة ، أو بعض أجزائها ، وهي قصة الشاعر نفسه - كما يبدو - سجل فيها انطباعاته وتأملاته ، وذكرياته على شكل رسائل حينا ، ومذكرات حينا آخر ، قصة رومانتيكية ، فيها وجد وشوق وبوح ، وفيها تصوير فني رائع للطبيعة الحلوة التي عاش سعيد في اكنافها صغيرا ، يستوحي صخرها وسنديانها وأنهارها ، اسمعه يقول : « ان العصفور المختبيء في جذوع الجوزة قد أدركه المطر فبلله ، واشتدت العاصفة فأهتزت الشجرة الجبارة من أصولها ٠٠ وصوت الرعد يصم الآذان ، والبرق يبهر النظر ، والعاصفة تضج في جنون ٠٠ والطائر المسكين يرتجف ، ضائع الرشد ، مخلوب اللب ، ثم لا يلبث أن يسقط على الارض جثة هامدة »

« جلست الى قلبي أحدثه ، فرأيته صامتا ، صرخت به فلم يجب ، وهززته فلم يتحرك ، وتوسلت اليه فلم يسمع ، واذا بقلبي قد مات ! ٠٠ لما أزل في العشرين غض الاهاب ، رطيب العود ، وفي هذا السن أحمل قلبي الجامد المشوه وأرميه في زاوية مهملة ٠٠ أعيش غير مبال بالفرح أو الترح ، همي أن آكل وأنام وأشبع رغبات جسدي » ٠

وفي مكان آخر ينطلق سعيد في سرد قصصي مطمئن هادىء وتعابير شعرية جذابة ، دفاقة بالجمال والخصب فيقول : « وأخيرا جلست الى جانبها على المقعد العريض ٠٠ وبدأت حديثي متلجلجا ، ثم انطلق لساني ، وانطلقت غيرتي ، اسمعي يانجل ٠٠ غدا سوف تنأين عن فؤاد ، ويخفيك الافق البعيد ، ويحجبك البحر والغيم عن ناظري ، ولا يبقى لي منك الا ذكرى تنصب في أرجاء قلبي الهرم ، كالبوم بين الخرائب » ٠

أرجو ألا أكون قد اثقلت على القارىء الكريم بهذه الاستشهادات التي لا ابغي منها غير الاشارة العابرة الى الاسلوب الرومانتيكي الوديع ، والانكسار الذي يحمل شيئا من التأبي والشمم ، فسعيد لم يذب في الحب الى حد الضياع والتشتت ، وان كان قد أطعمه قلبه ، وانما بقي محافظا على كيانه ، متزنا ، ومستلهما ٠

لكن ثمة سؤالا قد يجول في الخاطر : أين تتمة القصة ؟ ما هو عنوانها ؟ هل ضاعت فيما ضاع من مخطوطات الشاعر وسرق أم أن بقاياها ما زالت منتثرة هنا وهناك بين مخلفاته الادبية ؟ الارجح أن القصة كملت ثم تبعثرت أوراقها وضاعت ، بدليل أن الصفحات العشر التي تسلمتها في غاية الاتساخ والبلى ٠

سعيد والشعر :

عرف سعيد جبرين بالشعر أكثر من أي لون آخر من الوان الادب ٠٠ وقد أجمع اصدقاؤه ، ومن عايشوه في صغره أنه قال الشعر وعزف الموسيقى صغيرا ، فكانا معا سلوته الوحيدة في غربته ، كما يظهر من خلال رسائله التي استعرضتها فيما تقدم ، ولا يخفى ما للموسيقى من ارتباط بالشعر والعكس بالعكس ، فكان سعيد يستطيع العزف على الكمان كاحسن عازف ، وكذلك المجوز والناي من الآلات النافخة ٠

أما شعره فكان يوقعه على الآلات توقيعا ، أو يعزفه ، لذلك جاء طافحا بالموسيقى اللطيفة ، غنيا بالالحان المتماوجة ، يقول سعيد في قصيدة له بعنوان (حبيبي) :

هذي أنفاس حبيبي والشذا الساري شذاه
والهوى المخنوق بالآه هواه وغناه ..

★ ★ ★

وحبيبي لم يزل غضا غريرا في هواه
ياحبيبي أيها المستوحش البادي لماه
قف تمهل فالدجى ما زال في شرخ صباه

فما قولك بهذه الرقة والعذوبة ؟ وما رأيك بتلك الهاءات المتتابعة في البيت الثاني تصعدها حنجرة عاشق متيم شفه الوجد وأضناه السقم ؟ بل أي افتعال يمكن أن تلحظه على الشاعر ؟ ، انه عفوي بكل شيء ، حتى في هذا التكرار للفظة (حبيبي) .. ان حب سعيد يترقرق كالجدول وينساب انسياب الحرير .. واسمعه في موضع آخر يناجي حبيبته ، وينشر أحاسيسه بأسلوب تصويري لا آنق ولا أجمل :

بالامس كنت النور في ناظري
وكنت ظل الله في خاطري
فهل يعيد القلب افراحه
من بعد ما كسر أقداحه
قلبي دن نفدت راحه
وزورق فارق ملاحه
في وسط لج غاضب ثائر
يهزأ بالربان والآمر
خليه سهران وأفراحه
من بعد ما كسر أقداحه .

ولا يخامرني الشك في أن هذه الابيات عراها بعض التقديم والتأخير ، فتخلخلت من مواضعها تخلخلا كاد يؤذي المعاني .. ناهيك عن أنها اقتلعت من مكانها الاصيل اقتلاعا معتسفا ، وبترت من قدام وخلف .. والذي يشفع لي باختيارها هو اعتمادي بها على ذاكرة خال الشاعر أولا ، وعدم وجود غيرها ثانيا .

هجرة الشاعر :

بعدما أنهى سعيد جبرين دراسته في بيروت هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية ثم استقر في واشنطن يعمل باذاعة « صوت أميركا » وهناك تزوج فتاة اميركية الاصل فعلمها العربية لغة آبائه واجداده وسكن معها في بيت شرقي الطراز والترتيب . وقد حدث من رآه أنه درب امرأته على صنع المآكل العربية ، وعلى الانطباع بالطابع العربي وكل ما هو عربي .. فلم يتأقلم ، ولم (يتأمرك) ولم ينصهر كما انصهر بعض من تزوجوا بالاجنبيات ، وانما بقي هو هو ، عربي القلب واللسان .

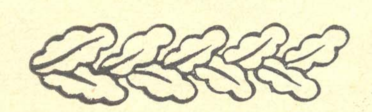
انه اليوم الوصي على دولة الشعر في المهجر بعدما ذهب رجال الرعيل الاول ، أعضاء الرابطة القلمية ، ولا أظنني مبالغا اذا قلت ان سعيد جبرين هو كل ما بقي لنا من أدب العرب في المهجر الاميركي .

قال الاستاذ جورج صيدح في كتابه الضخم (أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية) ص ٢١٨ : «وكان في الوسط الادبي الشمالي أدباء مرموقون خارج الرابطة .. منهم نعمة الحاج ، مسعود سماحة ، أمين مشرق أسعد رستم ، سعيد جبرين ورزق حداد و .. » وتحت عنوان (الرعيل الاول) كتب صيدح ص ٣١٢ من الكتاب نفسه « هناك أدباء طرقوا نيويورك في السنوات الاخيرة ، وانتجوا فيها أدبا أفاد النهضة المهجرية ، وأغنى خزانة الادب المهجري في طليعتهم الدكتور أحمد زكي أبو شادي .. ويوسف الخال الذي حرر في جريدة الهدى ، وأصدر مسرحيته الرائعة (هيروديا) والشاعر المجدد سعيد جبرين ، والشاعر محمدعلي الحوماني و..»

وذكر الاستاذ وديع أمين ديب في هامش صفحة ١٥٦ من كتابه (الشعر العربي في المهجر الاميركي) ما يلي : « في المهجر الشمالي اليوم شاعران شابان نزحا اليه حديثا هما الصديقان سعيد جبرين ويوسف الخال، لست أدري ما سوف يكون منهما ، وكل الدلائل تشير الى مستقبل باهر ان شاء الله . »

لم يبق أحد من أهل سعيد في الوطن ، فقد هاجر أخوه سامي وأمه الى البرازيل ، أما أخته سلمى فتوفيت بعد زواجها بسنوات قليلة ، وخلفت في نفسه لوعة أي لوعة .

ذاكم هو الشاعر سعيد جبرين الذي نبت في أرض الصخر والعليق ، وسفح ما يقارب العشرين عاما وراء الميكروفون في ناطحات السحاب ، وبين الصخر وناطحات السحاب كان لنا شعر خالد نجهل أكثره ، ونهفو اليه والى صاحبه ..



محطات الكأس ...

« مهداة الى الشاعر : خليل خوري »

بقلم : يوسف الحاج

« ان نصف الدائرة التي رسمها **عبد الباسط بحياته القصيرة** .. عجزت أن أضيف اليها مسافة أخرى .. ؟ »

الساعة الحادية عشر تبعث بدقاتها الرتيبة . وقليلون هم الذين يسمعونها في مدينتي ، في مثل هذا الوقت .. ! الليل ينشر رداءه الفضفاض على المدينة النائمة . جميع الاشياء بدت ذات ملامح واضحة في قلب الهدوء المرين على الطرقات . أما المقاهي فروادها قليلون جدا ، الا أنهم من فئة معينة من الناس . فئة مرهقة ، معذبة قلقة ، يقتلها الضياع على منعطفات الشوارع . تحيا على ما يجود به العمر من مصادفات حلوة . شعراء يلوب الحرف على شفاههم بعد أن عاش في ضباب وجدانهم .. أشخاص ملهم الملل . هكذا أجبروا على متابعة الحياة دون أسرة ، دون زوجة وأطفال . تتطلع الى وجوههم فترى الكآبة بأجلى صورها مرتسمة على قسماتها . أخرجت لفافة أرجة ووضعتها بين شفتي ، ورحت أبحث عن الثقاب ، فتقدم النادل وأشعلها بلطف زائد وسألني ماذا أود أن أشرب ، فرجوته أن يتحفني بفنجان من القهوة البرازيلية فهي أصلح شيء أستطيع تناوله في مثل حالتي هذه .

كانت الاضواء المتلالئة المنبعثة من أنابيب النيون تجرح الظلال الناعمة . وتتغلغل بعمق في الصمت المطلق . شلالات وردية .. زرقاء .. أرجوانية .. كان كل شيء يلتهب . صاحب المقهى يبحث في مذياعه عن شيء من الموسيقا تلائم الجو . موسيقا يحبها السكارى والمحبون الفاشلون فهي ترجيع الماضي المدفون في أعماق كآبة الوجوه الحزينة . منعطفات الشوارع كانت خالية من أية مصادفة . الغريب أن الغموض ابتلع كل الحدود . تشابكات انسيابية في كل الاتجاهات .. كانت لفافتي تلفظ أنفاسها الاخيرة . أشعلت لفافة من أخرى لاتفادى لطف النادل الزائد ، واحتسيت قهوتي بشغف ، ومضغت الصمت الابله كما يمضغ المريض غذاءه التافه أحيانا .. الموائد تتبخر . كنت وحيدا أطل من مجلسي على الشارع المقفر . أسمع موسيقا مرسلة من بلاد بعيدة بعد السماء . قطرات المطر تضرب الزجاج بموسيقاها .. ثمة علامة ارتسمت في الفضاء . كان الرعد يقصف . الجداول الصغيرة النحيلة تتجه نحو الاسفل كما قدر لها أن تكون . الرعد يقصف من جديد .. صفعت أذني مرة أخرى : « ليست هنا . انها لدى الخياطة .. » .

كانت الساعة الرابعة مساء حينما وليت ظهري ذلك البيت الانيق باتجاه قلب المدينة .. تلقفتني الحانة بحنان . كنت أريد أن أقتل شيئا في أعماقي .. العطش ، الحقد ، لا لست أعلم ما هو بالضبط تماما . وأرسل قطار عتيق صفاراته في الفضاء .. كنت وحيدا في الحانة شأني الآن في هذا المقهى شبه الفارغ ، وكأن الاصدقاء رحلوا في أسفار بعيدة فتحتم علي أن أسرد كآبتي للكأس .

من جوف الكأس تهادت زنبقتان نضرتان أحلى من النغم . شربت كثيرا من على ضفافهما وكانتا تطلبان امتلاء الكأس من جديد . لم تبقيا ساكنتين أبدا .. فهذه ألحان « شيش كباب » تعصف .. أربع أيدي تتلويان في الهواء الارج .. أربعة أقدام عارية تتنقل بهمس على أرض الغرفة العارية .. حفيف ثوبين جميلين يملأ الغرفة بندائه العذب .. عيون حالمة أكثر صفاء من السماء في نهار صيف هادىء .. واختلطت رائحة العطر برائحة العرق الندي . أعيد اللحن عدة مرات متواليات حتى انفرطت حبات العقدين وتدحرجت على الارض العارية . زهرة سوداء وحيدة في مزهرية أنيقة . رقص ومشاعر .. ثم التعب كل الاشياء تشابكت من جذورها وضاعت حدودها واكتنفها الغموض .. كانت كل منهما ترقص من أجلي وفي حناياها شعور مبهم بأنني أحبها . ! ومع الكؤوس التي دفنتها في معدتي ، كانت روحي تشتد ظلاما ، تتسرب تحت غمر الضياء نحو كهف قاحل رطب تراكمت فيه الذكريات تراكم الاحداث في مخيلة رجل عجوز .

المقهى فارغ . جميع الموائد تبخرت . ثمة رجل يدور حول المقهى . كوب القهوة أضحى فارغا أيضا . المذياع الذي أشاع الهدوء في نفسي صمت . صاحب

المقهى يختلس النظر الي وهو يتصنع قراءة صحيفة ما ، يستحثني على الرحيل . الساعة تعلن الواحدة صباحا . لم يبق من المصابيح سوى مصباح واحد يتوهج في جو محتمل جدا ، أستطيع أن أتلاشى فيه لبضع ساعات أخرى لو تيسر لي ذلك . كانت جميع الاشياء تحترق في الصمت المقدس .. وملايين النجوم كانت مطفأة ، أو هكذا قدر لها أن تكون . السماء حزينة جدا .. !
انطلقت الى الشارع بعد أن زررت معطفي .. كان الهواء جليديا يخز جبهتي بعنف وضراوة . كنت أتوقع حدوث شيء ما .. فمعدتي تؤلمني كثيرا ، وجبيني أضحى كقطعة ثلج . لم أعد أشعر بشيء مطلقا سوى النار المضطرمة في معدتي المحترقة .. ومن خلال نافذة مضاءة سمعت ألحان الفالس ، وألحانا اسبانية . رأيت أطيافا نحيلة ترتسم في الفراغ .. ثمة قهقهات ناعمة وغمغمات أعذب من الشعر .. طبول المامبو تغني أناشيد الهوى والليل .. وفي الجانب الآخر نثر الشقاء على الوجه الآخر للحياة . عادت النغمات الاسبانية كرة أخرى . وأحسست بالزنبقتين تستريحان على صدري الصافر المطلق موجات من السعال الجاف . سمرت في مكاني ساعة ونيف . هدأت العاصفة في معدتي ، وتجددت النشوة في رأسي .. لقد كنت في منجى من سيل الرياح الباردة .. في كوخ حارس ليلي مهجور ..

بلى انها لدى الخياطة . وفكرت في كآبتي النامية كخيوط الفجر المغتسلة على شطئان الضوء المبحر نحو الولادة . أرتال من السيارات اصطفت بدقة على جانبي الشارع الممتلىء بالبرك الصغيرة . غسلها المطر فبدت سطوحها لامعة تحت انعكاسات الضياء . هالات من الضباب تلتف حول مصابيح الشارع .. ومع الموسيقا انهمر المطر بغزارة في اللحظة التي صممت فيها على الرحيل نحو البيت البعيد .. وأبحرت من جديد في استغراقة وسنى .. كانت المقبرة كئيبة ككآبة السماء الخريفية .. وفي أقصى الجانب الغربي توسد حبي الاول مساحة من الارض القفراء حتى من العشب .. مساحة تنشد وحدها نشيد القبور .. ومن في القبور .. مساحة فريدة يعتليها رسم حزين لكل نضارة الصبا الربيعي الجميل .. هذه المساحة هي جزء من لحن شتراوس الخالد : هكذا تكلم زرادشت .. واحتويت في صدري النشيد فسقطت الزنبقتان على القبر في شبه هزيمة منكرة . وركعتا أمام كبرياء الحب الاول في ذل وعبودية أصيلة ..

كانت السماء الرمادية ترجع النشيد وتغنيه بذاتية واضحة .. ومن المدى البعيد رن ناقوس متقطع وتعالت الاناشيد الدينية ترتلها أطياف سوداء ، بينما سحب الغبار تحجب الموكب الجنائزي الطويل .. !

مع خيوط المطر .. مع الموسيقا الاسبانية .. رجعت من المقبرة محملا بالدموع الدافئة غموض .. كأن الاشياء ليست في أماكنها ..

الشارع خلا من ارتال السيارات . طلائع النهار غمرت بالوضوح كل الاشياء التي كانت محتجبة منذ وهلة – المصابيح انطفأت ، والضباب تلاشى من حولها .. ثمة شخص يدور .. شيء مفقود .. تشابكات وفوضى ..

فكرت من جديد في سبب كآبتي .. وجرجرت أقدامي على الحجارة السوداء نحو البيت البعيد الفارغ . عدت من رحلتي التعيسة الى الواقع الدافع الى الجنون .. عدت من أرض الضمير المقدسة . استعرت النار في معدتي من جديد في الوقت الذي ولجت فيه عتبة بيتي .. واتكأت على المغسلة .. كان جبيني يتفصد عرقا . وكل برد العالم أخذ يرشح من أوصالي المرتجفة .. انها لدى الخياطة . الموسيقا الاسبانية . الاطياف الناعمة . كوخ الحارس الليلي . الحانة ، المقهى ، المقبرة .. دوامة هائلة أخذت تعصف برأسي .. ودارت الارض عدة دورات بسرعة هائلة أيضا .. خيوط من الدم القاني انسالت على بياض المغسلة .. الزنبقتان والكوب الممتلىء بالسائل الابيض .. صور شتى من الشوارع المقفرة ، على منعطفاتها تنطفىء الفرحة الكبيرة .. وتموت المصادفات بسرعة – الحنين الى عود ثقاب أشعل به لفافتي الاخيرة ، لفافتي السجينة . الاقدام العارية التي رقصت من أجلي . كل هذه الاشياء قرأتها في خيوط الدماء المنسابة على البياض القذر .. وهتف هاتف في أعماقي – لن أشرب ثانية – كان ثمة قبر يفتح أشداقه السوداء ليبتلعني . كنت أرى صلة وثيقة بين رنات الناقوس المتقطعة وبين خيوط الدماء النازفة من معدتي المحترقة . لن أشرب ثانية .. وشعرت بعداء مرير لكل الاصدقاء الذين لا ذنب لهم . ولعنت الليل البارد .

غلغلت الى غرفتي . دفعت بعود ثقاب ملتهب الى جوف المدفأة .. ثم ارتميت بكامل ثيابي على السرير ، وقبل أن أغمض عيني رنوت الى الاطار الاسود المعلق في الجهة المقابلة . بيد أني لم أر شيئا ، وشددت تركيزي لكن الرؤية لم تسعفني أبدا .. لم أستطع سوى تمييز الاطار الاسود اللامع ..

ولما كنت لا أقدر على النوم ، أشعلت لفافتي وشرعت أدخنها بقرف . فقد كان طعمها نتنا كريها .

الحرية والاخلاق والتحقق

بقلم : عدنان بن ذريل

السؤال الذي يطرحه البحث الاخلاقي اليوم على المفكرين ، والاخلاقيين ، هو الآتي : أيهما أفضل للاخلاق قيامها على أساس علمي ، من تقرير للواقع ، وتصنيف للوقائع ٠٠ أم اصطناع النظرة المذهبية ، المعيارية لها ، والتي تكون في الخير ، أو المنفعة ، أو الكمال ؟٠٠

وفي الحقيقة ، ما تزال ثمة ، والى اليوم محاولات فلسفية ، مذهبية ، في الاخلاق ، الا أن البحث العلمي الحديث يكاد أن يجعل من الاخلاق علما مستقلا عن الفلسفة ، يقوم على التقرير ، والتصنيف ٠٠

هذه المشكلة المنهجية ، تثيرها الوجودية اليوم ، بصورة تلقائية ، وتحاول حلها ، وحل مشكلة الاخلاق فيها ٠٠ ذلك أن الوجودية في أساسها ، بحث في الوجود ، والموجود ، قوامه أيضا التقرير ، والتصنيف ٠٠ فهي تصف الواقع الوجودي ، وتصنفه ، كي تتدبره ، وتتأمله ٠٠ سواء كان استبطانيا ، أو جماعيا ، أو تاريخيا ، أو حضاريا ٠٠

وقد درج الفلاسفة الوجوديون في تحليلاتهم ، وأوصافهم ، وتصنيفاتهم ، وتفنيداتهم يعزلون البحث الواقعي عن البحث الاستنتاجي فيها ، كما يعزلون وجهة النظر الوضعية ، عن وجهة النظر المعيارية فيها أيضا ، ومن هنا انكار بعض هؤلاء الفلاسفة للاخلاق ، أو جعل البعض الآخر الاخلاق في معزل عن البحث الوجودي ٠٠

لقد أنكر كيركجورد الاخلاق في الوجودية ، وذلك بناء على تأمله التجربة الدينيـة ، والمعاني الدينية ، فالاخلاق متناقضة ، وتنفي الذاتية ، لانها تقوم على العام ، وفي العام اخلاد الى المتوسط ، الامر الذي ينافي الوحدة أمام الله ٠٠

والاخلاق مجال الاختيـار ، وفيهـا يلتقي الكلي بالجزئي ، والماضي ، والحاضر ، والمستقبل ، وهي محك الاخلاص ، والواجب ٠٠ ألا أن هذا الاختيار يقع في نطاق معلوم يكاد ينفي معنى الحرية ، والاخلاص ثمة اخلاص أناني ، والواجب عام يمحو المسؤولية الكبرى ، مسؤولية المتوحد أمام الله ، كما أن في اجتماع اللحظات الزمانية ثلما لحدة كل منها ، وفيه بالتالي تمويه ، وتشويه لمعنى الزمانية ٠٠

أما الدين فانفتاح على المطلق ، وتحرر ٠٠ فمدرج الدين يعلو على الاخلاق ، لانه يباعد عن الحياة الدنيا في حين الاخلاق تربط المرء بالدنيا ، كما أن السيادة في مدرج الدين لمقولة الالم ، في حين هي في الاخلاق للتعالي ، والظفر ٠٠ وفي الالم ارتفاع ، وتعمق للباطن ، والنسبة الى الله نسبة الالم ٠٠ حقا أن الله حب ، ولكنه حب يقتل ، لانه يتطلب من المرء الاعراض عن الحياة الدنيا ومن هنا حملة الاديان على الحياة ، وحب الحياة ٠٠

الوجود الحقيقي عند كيركجورد اذن، وجود المتوحد

لقد تحول أرجها الى رائحة غثة ، ومع ذلك لم ألقها في المنفضة فهي كل ما تبقى لي من سلوة ٠

الدفء ينتشر من حولي ٠ تخلصت بصعوبة من حذائي الطيني الرطب ومن معطفي الثقيل ٠ ثم دفنت رأسي المريض في فراشي ٠٠ ومن عوالم أخرى سمعت نداء حبيبا يهمس في أذني : « اليك بكوب من الشاي الساخن ، انه يساعدك على النوم والراحة » ٠ لقد كان النداء بعيدا يأتيني من أمداء متشابكة غامضة الا أنني لم أستطع تمييزه عن صـوت آخر حنون ٠٠ صوتان عرفتهما في الماضي ، وأحببت نداءهما العذب ٠٠ تغلغل كل منهما في الآخر كتغلغل الانغام في سمفونية تمجد الانسان وخالقه ٠٠ تمجد العذاب المصلوب على الجباه الصفراء ٠ كان آخر ما تذكرته أن هذا اليوم هو يوم عطلة وسوف أنام حتى صباح اليوم التالي ٠٠ وانداحت في الفضاء صفارات قطار عتيق عتيق ٠٠

حمص **يوسف الحاج**

أمام نفسه ، وأمام الله ، وهو تعلق بالحرية ، وتقبل للمسؤولية ، وكل تصميم للنفس يتأتى في جو من الشك والقلق ، والمخاطرة ، والحصر عنده شعور ميتافيزيقي صحيح لانــه ناتج عن الشعور بالحريــة ، وبالتالي ، بالمسؤولية الشخصية ٠٠

وقد ذهب يسبرز الى القول بالانابة الى الاصل ، والاصل هنا يقابل مدرج الدين عند كيركجورد ، والذي يجعل التوتر بين العام ، والفرد ، والظاهر ، والباطن سبيلا اليه ٠٠ ومن هنا ذهب يسبرز الى القول بتجاوز الاخلاق ، والعلاء عليها ٠٠

فهو يتمثل الواجب على أنه انتقال بين ارادة الحياة وبين التحقق الشخصي ٠٠ والخضوع للقانون ينطوي على الحرية ، ولا حرية بغير قانون ، على حد تعبيره ٠٠ لان في القانون ارتفاعا الى الضرورة العقلية ، ممثلة في القيمة ، وهي عنده تنتهي الى أن تكون مطلقة ٠٠

ولكن القانون ، والواجب كليهما يفقـد الوجود حيويته ، لان الخضوع لهما يؤدي الى السكينة ، وبالتالي الى منع القلق ، والقلق هو العنصر الوجودي الرئيسي الذي يشعرنا بالوجود ٠٠ ولذلك رجح عليهما كفة الحب والايمان ، والتعالي ، والتي تكشف عن الوجود في امتلائه وخصبه ٠٠

ولم يحاول هيدجر البحث في الاخلاق ، رغم تعرضه لبعض معان أخلاقية ، مثل الخطيئة ، والسقوط ، والضمير ، يقرر هيدجر أن الانسان موجود في العالم ، وأن وجوده وجود مع الآخرين ، العلاقة مع العالم هو الشعور بالاهتمام في حين أن الوجود مع الآخرين وجود مشترك ٠٠ الا أن الوجود الحقيقي هو شعور الذات بقيامهــا بنفسها ، متمتعة بحريتها ، مسؤولة عن وجودها ، والوجود الزائف هو الاندماج مع الآخرين ، والانغماس في المجموع ٠٠

والقلق هو الذي يكشف لنا عن وجودنا ، وأنه متناه ، ويسير نحو الموت ٠٠ والقلق صيحة للتحقق الاصيل ، أو هو ٠٠ صوت الضمير الذي يهيب بنـا الصمود ، ويجعلنا بمنجاة من خطر السقوط ، أو الهروب الذي نقفه من أنفسنا ٠ وهنالك نتقبل أن يكون وجودنا وجودا فانيا متناهيا ٠٠

وقد ذهب عبد الرحمن بدوي الى انكار الاخلاق ، ففرق بين الوجود ، والموضوع ، واستلهم صفات الفعل الوجودي ، وحرص على التوسع ، والغزو ٠٠

فالوجود عنده وجودان : وجود الذات ، وهو الوجود الماهوي الاصيل ، ووجود الموضوع ، أي الوجود في العالم ، بين أدوات هي بمثابة مجالات تحقيق الذات لامكانياتها ٠٠ ويرى أن الحرية هي الصفة الاولى للوجود ، وأن المشاقة هي المسلمة الاولى التي يجب أن تبنى عليها الاخلاق ٠٠ الا أن الاخلاق في نظره ، لا وجود لها ، الا بالنسبة للموضوع حيث تجتمع الذوات المختلفة ، وتصطدم فيما بينها ، وتحدد بذلك المعاني الاخلاقية المختلفة من واجب ، وفضيلة ، وخير ، وسعادة ، والتزام٠

والاخلاق على ذلك الشكل تحجر وتناقض ، لانها تفقد الوجود الحرية ، وهي سر الابداع ، وبغيرها يبقى الامكان معلقا أبدا ، وتفقده المشاقة ، والتي تقوم على الاخذ بالاطراف المتناقضة في وقت واحد ٠٠ ولذلك يرى أن الوجودي الحق هو المتوحد الاكبر الحريص على المسافات ، وانه الحرية نفسها ، والفعل الدائم ٠٠ فالوجود الذي تضعه القواعد العامة وجود نازح ، بينما الوجود الحق حي ، ثر ، عامر بالامكان ، وبتحقيق الامكان ، ومن هنا استجاز لنفسه قولته : افعل ، ما شئت ما دام جديدا ٠٠

تلك مناحي قيمة ، في السلوك ، والاخلاق ، وهي بين منكرة للاخلاق ، وبين قائلة بأنها في معزل عن البحث الوجودي ٠٠ وأننا نميل الى القول بأن الاخلاق في معزل عن البحث الوجودي ٠٠

فالمعيار في نظرنا هو القاعدة القانونية ، والقانون في تنظيمه سلوك الناس ، واراداتهم في المجتمع يتضمن الحرية ، بحيث أنه يؤكدها ، ويضمن للناس السلامة ٠٠ والموضوع في معظم الاحيان يغلب الناس على أمورهم ، ويغلب النفس في ارادتها ، وغلبة الموضوع باستمرار تكسح الذات بمواقف ، وأفعــال ، تبادرها الذات ، بالتقويم ، أو الانسياق ، أو التعالي ، أو الثورة ٠٠ الا أن ذلك ليس عشوائيا ، وانما حسب تلقينات مدرج المثل الاعلى ، في الوجود الماهوي ٠٠

والفعل المنجز يتم المرة تلو المرة من احالة بين المدرجين ، والمستويين ، ومواقفهما ، وأفعالهما ٠٠ ومثل الذات هي مثل الانتصار ، وهي الامانة ، والكرم ، والنفع العام ، والتضحية ٠٠ وهي أيضا منجزات ماهوية ، تكسب الموقف ، والفعل اللذين للذات في تفردها ، أو في حياتها مع الآخرين قيمتهما ، ورونقهما ، ولا غرو أن تكون وراء القاعدة القانونيــة ، ووراء التحقق المليء والخصب ٠٠ الانجاز هنا ارادي ، حر ، ومسؤول ، ولا دخل للمعيار فيه ، من حيث أن المعيار يتلاشى في الانابة الى الوجود ، أو في الاحالة بين الافعال ، والمواقف ٠٠ واذا استجزنا أيضا صيغة الامر قلنا : افعل ما شئت في الوجود ٠٠

دمشق **عدنان ابن ذريل**

لست أهوى الحياة يارب بعده

شعر : محمد حيدر

لست أهوى الحياة يا رب بعده
كيف أبقى حيا وقلبي عنده
شط عني فبات عمري جحيما
أقطع الوقت نهدة اثر نهده
ليس في الكون ما يغير عهدي
ورجائي ألا يغير عهده
لرضاه كرست كل جهودي
وهو نحو الهجران كرس جهده
أنا عبد لله ٠ هل يغضب الله ؟
اذا كنت في المحبة عبده
ان سعدي معلق برضاه
أسأل الله أن يخلد سعده
مسني الضر هل رجوع لما كنت
عليه أم ليس للقرب عوده
كيف ينسى زندا توسده اني
توسدت ليلة (العمر) زنده

كيف ينسى خدا توسده خدي
محال ٠ فكم توسدت خده
كم وكم وردة زرعت بخديه
وحق الاله ما خنت ورده
كم ليال طوقته بذراعي
وكم ليلة تظللت جعده
ان وجدي به يقصر عنه
وجد (قيس) ولو يضاعف وجده
أحسب الكون كله راقصا يختال
عجبا لما أداعب نهده
ان كساني بردا من الحزن نمنمت
له من وفائي المحض برده
جاوز الحد في تجنيه لا أملك
شيئا اذا تجاوز حده

محمد حيدر

اغنية للصمت

شعر : حسن الخطيب

أيها الصمت تلقف
أنا أهواك بعيدا
أنا أهواك عميقا
دون أن أدري فاني
أنا أحيا لا لشيء
لا لاحلام عذارى

كل دنياي وخذني
تتوارى خلف حزني
تسلب الاعوام مني
ضقت ذرعا بالتأني
لا لقبح ، لا لحسن
لا لانداء التمني

* * *

أنا طيف ضاع يوما
أقفل الماضي طريقي
فتلمست سبيلا
يضرم اليأس ابائي
غير أني كنت أحبو
وترى الدرب مزيج

في جحيم النائبات
وغزا الوهم حياتي
مفعما بالامنيات
ويثير العزم ذاتي
من سبات لسبات
من شبابي ورفاتي

الكويت ـ حسن الخطيب

المؤتمر الدولي لقواعد الفهرسة العلمية

بقلم : يوسف أسعد داغر

بين القضايا البارزة التي تهتم لها المنظمات الثقافية الكبرى في العالم والمنظمات المكتبية ، المؤتمر الدولي لقواعد الفهرسة العلمية الذي سيعقد بين ٩ - ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) في قصر الاونسكو في باريس، والذي ينشط لاعداده الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات في العالم ، بالتعاون مع منظمة الاونسكو وغيرها من المؤسسات العلمية والثقافية الدولية التي تعنى بهذه الامور عناية عالية ٠

والمؤتمر المذكور الذي يجري اعداده وتهيئة موضوعاته العامة منذ أكثر من سنتين بهمة ونشاط كبيرين ، سيتناول ناحية هامة من نواحي النشاط الفني في دور الكتب في العالم وناحية الفهرسة العلمية وتقعيدها على علم واصول يجنبان هذه المكتبات التباين والاختلاف الذي نراه بين الكبريات منها فكيف بنامعه في الصغريات، بحيث توحد هذه القواعد والاصول في جميع مكتبات العالم فيسير الكل على قواعدها الواحدة السوية ، فتزول بذلك ما نشاهده في أعمالها من هذه الناحية ، من معالم البلبلة والتشويش الذي يجب ان يتنزه عنها ما امكن كل عمل علمي يطمع بالكمال الاتم ٠

الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات والمؤتمر :

وراء فكرة المؤتمر المذكور والعامل الاكبر في اعداده وتنظيمه ، منظمة دولية لها شهرتها العالمية والعلمية بين المنظمات الدولية والثقافية هي الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات في العالم International Federation of Library Associations هذا الاتحاد الذي يشار اليه عادة بالاحرف الاولى من اسمه الكامل ممثلة كما يلي : I. F. L. A. اذا ما جاءت تسميته بالانكليزية ، أو بالاحرف F. I. A. B. اذا ما جاءت بالفرنسية وهي مختصر :

Féderation Internationale des Associations des Bibliothécaires

والاتحاد المذكور هو عبارة عن تجمع نقابي مسلكي قوامه اشتراك جمعيات أمناء المكتبات في العالم في اتحاد دولي واحد مركزه باريس ٠

والمعروف ان معظم الجمعيات المكتبية في العالم منضمة الى هذا الاتحاد وذلك وفقا لاحكام وقواعد مقررة لا بد من التقيد بها والعمل بموجبها ٠ فعلى كل جمعية من جمعيات أمناء المكتبات ان تتقيد بها اذا ما رأت الانتساب للاتحاد المذكور ٠ من هذه القواعد التي لا بد منها للانتماء للاتحاد ، التقدم بطلب انتساب لرئاسة الاتحاد في باريس ، ودفع رسم اشتراك معين للحصول على العضوية الفعلية ٠

ويؤازر الاتحاد الدولي للمكتبات في مسعاه الكريم لعقد المؤتمر المذكور عدد من المنظمات الدولية التي تهتم بهذه الناحية في طليعة هذه الهيئات :

١ - **منظمة الاونسكو** التي ترعى المؤتمر من بعيد، فتبرعت بوضع جانب من قصرها المنيف في باريس تحت تصرف المؤتمر يعقد فيها اجتماعاته القادمة ٠

٢ - المجلس الاميركي للموارد المكتبية :

الذي بكرمه وسخائه مكن الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات من اعداد المؤتمر المذكور ٠ فقد تبرع المجلس الاميركي المذكور بمبلغ ٩٥٤٢٠ دولار لتغطية نفقات اعداده وتأمين اشتراك بعض الوفود الدولية بتحمل نفقات سفرهم واقامتهم في باريس طيلة انعقاد المؤتمر ٠ وهذه الهبة هي الثانية التي يجود بها المجلس الاميركي للموارد المكتبية ، اذ راحت الهبة الاولى التي تبرع بها للاتحاد في سبيل تأمين اجتماع الفئات المعنية باعداده ، في لندن ، في تموز ١٩٥٩ ، لتهيئة اعمال المؤتمر وتنسيق نشاطه وتأمين الانسجام في شتى أقسام هذا النشاط وفروعه ٠

ويطيب لنا ان نذكر بهذه المناسبة ان المجلس الاميركي للموارد المكتبية نشأ في واشنطون عام ١٩٥٤ لتأمين الموارد يقتضيها تطوير الخدمات المكتبية في أميركا وفقا للخطط التي تضعها الجمعية الاميركية لامناء المكتبات التي تألفت عام ١٨٧٥ ، والتي تضم من الاعضاء أكثر من ٣٥ الف عضو مشترك ٠ ويرأس المجلس المذكور صديقنا الاستاذ ورنر كلاب الذي كان الامين المعاون الاول لمكتبة الكونغرس في واشنطون ، يوم شرفتنا ادارة المكتبة المذكورة بدعوتها لزيارتها بقصد تنظيم القسم الشرقي فيها ، عام ١٩٥٢ ٠

وسيعقد المؤتمر تحت رعاية لجنة توحيد قواعد الفهرسة التابعة للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات وأعضاء هذه اللجنة هم :

السير فرانك فرانسيس مدير المتحف البريطاني بلندن ، (رئيسا)

كيتارو امانوا ـ اليابان

دكتور فرناند اسكاريللي ـ روما

دكتور هيلموت براون ـ ألمانيا

السيدة لويزا موتيرو ـ البرازيل

بافل كالان ـ يوغوسلافيا

الآنسة ايما ليناوس ـ الولايات المتحدة

دكتورة هيلين لوبنشتين ـ فيينا

سيمور لوبتزكي ـ الولايات المتحدة

الآنسة ماندر جونز ـ لندن

دكتور اندر اوزلورن ـ استراليا

دكتور موستا اوترفيك ـ السويد

دوجيه بيروه ـ فرنسا

بول بواندرون ـ فرنسا

شرى بينو يندرا سنجوبتا ـ الهند

السيدة فاسيليفيسكا ـ روسيا

وابلي دايت ـ الولايات المتحدة

وستنظم الاجراءات الفعلية لعقد المؤتمر بواسطة لجنة خاصة هي لجنة تنظيم المؤتمر .

لجنة تنظيم المؤتمر ـ شكل الاتحاد الدولي لامناء المكتبات لجنة عليها خاصة عهد اليها بأمر تنظيم المؤتمر، تتألف من السادة :

بول بواندرون ممثل لمصلحة المكتبات العامة ـ باريس ، الدكتور لودفيغ سيخمان ـ ألمانيا ، مستر ا ه . تشابلين عن المتحف البريطاني ـ لندن ، الآنسة فاجيدا الكسندروفينا لافرون عن الاتحاد السوفياتي ويقوم السيد تشابلين بوظيفة السكرتير التنفيذي . واتخذت اللجنة مركزا لها في مبنى المكتبة المركزية الوطنية في لندن (National Central Library) وعينت اللجنة المذكورة السيد هنريك جونز ، العضو في جمعية أمناء المكتبات الانكليزية أمينا مساعدا لها .

وعقدت اجتماعها الاول في باريس ، بتاريخ ٢٦/٢٧ شباط (فبراير) ١٩٦٠ .

أعضاء المؤتمر ـ قررت لجنة التنظيم العليا أن يكون الاشتراك في المؤتمر على أساس التمثيل الوطني ، فتنتدب جمعيات أمناء المكتبات الاعضاء في الاتحاد الدولي ، بعد التشاور مع المنظمات الفنية التي تهتم بمثل هذا النشاط في البلد وتبادل الرأي معا ، عضوين يختاران من بين الاختصاصيين بأمور المكتبات ، ولا سيما بالفهرسة ، على أن تتحمل ادارة المؤتمر نفقات نقل أحدهم ، كما تتحمل جمعية أمناء المكتبات في البلد المختص ، نفقات الموفد الثاني ونفقة اقامته في باريس خلال المؤتمر .

أما اذا لم يكن في البلاد جمعية خاصة للمكتبات ، كلفت منظمات أخرى تهتم بمثل هذا النشاط وترعاه للتشاور فيما بينها لتؤلف وفدا رسميا يمثل البلاد في المؤتمر وسترسل دعوات المؤتمر الى منظمات دولية تعنى بأمور المكتبات وتطوير خدماتها ، كما تعنى بالتقميش وجمع المعلومات والمصادر من منظماتها، كالجمعية المعروفة (Fédération Internationale de documentation) ومنظمات الاتجار بالكتاب والمكتبات التابعة للامم المتحدة أو للمنظمات المرتبطة بها . وسيحضر المؤتمر كذلك عدد من المراقبين ينتمون لعدد كبير من الجمعيات العلمية في العالم .

غاية المؤتمر وأهدافه ـ يستهدف المؤتمر من عقده الوصول الى تقعيد أصول الفهرسة العلمية على منهج سوى واحد ، موحد تحتذيه المكتبات وتنهج عليه في أعمال الفهرسة ، كما يستهدف تحديد مدلول الالفاظ والمصطلحات العلمية التي تدخل على نطاق واسع في عملية الفهرسة على اختلاف مناحيها . فقد دلت التجربة والاختبار الطويلان على أن هنالك تباينا ، قد يخف او يشتد بين المناهج المتبعة حتى المتقاربة بينها ، وما يجره هذا التباين من بلبلة وتشويش وارتباك في البحث العلمي . وتفاديا لهذا كله ، رأى الاتحاد الدولي لجمعيات أمناء المكتبات ان يدعو لعقد مثل هذا المؤتمر يشترك فيه كبار الاخصائيين بأمور الفهرسة ، للاتفاق بينهم ، على ضوء الخبرة الواسعة والتجربة العريضة ، على أصول وقواعد يرسون عليها عمليات الفهرسة ، فتقعد على اسلوب واحد موحد يجرون عليه في جميع المكتبات ، وبذلك يتفادى الباحثون البلبلة والتشويش اللذين كثيرا ما شكوا منهما في مباحثهم وتحقيقاتهم .

ولكن يوفر المؤتمر لاعضائه مواد البحث والموضوعات العامة التي تتصل من قريب او بعيد بموضوع الفهرسة، طلبت لجنة التنظيم ، الى المنظمات المكتبية في البلاد

الاعضاء ، تزويدها بكل ما لديها من أصول ومصادر ومراجع هي الآن قيد الاستعمال او الاعداد ، مما يتصل، على أقدار بالفهرسة ولا سيما بفهرسة الاسماء المركبة وتحديد المصطلحات الفنية التي يجري استعمالها في قواعد الفهرسة . وعهد سكرتير لجنة التنظيم الى عدد من الاخصائيين في الدول الاعضاء ، اعداد مواضيع للبحث تؤخذ مادة لاعمال المؤتمر ومناقشاته العامة ، بعد ان تكون لجنة التنظيم اجالت فيها النظر وامنت الانسجام فيما بينها .

مواضيع البحث والنقاش – يرى القارىء فيما يلي أهم الموضوعات العامة التي كلفت لجنة التنظيم بعض الخبراء باعدادها وهي موضوعات من المتوقع ان يجري توزيعها قريبا على جمعيات المكتبات الاعضاء بعد الفراغ منها للنظر فيها وابداء الرأي والنظر .

١ – العلاقة القائمة بين مبادىء الفهرسة والمبادىء الاخرى المتبعة في بعض الاعمال الببليوغرافية – لاندرون اوزبرن .

٢ – وظيفة المدخل الرئيسي – سيمود لوبتزكي

٣ – وظيفة المدخل الرئيسي – ايفا فيرونا

٤ – وظيفة المدخل الرئيسي – مقارنة بين القواعد التي يعتمدها كل من لوبتزكي وفيرونا – ل . جولي .

٥ – المشاركة في التأليف – أولا : ما هي الكتب التي تدخل تحت اسم مؤلف مشارك – فايز يلفساكايا

٦ – المشاركة في التأليف – ثانيا : صيغة الرؤوس للكتب المتعددة – ثالثا : مصير المؤلفين المشاركين الاخرى – سوزان هونوريه .

٧ – تعدد المؤلفين – هلموت براون

٨ – مدخل الكتب الغفل تحت صيغة معينة للعنوان – روجيه بييرو .

٩ – اختيار المدخل للمؤلفين الذين تتغير أسماؤهم – باوله كالون .

١٠– معالجة الاسماء البرتغالية والبرازيلية – ماريا لويزا مونتايرو داكونيا .

١١– مشكلة الاسماء الهندية – بنوياندرا سنغوبتا

١٢– معالجة الاسماء العربية – محمود الشنيطي

١٣– مصطلحات الفهرسة في البلدان الناطقة بالاسبانية في أميركا اللاتينية – ايما ليناريس .

١٤– معالجة الاسماء العبرية والعنوان المدخل في الكتب العبرية – ايدلمان .

١٥– فهرسة الكتب اللتيورجية والنصوص الدينية في الفهرس الهجائي – روث ايزنهارت .

١٦– فهرسة الكتب المسلسلة ومشكلاتها – بول ذلكين.

وسيضاف الى هذه المباحث ، موضوعات أخرى سيعلن عنها في حينه . وهكذا نرى ان المؤتمر سيتناول موضوعات عديدة يشدها بعضا الى بعض صلات متينة وعلائق وطيدة تدخل في صميم الفكر الفلسفي الذي هو أساس كل عملية تصنيف عامة .

أهمية المؤتمر – الحرص الشديد الذي تبذله لجنة التنظيم في اعداد المؤتمر الدولي لقواعد الفهرسة والعناية الفائقة التي تحيط بها القضايا التي تؤمن نجاحه هي من صفات المؤتمرات الدولية التي ان دلت على شيء فعلى الاهمية البالغة التي يعلقها المشرفون على اعداد هذا المؤتمر ونجاحه في أمور تعود على العلم عامة وعلى المكتبات العامة وفن تنظيمها خاصة بالخير العميم .

والمؤتمر المذكور يحصر نشاطه في ناحية واحدة ، مهمة جدا من النواحي العديدة التي ينحسر عنها العمل الفني في المكتبات الحديثة وعلم ادراتها اليوم ، هذا الفن والعلم اللذان بلغا من عناية المشرفين في الغرب بهما، والقوامين على أمور الثقافة فيه ما جعلهم يسيجون حول أمناء المكتبات واحاطتهم بالعناية التي تستوجبها المسؤوليات التي يضطلعون بها ، بما يسيجون ويحيطون به ، اعداد الاطباء والمهندسين وغيرهم من رجال الاختصاص .

ويرجو المؤتمر والعاملون على اعداده ان يخرج المؤتمرون من أبحاثهم ومناقشاتهم حول تأصيل قواعد الفهرسة العلمية ، بقرارات تساعد على تقعيد هذه القواعد على اصول عامة واحدة من المنهجية والاسلوب بحيث يجري اعتمادها والسير بموجبها في كل مكتبات الارض، كبيرها وصغيرها ، اينما وقعت وانى ما حلت ، فيقضون بذلك على عوامل البلبلة والتشويش والارتباك التي تخلخل عمل الباحثين والمنقبين فتحول دون تأصيل مباحثهم وتسفيرها على علم باصول .

واننا لنرجو ان يشترك بهذا المؤتمر الدولي ،اكبر عدد ممكن من خبراء المكتبات في الشرق العربي فيساهمون بمناقشات المؤتمر ومباحثه بما لهم في هذا المجال ، مجال الفهرسة ، من خبرة واسعة وتجربة ثابتة ، وبذلك يساهمون في ارسال قواعد الفهرسة على أصول راسخة.

يوسف أسعد داغر
خبير بفن المكتبات



اللوحات المتكاملة في ديوان « عبق »

بقلم : يحيى حاطوم

ينتزع الشاعر اعجابنا في صورة من قصيدة ، ولكنه يمتلك مشاعرنا ، ويسيطر على حواسنا اذا أعطانا لوحة تامة موحية ، معبرة ، مثيرة ذات ألوان ، وظلال ٠

نعجب بالصورة في حد ذاتها ، أما في اللوحة فاعجابنا يتأتى ، ويتضاعف ، بمجموعة الصور المتسلسلة، المترابطة ، المنسقة ، المتمادية في العمق ، والسعة ٠

والعمل الادبي سواء كان صورة مفردة ، أو مجموعة صور « لوحة » ، فلا يتكامل الا اذا توفرت له ثلاثة عناصر ٠

١ ـ الحركة الشعورية ، ومدى قوتها ٠

٢ ـ القيمة التعبيرية ، ومدى مواتاتها ٠

٣ ـ الاطار الفني الذي يزاوج بينهما ، ويبلغ معهما ذروة التكامل ٠

ولا أراني مغاليا اذا قلت : ان هذه الخصائص متوفرة ، ومتزاوجة ، ومتساوية ، بنسب طبيعية في ديوان « عبق » الذي أصدرته دار الثقافة للشاعر حامد حسن ٠

فالشاعر عاش شعره ، وانفعل في كل صورة ، وتمثل مراد كل كلمة من كلماته ، وواتاه التعبير ، ولم يبخل عليه الفن بمعطياته ٠

ويمتاز هذا الديوان ـ بالنسبة لهذه الحقبة الاخيرة من العطاء الادبي ـ بالغنى ، والخصب ، والترف ، و ٠٠ « باللوحات المتكاملة »

هذه اللوحات غير متوفرة في أدبنا العربي ، اذا لم نقل معدومة ، بينما تعتبر من مميزات الآداب الغربية، « فالاناء الكسير » ، لسلي بريدوم و « بحيرة » لامارتين ، لا نظير لهما في شعرنا القديم ، ولا المعاصر ٠

ولماذا ؟؟

لان لادب كل أمة مميزات ، وخصائص ، وروافد ، تميزه عن غيره ، وقد تكون هذه الخصائص « أصيلة » في طبيعة الامة وبيئتها ، وقد تكون « عارضة » في طبيعة الاحداث ٠

فالخيال والعقل العربي « السامي » نسبة الى الساميين ـ المستوفر المأخوذ بالمجردات ، والكليات ، يختلف في أهدافهما ، وأغراضهما ، ومعطياتهما ، عن الخيال والعقل الغربي « الآري » المأخوذ بالمادية والجزئيات ٠٠ فابن الرومي المنحدر من السلالة الآرية ـ وان نشأ ، وتثقف في بيئة عربية ـ فقد ظهرت في شعره هذه الخصائص ، فأعطانا لوحات تامة ، دقيقة ، للاحدب، والخباز ، والزلابية ٠

خيال ابن الرومي وعقليته الآرية أعطتنا لوحات معجزة ، لما فيها من براعة الوصف ودقة التصوير وعوامل « التكامل » بينما لم يستطع المتنبي وابو تمام العربيان « الاصيلان » أن يتأثرا الا بالحوادث الضخمة كمعارك

سيف الدولة وحرق « عمورية » ٠
ومن هذه المقارنة البسيطة ، والالمامة الخاطفة ، بخصائص العقليتين السامية ، والآرية ، نستطيع القول : ان أدبنا العربي فقير جدا « باللوحات المتكاملة » التي تعتمد على تقري الدقائق ، وترتكز على استقصاء الجزئيات ، ووضوح الالوان ، وربط كل ذلك،وتنسيقه، وعرضه ٠

ومن هنا ندرك قيمة العطاء في ديوان « عبق » الذي أعطانا ما نستطيع به مجاراة ومضاهاة الادب العالمي ٠٠ وسنقصر دراستنا على هذه الناحية ناحية « اللوحات المتكاملة » ٠

اللوحة الاولى

تطالعك في مستهل الديوان قصيدة « جارة » ولا أدري !! أأسميها قصة تامة ؟؟ أم لوحة كاملة ؟؟ فهي تجمع مقومات القصة ، وخصائص اللوحة ٠

هذه الفرقة كما يقول شوقي :

٠ ٠ ٠ كانت ملعبا
لشبابينا ، وكانت مرتعا

غادرتها « الجارة » الحبيبة ، ومضت « للعالم المنطلق » وتركت له :

١ – ملئها عبقا ، واصداء متسعة ، وطبقا بعثرت فوقه قطع من السكر ، وكرسيا فوقه منشفة مبللة ، عطرة ٠

٢ – مرود جفنيها الملقى على جانب الشباك«نصف المغلق » وبقايا غائمة من أنفاسها على زجاجة ٠

٣ – بقايا رماد رسائلها التي تنازلت عنها لنار الموقد ، وقد أغفلت ألسنة اللهيب احداها ، فهي « قلقة » تترجح يمينا وشمالا ، مطاوعة للنسمات المتسللة الى الغرفة ٠

٤ – كوبا « أبيض » يتثاءب أضمومة « اضمامة » من الحبق « الاخضر » الذابل ، وعلى زاويتيه « عنوان » الراحلة ، وكلمة ٠٠ وداعا ٠

فخطوط اللوحة بارزة ، واضحة ، والالوان صارخة ، شابة ، والتنسيق ، والتساوق ، والتزاوج بارع ، أخاذ ، آسر ٠

وهذه المشاركة – مشاركة كل الحواس – في المشاهد ، فالعبق ، والصدى ، والكرسي ، ولمس المنشفة المبللة ، وتقبيلها تشرك حاسة الشم ، والسمع ، والنظر، واللمس ، والذوق ،٠٠ فهل تعمد الشاعر ذلك ؟؟ أم جاءه عفوا ؟؟

في اعتقادي ان الشاعر لما بلغ ذروة الانفعال في الحادثة وانصهر فيها ٠ فقد السيطرة على عقله «الواعي»، وأخذ عقله « الباطن » ينسق الصور ، ويرتب المشاهد ، بعفوية ، وطبيعية ، وهل رأيت ؟؟

١ – الشكل في « نصف المغلق » و « الاضمامة الذابلة » ٠

٢ – اللون في « الكوب الابيض » و « الاضمامة الخضراء » ٠

٣ – الحركة في « اتساق النغم » و « قلق الرسالة ٠

وانه لمن التعذر استقصاء جمالات هذه اللوحة الخالدة التي تجمع كل مقومات الحياة ، المترفة صورا ، وألوانا وأخيلة ، وظلالا ، ونورد هنا بعضها :

غادرت كوخي ، ومحراب الهوى
ومضت للعالم المنطلق
تركت لي ملء بيتي عبقا
أنا لا أعبد غير العبق
وصدى في غرفتي ، في مسمعي
في دمي : كالنغم المتسق
وبقايا قطع من السكر
بعثرت فوق زوايا الطبق
وعلى كرسيها منشفة
بللت بالدمع ، او بالعرق
غرقت بالطيب كفي عندما
لمستها ، وفمي بالالق
وارى مرود جفنيها على
جانب الشباك نصف المغلق
وعلى البلور من أنفاسها
لهثات الشمس فوق المشرق
وكتابا ظل في موقدها
أغفلته النار لم يحترق
قلق ؟ أم موجته نسمة ؟
٠٠٠ انه مثلي كثير القلق
وعلى المكتب كوبا أبيضا
وبه أضمومة من حبق
ذبلت أوراقها من ظمأ
ان قلبي بعض هذا الورق
وعلى زاوية ، عنوانها
وعلى الاخرى ، وداعا٠٠ياشقي

اللوحة الثانية
بيت الشاعر

في قصيدة « سحر » صورة لبيت الشاعر ، وان شئت فقل : لكوخ الشاعر :

علقت عيني نبي شاعر
كوخه في طلة المنحدر

ولـه أرجوحـة مشـدودة
بالدراري ، بالضحى ، بالقمـر
ويقولـون : بنى خيمتـه
من حبـال اللهب المستعـر
ولـه بيت عروس هـاديء
وادع خلف حـدود النظـر
مستحم بالضحى طاف بـه
كل نيسـان ، نـدي ، عطـر
وصبايـا الجن يطفرن على
سطحـه ، في أمسيات السمر
غنة الارغن فيـه ، وبـه
بحـة الناي ، وبـوح المزهـر

هذا هو بيت الشاعر يطل عليك في « طلةالمنحدر » بارجوحته المشدودة بالنجوم ، وخيمته المبنية من حبال اللهب ، وهناك « خلف حدود النظر » يقوم بيت عروسه الهاديء ، الوادع ، يستحم بالاشعة والعطور ، وتهدهده صبايا الجن ، بالانغام ٠

اللوحة الثالثة

امرؤ القيس ٠٠ والعذارى

من الانصاف أن نقول : ان هذه القصيدة ليست « لوحة » بل هي « معرض لوحات » يعجز أي فنان أن يجمع في اطار ـ مهما اتسع ـ هذا العديد من المشاهد والالوان :

أزف الترحل ، فالمطهمة ، العتاق ، الهوج ، تسرج
والفاتنات الهيف ، سكرى الدل ، تبسم للمدجج
هذي على قتب ، يدغدغها الهجير ، وتلك هودج
وأطل فرعاها ـ وما خجلا ـ على الكفل المرجرج
والناهد ، البطر ، المكوز ، دائم الوثبات ، أهوج
وظـلال أهـداب العيون حقول أزهـار البنفسج
رسمت على الحدقات سطرا ، مبهم الكلمات ، اعوج

أحسن تحليل ، وأوفى تعليل وتدليل لجمال هذه اللوحة هو تقديمها للقراء بذاتها ٠٠ لكن الذي أريـد قوله : ان الرسام مهما أوتي من دقة الملاحظة ، ورهافة الحس ، وسعة الخيال ، لا يستطيع أن يرسم بالالوان دغدغة الهجير ، ولا بطر النهد ، وتوثبه ، وهل مرت بين أثلتي قلم شاعر ، أو ريشة فنان صورة معبرة ، دقيقة ، صادقة ؟ كصورة ظلال الاهداب الراسمة على الحدقات سطرا مبهما ، أعوج ، تبعا لاعوجاج الجفن وانحنائه ٠

★ ★ ★

والآن اضبط عواطفك ، وسيطر ـ ان استطعت ـ على أعصابك وقف معي أمام هذه اللوحة المثيرة ٠

وحسان كندة ٠٠
غيد ، رشاق ، عاطرات ، ميس الاعطـاف ، عطل
وتكاد من حر الظهيرة ، والصبا المهتاج ، تشعل
فرمـين بالحبرات ، واستسلمن للمـاء المسلسل
حبب طفا في مرشـف الكـأس المعطـرة المقبـل
أمـا تنظم أو تبـدد ، او تسـاكن او تقلقل
شهب مزعفرة الاشعـة ، بعثرت ، والافـق مخمل

★ ★ ★

٠٠ لنتخط الاجيال محمولين على جناح الشاعـر فنقف مع امرىء القيس في مخبئه يتلصص على العذارى المستحمات مترقبا خروجهن من ذراع المـاء عاريـات ، عابثـات ، لاهيـات ، يثنـين شعورهن عن الترائب ، والمناكب ، والخواطر ، وقطرات الماء ـ ذوب النور ـ تتساقط متتاليـة من جوانبهـا ، محملة بعطورهن ، تنساب في فجوات نهودهن ، كالاحلام في جفني الشاعر الملهم ٠

والشمس على سموها وقداستها تلثم كل شهي نافر من النهود ، مكتنز من الاكفال والارداف ٠

خرج العـذارى من ذراع المـاء يثنين الضفـائر
اللاصقـات على الترائب ، والمناكب ، والخواطـر
والمـاء يقطر من جوانبها كـذوب النور ، عاطر
يرفض في الفجوات ، كالاحلام في أجفان شاعر
والشمس تلثم كل مكتنز ، شهي العري ، نافر
واذا الفتى يبدو ، ويرسل شدقه ضحكات فاجر
متحفز للوثب ، مشتعل الحشا ، لهفان ، ثائر

فهل رأيت صورا مثيرة ، وألفاظا معبرة بحرارة وحركة ، وانفعال ، كهـذه الصور ، وهـذه الالفاظ ، وخاصة ما يمثل الحالة النفسية العارمة المحتدمة عند شاب يتطلع الى مشهد العذارى السابحات المثير فهو :

متحفز للوثب ، مشتعل الحشا ، لهفان ثائر

واراني عاجزا عن الاشارة الى كل ما في الديوان من « اللوحات » والكشف عن جمالها ، في مثل هـذه العجالة ، فهناك لوحة « الخيام » وابن ابي ربيعة في قصيدة « الحقيقة والحياة » و « كوخ الشاعر وأطفاله » ، و « الحلم الرهيب » ٠

لقد كان الشعر في سورية طوال فترة الصراع السياسي يتسم بطابع العنف ، والجفاف ، أماهذاالشعر الـذي يزخر بـه ديـوان « عبق » فهو يعبر عن أعمق الاحاسيس ، ويصور أدق الخلجات،ويعطينا٠٠اللوحات المتكاملة ٠

حمص : **يحي حاطوم**

النشاط الثقافي في الغرب

بقلم : سمير صفار

في ايطاليا :

ظهر في الآونة الاخيرة عدد كبير من الكتب القيمة لكبار الادباء والمفكرين ، ولادباء ناشئين يستحقون الاهتمام ، فقد صدرت رواية جديدة للكاتب الايطالي البيرتو مورافيا بعنوان (سأم) ، فقد أصدر مورافيا قبل ثلاثين عاما كتابه الاول بعنوان (اللامبالون) الذي عرض فيه مشكلة مرض العصر التي يعود اليها الآن في كتابه الجديد ، وموضوع القصة ان رساما محطما فاشلا يدعى (دينو) كان يشعر بالقلق والهم نتيجة ضياعه النفسي، وسبب ذلك أن أمه كانت على جانب كبير من الثراء ، ولكن دينو رفض ان يأخذ منها شيئا بسبب شعوره بكرامته ، فقد ارتضى أن يعيش في مرسم متواضع لانه يؤمن بأن الانسان يبقى غنيا بنفسه ولو كان فقيرابائسا، فقد كان دينو يبحث عن الحياة في مكان آخر غير الثراء، يبحث عنها في الحب وفي الفن ، ويتعرف دينو الى فتاة تدعى (سيسليا) وتنشأ بينهما علاقة عاطفية قوية ، وقد كان حبه لها في البدء جوابا على مشكلته بأن المسرة هي اليقين ، ويكشف بعد مدة ان سيسليا تخونه مع شاب آخر فيشعر بأنها ليست (الانسان الآخر) الذي يستطيع الاندماج فيه وتستولي عليه مشاعر الغيرة وتسخر منه الفتاة ، وبعد ان يعرض عليهاالزواج يتخلص منها بحادثة سيارة ، وفي المستشفى يكتشف انه غريب عن العالم كله ، وان الانسان وحيدا ابدا .. ويصور الكتاب حالة مرضية هي العجز عن التحكم في أياسلوب من أساليب الحياة .

وفي أميركا

يعتبر شيستر هايمز أقوى كاتب زنجي في الولايات المتحدة بعد موت ريتشارد رايت ، وفي قصته الجديدة يتحدث عن حشد من الزنوج المضطهدين في هارلم ، ويصف حياة الفتيات والرهبان والمفاسد التي يعيش فيها الشباب الزنوج ، هذه الحياة المغرقة في المفاسد بسبب شعورهم جميعا بأنهم غرباء في العالم ، فهم مضطهدون عرقيا ، لذلك فانهم يضطهدون أنفسهم ويشعرون بأنهم في حالة مرضية . يعمد المؤلف في كتابه هذا الى السخرية الممزوجة بالمأساة في تصويره لسلوك هؤلاء الاشخاص وتحليل نفسياتهم .

وفي يوغوسلافيا :

ظهرت في يوغوسلافيا كاتبة شابة لم تتجاوز العشرين من عمرها تدعى غروزدانا اولجيك نشرت قصة بعنوان (نزهة الى السماء) تصف فيها تعاسة الطلاب وعلاقاتهم ومسؤولياتهم ، تجري حوادث القصة في يوغوسلافيا والبطلة طالبة متحررة في تربيتها وعلاقاتها الغرامية ، تجد نفسها حامل ، فتثور اولا لانها صغيرة لا تستطيع أن تصبح اما ، ولكنها تحتفظ بالولد بعد ذلك في نوع من تحمل المسؤولية ، والقصة في مجملها وصف واقعي للحياة في بلغراد ، وعلى الرغم من كثرة المشاهد المصطنعة في القصة الا أنها تنم عن موهبة فذة .

وفي اليابان :

ظهر كتاب جديد للكاتب الياباني المعاصر جونيشيرو تانيزاكي بعنوان (حكايتان عن غرام شرس) ، ويعتبر هذا الكاتب من أقوى ممثلي النثر الفني في اليابان ، ويجمع اسلوبه بين تقاليد العبارة اليابانية الشعرية وواقعية الادب الحديث وصراحته ، وقد دخلت الصراحة في الادب الياباني بعد حادثة هيروشيما .

القصة الاولى هي (شونكين) وتروى حياة بطلة يمجدها الكاتب على لسان موسيقي يحبها هو (سازوك)، وشونكين هي ابنة تاجر غني نشأت على الترف والثراء وعاشت مدللة حتى بلغت التاسعة من عمرها وفي هذه السن ظهرت موهبتها في الرقص والغناء ، وفي أحد

الايام اتى غلام يكبرها بأربع سنوات ليعمل عند أبيها يدعى سازوك وكان هذا الفتى موسيقيا وفنانا موهوبا ، فنشأت بينهما عاطفة قوية أحبها واستجابت له ، ومنذ أن شعرت شونكين بحبه لها بدأت تستعبده ، وقد تدلهت بحبه واستهترت ولكنها في الوقت نفسه كانت تجد لذة في تعذيبه ، فهي تنظر اليه كخادم يعمل عند أبيها لانها كانت أكثر موهبة منه في الموسيقى ، ولانه أقسم لها بأن يكون وفيا لحبها الى الابد ٠٠ وبعد أن تأكدت شونكين من وفائه وحبه وخضوعه الكلي لها أخذت تسيء اليه وتوجه الاهانات المتلاحقة له حتى انها كانت تضربه في بعض الاحيان ، وعندما طلب ان يتزوجها وافق والدها ولكنها رفضت هي الزواج مستهينة برغبة والدها ، وطردته عدة مرات ولكنه كان يتبعها ولا يصبر على فراقها ، وبقيت هذه العاطفة تنمو مع الايام وتزدهر ، ومرت سنوات كثيرة تعرضت خلالها شونكين لكثير من تجارب الحياة ، وكانت تسعى الى الشقاء وتنشد العذاب ، انها تريد ان تعذب نفسها دائما لان الحياة في نظرها هي تجربة لتحمل الالم ، والحب هو ان تشقى وتشقي الآخر ، ان تتعذب وتعذب ، وعندما بلغت الثامنة والخمسين من عمرها جهدت لان تشوه وجهها وشوهته لكي تكون أكثر ايذاء لحبيبها ، فليس اشق على نفس حبيبها من أن يرى معبودته دميمة مشوهة ، ولكنه لا يقوى على احتمال هذا الشقاء ، ويجابه الموقف بموقف أكثر وفاء وتضحية ويسمل عينيه لكي لا يرى وجه حبيبته المشوه وليحتفظ بصورتها الساحرة في نفسه ٠

أما القصة الثانية وهي (كأس بين القصب) فتروي حكاية رجل في اليابان يحب أرملة شابة حبا عنيفا ، ولكن التقاليد اليابانية لا تسمح بزواج المرأة مرتين ، الا أن العاطفة الجامحة التي نشأت بين الرجل وهذه الارملة جعلته يلجأ الى أن يطلب يد أختها (اوشيزو) ويتزوجها فيصبح بذلك قريبا من الارملة العاشقة ٠٠ وفي يوم الزفاف تصارحه اوشيزو بأنها تعرف كل شيء وتعرف الحب الملتهب الذي يتبادله مع أختها ، وقد رضيت الزواج به لكي تشاركهما العذاب فهي لا تستطيع أن تحل محل أختها في قلبه ولن تكون زوجته بالعنى الصحيح ، ولكنها جسر يصل بين العاشقين ، لقد ضحت بحياتها لكي تكون بينهما قرابة على الاقل تخفف غب التقاليد القاسية ٠٠ وعلى الرغم من انهما يبقيان أبدا في آلام الحب حرم عليهما اللقاء ولكنهما قد يجدان بعض العزاء في أن كائنا انسانيا آخر هو الاخت اوشيزو تشاركهما كل شيء ٠٠ وتقول : وهكذا ترى أن المرأة ليست انثى فحسب بل ان لها فضيلة مزدوجة ، الانوثة والتضحية ٠

وفي ألمانيا الغربية :

(أحاديث المنفيين) كتاب جديد أحدث مفاجأة في الاوساط الادبية للكاتب المسرحي (برتولد بريخت) ، ظهر الكتاب في فرانكفورت بعد ان بقي مخطوطا مدة طويلة بين أوراق بريخت ، وموضوع الكتاب حوار وهمي بين رجلين من ألمانيا نفيا الى هلسنكي عام ١٩٤٠ ، وبعد فترة طويلة يلتقي الرجلان صدفة في مطعم المحطة فيتبادلان الاحاديث والذكريات المشتركة بينهما فيتحدثان عن الحنين الى الوطن وما يعانيه كل منهما من تعاسة في المنفى ، الاول يدعى (زيفل) بدين طيب حيوي ومن المثقفين الالمان الذين يهتمون بالثقافة ، والثاني (كال) هزيل صغير الجسم ينتمي الى طبقة العمال الكادحين الذين يشعرون بوجودهم التعيس ، ويمثلان معا وجهين متناقضين للحياة ٠ هذه الذكريات التي يتحدث عنها الكاتب عن النفي كانت صورة عنه لانها كانت كثيرة في حياته ، فقد اختار المنفى في زمن هتلر وغادر بلاده المانيا وذهب الى الدانمارك ثم تشرد في بلاد كثيرة بعد الغزو الالماني والتجأ الى السويد ثم الى فنلندا ، ونشبت الحرب عام ١٩٤١ بين الروس وفنلندا فهرب الى أقطار أوروبا المختلفة الى أن التجأ الى الاتحاد السوفييتي ، ولكنه نفى نفسه من جديد الى الولايات المتحدة ٠٠ والحوار في كتابه هذا نوع من النقد الذاتي لشخص معاصر تعيش في نفسه كل متناقضات الانسان في هذا العصر ، وتهيمن على الحوار روح التشاؤم والفكاهة في آن واحد وعدم الايمان بشيء الا التقدم ٠

وفي انكلترا :

ظهرت في انكلترا قصة جديدة بعنوان (حجرة في الشمس) لكاتب انكليزي شاب يدعى (جون برين) أحدث ضجة كبرى في موهبته ونبوغه ، وقد أخرجت هذه القصة للسينما بعنوان (دروب المدنية العليا) ، ويروي الكتاب قصة شاب انكليزي في الثلاثين من عمره يدعى (ديك كورفي) أصيب بمرض وأقام في المصح وخلال وجوده هناك كان يستعيد ذكريات طفولته وشبابه ويحاول أن يجد مبررا لتعاسته ، يستعيد صور الشخصيات التي لعبت دورا في حياته الماضية ويعتبرها نماذج للشر والاساءة لانه لم يكون يتصورها على حقيقتها ٠٠ ويتعرف خلال وجوده في المصح على ممرضة جميلة تشعره بأن أسباب الشقاء هي في تصورنا للآخرين لا في الآخرين أنفسهم وأن الواقع يمكن أن يمنحنا الحياة الغنية اذا لم نستسلم للخيال ، لذلك يجب ألا نطالب الآخرين بأن يكونوا كما نريد نحن بل علينا أن نحبهم كما هم بالواقع ٠

تقوم احدى دور النشر في المانيا باخراج سلسلة من الادب العالمي عن الادب الشاب ، وذلك بنشر مختلف المؤلفات الادبية التي كتبها أعلام القصة والشعر في سن الشباب بين (١٨ ـ ٣٠) من عمرهم ، والمعروف أن كثيرا من روائع الادب الانساني قد ظهر في هذه الفترة منذ عدة قرون ٠٠

ففي القصة ألف دوستوفسكي كتابه (الازدواج) في سن الخامسة والعشرين ، كما كتب تولستوي (مراحل الحياة) في الرابعة والعشرين ، و (حكايات ارانيتون) لاميل زولا ظهرت وهو في سن الرابعة والعشرين ، أما توماس مان فقد كان في السادسة والعشرين عندما كتب (بودنبرك) وديكنز كان في الخامسة والعشرين عندما ظهرت روايته (اوليفر تويست) ٠

أما في الشعر فقد كتب هيلدرلن قصائده الكبرى (أناشيد وعرة) وهو في العشرين ، وفيرلين (قصائد زكليه) وهو في الثانية والعشرين ، ورامبو (فصل في الجحيم) وهو في التاسعة عشر ، والفريد دي موسيه (اعترافات فتى العصر) وهو في الخامسة والعشرين ٠

غراهام غرين :

فصل الامطار رواية جديدة لغراهام غرين عنوانها بالانكليزية (المحترقون دون انطفاء) ، الخط الرئيسي في موضوع هذه الرواية صراع بين اليقظة الروحية وبين الغريزة ، تدور حوادثها في الكونغو بين الادغال المتوحشة اذ توجد مستعمرة صغيرة وضع فيها المصابون بالبرص (المجذومون) لا يمكن الوصول اليها الا باجتياز نهر يوندا وذلك لعزلها عن الاهالي ومنع العدوى ، وتشرف عليها بعثة علمانية من أوروبا ٠

تبدأ القصة بقدوم رجل مجهول يحمل اسم (كوبري) ويكتسب ثقة الجميع وحبهم بما فيهم الطبيب المشرف عليهم الدكتور (كولن) ، ويحلل غراهام غرين دوافع هذين الشخصين فالطبيب جاء الى المنطقة بحثا عن طمأنينة الروح وذلك بأن يقوم بعمل مفيد له قيمة انسانية بعد أن تزعزعت ثقته بكل شيء في أوروبا ٠٠ أما كوبري فانه جاء لنسيان ماض غامض ـ هذا ما يبدو ـ ولكنه في الواقع يحمل سرا خطيرا ، كان متحفظا قليل الكلام ، ولكن أحد الاوروبيين من أصحاب الاملاك واسمه ريكر يكتشف حقيقته ويبوح بها لصحفي هناك وهي أن كوبري هو مهندس مشهور بنى عدة كاتدرائيات في أوروبا وعرف في جميع أنحاء العالم بعبقريته في البناء ٠٠ هذه الحادثة تستهوي الصحفي فيطارد كوبري من أجل الحقيقة ويكون الموقف على النحو التالي : كوبري هرب من ماضيه الصاخب لانه كان ملوثا بالخطايا ، كان مشهورا بعبقريته ولكنه في الوقت نفسه سيىء السمعة ، دون جوان من طراز مبتذل والناس جميعا يعرفون هذا عنه ، ولكن يقظة الوجدان جعلته يغامر بالمجيء الى افريقيا تكفيرا عن هذا الماضي ، لقد كانت له العبقرية ويريد الآن صفاء الضمير ، ولكنه منذ أن اكتشفوا أمره عاد سيرته الاولى فلم تمض أشهر حتى أغرم بزوجة الدكتور كولن التي كانت على صلة غرامية مع الصحفي وكانت تخون زوجها في تكتم بارع ، وعندما بدأ يغازلها كوبري لم تقاوم ولكنها تعرضت لموقف خطير وهو أن الصحفي اكتشف أمرها عندئذ اضطرت أن تعلن أن كوبري قد أغواها وانها قد حملت منه ٠ وتنتهي الرواية بأن يقدم الصحفي على قتل كوبري لا بسبب الغيرة فحسب بل لانه لم يعد يمثل في نظره أي معنى انساني وطالما أنه توقف عن الابداع وأصبح لصا يختلس نساء الآخرين فينبغي أن يموت ٠

وفي سويسرا :

ظهر كتاب جديد بعنوان آثار ميلوز للكاتب اندريه لوبوا ٠ وميلوز شاعر سويسري الاصل بدأ ينشد الشعر عام ١٨٩٩ ، وبقي مغمورا في بادىء الامر حتى عام ١٩٣٩ ثم اعتبر من أكبر شعراء العصر ، يتميز شعره بالصفاء وجمال العبارة والايحاء الفلسفي ، أما المحور النفسي الذي تدور حوله أشعاره فهو الاعراس والندم والظلال وكلها اشارة الى سعادة الحياة والخطيئة وحس المأساة بسبب التباس الحقيقة في حياة الانسان ٠٠ ويقول بول فاليري في رسالة له الى الشاعر نفسه « ان شعرك رائع ، ان ما فيه من صور تمتلكنا حتى أعمق الجوارح ، لم أجد كلاما ساحرا مثل شعرك قريبا من جوهر الوجود » له مؤلفات كثيرة أشهرها (نشيد المعرفة) (سيمفونية ايلول) (قصيدة الانهيار) (البحيرة) ، كما أن له مؤلفات فلسفية في اللغة والمعرفة الا أن شعره هو الابلغ والاكثر تعبيرا عن شخصيته ولم تنشر مؤلفاته كاملة الا عام ١٩٤٤ ٠

في فرنسا : ابعاد سارتر عن الجوائز الادبية :

حملت الانباء الاخيرة نبأ قرار اتخذته الحكومة الفرنسية بابعاد الاديب والكاتب والمفكر الفرنسي جان بول سارتر ، عن الجوائز الادبية بسبب موقفه من فرنسا في الجزائر ، وتوقيعه العريضة المشهورة ٠

فمن هو جان بول سارتر ، الذي تتبع ما خطه فولتير وزولا في حقل الادب الفرنسي ، والذي يشغل اليوم المكان الذي كان يشغله اندره جيد سنة ١٩٢٨ ،

ويشغل في مجال الفكر المكان الذي ظل خاليا بعد وفاة برغسون ؟

ولد جان بول سارتر في باريس سنة ١٩٠٥ ، وهو كاتب يمثل عصره خير تمثيل ، وفيلسوف يصغي اليه الناس أكثر من أي فيلسوف آخر ، ومؤلف مسرحي تظفر آثاره بالنجاح الكبير ، وهو بالاضافة الى ذلك الناقد اللاذع في نقده ٠

حصل على شهادة مجاز في الفلسفة وهو في الثالثة والعشرين ٠ واشتغل بالتدريس ٠ وكان يحب أن يعطي دروسه في مقهى من تلك المقاهي القائمة في زوايا الشوارع أكثر من أن يلقيها ضمن جدران الصف ، وقام بسياحة استغرقت عامين كاملين مر فيها بألمانيا واتصل اتصالا وثيقا بالفلاسفة « الحادثيين » الالمان ، الذين كان لهم تأثير واضح على تفكيره ٠

وبالرغم من أنه ضئيل الحجم ، ضعيف البصر ، مبهم التقاطيع فانه على جانب كبير من الدماثة واللطف ، ويتمتع بنصيب وافر من الشجاعة الادبية والشجاعة الجسدية ٠

لم يبطره المجد ، ولم تستأثر شهوة المال بلبه ٠ ويرون أنه يوزع على تلاميذه وأتباعه الذين يأنس فيهم بوادر النبوغ آلاف الفرنكات مدفوعا بكرم أصيل بعيد عن كل مظاهر المن والتفاخر ٠

وسارتر رجل ألزم نفسه بمعالجة جميع مشاكل هذا العصر وهو يهدف الى الاتصال بأكبر عدد ممكن من الناس وقد نجح في ذلك واجتذب اليه الجماهير وسبيله : الكتاب والرواية والمسرح والسينما والراديو والصحافة وقاعة المحاضرات ٠

نهم الى المطالعة مما جعله على اتصال بكل ما تقذف به المطابع ، محب للاسفار اذ زار جميع بلاد أوروبا وزار أميركا وافريقيا ٠

فيلسوف وروائي ومؤلف مسرحي وصحفي ٠٠ انه متعدد المواهب والكفاءات ويحتل مكانا لا ينازعه عليه أحد في مضمار الفكر والادب الفرنسيين المعاصرين ٠

كانت مؤلفات سارتر الاولى مجرد دراسات فنية وهي : « التخيل » دراسة حول نظرية لعواطف المتخيل ٠ أما مؤلفه الفلسفي الاول فهو « الوجود والعدم » ٠

وترتبط فلسفة سارتر بفلسفة كيركيكارد ، وهوسرل ، وهيدكر ٠

منذ عهد افلاطون نجد أن الفلسفة التقليدية تعطي لكل شيء جوهرا ، أي مجموعة من الصفات المحدودة ، ووجودا حقيقيا في العالم ٠ ان جوهر التمثال يسبق وجوده ، فالمثال يتخيل في ذهنه أشكال التمثال الذي يريد أن ينحته وفق الصورة التي تخيلها له ٠

أما بالنسبة الى ديكارت وأتباعه فان الانسان ينبثق عن جوهر الطبيعة الانسانية ٠ وبذلك يسبق الجوهر الوجود ٠ الا أن الوجودية قلبت هذا المفهوم وأعلنت أن الوجود هو بالنسبة الى الانسان، فالانسان وحده ، يسبق الجوهر ٠ الوجود هو مطلق لا يحتاج الى اثبات ولا الى استنتاج ٠ الانسان يوجد اولا ، ثم يكون هذا أو ذاك ٠ بالتجربة ، والكفاح والالم ، والاختيار ، يتكون الانسان ، يتبلور الخلق وتتحد الغاية شيئا فشيئا ٠ تعريف الانسان وتحديده مفتوحان دوما انه حالة رجراجة ، أي أنه خاضع الى مجموعة من الشروط المادية والتاريخية ووحدة سلوكه هي التي تحدده ٠ فلا القيم ولا الاخلاق تسبق وجود الانسان ، بل على كل فرد أن يقرر ويختار في كل حالة من الحالات وان يقيم سلما من عنده للقيم ٠

وعندما يشعر الانسان أنه وحيد قد ترك في عالم لا يلتفت اليه أو هو ضده ، وأنه دون عون ولا مساعدة ، الذي يصنعه بنفسه ، وانه من السخف أن ينتظر العون من الغيب أو من الناس ، وأنه لا يجب عليه الاعتماد الا على نفسه ، وعندئذ يستطيع التصرف بقوة ونشاط ذلك أن الامل هو أسوأ ما يعيق عن الحركة والعمل ٠

وهل يجب أن نأمل بأن مشاكلنا تحل من نفسها ، وأن أعداءنا يمدون الينا أيديهم ، أو أن الطبيعة تمدنا من نفسها بخبزنا اليومي ؟

اذا كنا نأمل بكل هذا فما علينا الا أن نشبك الايدي ٠ الانسان لا يستطيع الارادة الا اذا أدرك أنه لا يستطيع العثور على مساعدة الا من نفسه ٠

فهذه المعرفة الحديثة بحالته ، وهذا الشعور العاري والواضح بحقيقة المصير الانساني هو ما يسمه سارتر باليأس ٠ وهكذا فان الحرية الانسانية هي في الضفة الاخرى من برزخ اليأس ٠

وفكرة الحرية غدت الفكرة المهيمنة على الفيلسوف والروائي وهي النسيج الذي حيكت الحياة منه ، ذاك أن عدم الاختيار هو اختيار أيضا ٠ الحرية ليست اختيارية ، يجب أن تظهر كل لحظة والا تنقطع أبدا ، لانها مستمرة ، والانسان في تبدل مستمر فهو في كل برهة يستطيع أن ينساق الى هوة العدم أي أن يطرح جانبا حياته الماضية وأن يختار حياة أخرى ٠ والانسان هو الشخص الوحيد الذي يأتي العدم بواسطته الى الوجود ٠ ومن هنا كان ضيق الانسان وكان يأسه ٠

ولكي يتملص الانسان من يأسه اتخذ طريقة الهرب من نفسه ، فهو يريد أن يختبىء ، أن يتخلى عن حريته اما بالالتجاء الى الماضي أو الالتصاق بالمستقبل واما بالتجرد عن شخصيته كي يصبح كهذه الصور المتحركة ٠

ولكن الانسان بممارسته حريته الكاملة يصبح أمام

المسؤولية الكاملة . فعندما يختار لنفسه فهو في الوقت ذاته يختار من أجل الآخرين .

فهذه الفلسفة التي تعيد الى الانسان كل مسؤوليته وتجعله سيد نفسه ، في الحياة وفي الموت ، هذه الفلسفة التي تقوم على العمل والجهد والاختيار والكفاح والتضامن، تتراءى على أنها الفلسفة الانسانية الممكنة الوحيدة .

ولا بد أن نذكر أنه بالرغم من سارتر ، قد لصقت بعض المظاهر بالوجودية . كالغرابة في اللباس والرقص في الكهوف والعكوف على تعاطي الكحول كل ذلك عن طريق استثمار كلمة الحرية .

أما في الناحية السياسية ، فان سارتر قد أعلن أن هدف مجلة « الازمنة الحديثة » التي يديرها فهو العمل على احداث بعض التبدلات في المجتمع . فهو لا يريد أن يتخلف عن زمنه ، الذي هو فرصته الوحيدة ، لذلك تراه يحتضن جميع مشاكل الساعة ويبدي رأيا في كل مشكلة ويكون هو الرأي الفصل . انه يمد بالغنى والنور كل ما يمسه .

وموقفه من المشاكل التي يتعرض لمعالجتها موقف فيه كل الشجاعة والاخلاص والاستقامة في التفكير . انه بحق رجل « الازمنة الحديثة » ومقالاته التي جمعها بعنوان « حالة » هي مثال الوضوح والشمول والجرأة .

ومع أنه يساري النزعة فهو غير منتسب الى حزب من الاحزاب ، ويهاجم النظام الستاليني الذي يطلق عليه اسم تفسخ الثورة وهو من خصوم حزم الهند الصينية والاستعمار بوجه عام . ويهاجم الولايات المتحدة لموقفها من قضية الزنوج . وقد حرم الفاتيكان تداول كتبه لموقفه الوثني اللاديني .

تأثر سارتر بكافكا ، ودوس باسوس وجماعة « الحادثيين » الالمان . ويعد انتاجه الادبي في الذروة من الادب المعاصر فلقد أصدر « الغثيان » سنة ١٩٣٨ وبها اكتشف عالمه الخاص . أما مؤلفاته المسرحية فقد ظفرت بنجاح عالمي وهي : « اجتماع سري » « الذباب » « العاهرة المحترمة » « أموات بلا قبور » « الايدي القذرة » « الله والشيطان » . وتضم مجموعة « الجدار » قصصا لم يكتب مثلها في القوة والاثارة . أما « طرق الحرية » فتعد بنظر بعض النقاد أحسن ما كتب في القصة الفرنسية المعاصرة .

وسارتر ناقد أيضا من الطراز الاول فكتبه عن بودلير وجان جينه تدل على اتساع عبقريته وشمولها .

ولكن كتابات سارتر تنقصها الطلاوة السحرية والانطباعات الشخصية والاناقة اللفظية . ان جمال الاسلوب لا ينفصل عن قوة الفكرة واشراقها ، فسارتر هو أول كاتب كبير لا يصطنع أسلوبا من الاساليب ، ورأيه في ذلك أن الكاتب بما يقول لا بالطريقة التي يصطنعها في القول . فالكتاب هم في العادة يجنحون الى الشعر ، والفلاسفة يحلقون في البعيد المطلق . أما سارتر فيحاول قبل كل شيء أن يكون انسانا وأن ينقل الينا تجربة عاشها ، تجربة حية عميقة غنية ، وأن يلقي على الاشياء ، مع ذلك ضوءا موضوعيا بعيدا عن النوازع الشخصية لكي يقدم للناس الحقائق الواضحة .

ليست « الغثيان » مجرد موضوع معين بل هي تصوير للانسان والعالم تتمثل فيه المفاهيم المعاصرة بالانسان والعالم ، وهما شيئان منفصلان عن بعضهما والواحد غريب عن الآخر .

ان الحقيقة المجردة شيء محال ، قلق رجراج ، والشمس رمز الشؤم ، والربيع تخمر سيىء والبحر اتساع بارد أسود . والارض تهرب تحت أقدامنا في جميع **الجهات فهل يكون القرف هو الحالة الوحيدة التي يتخذها الانسان أمام هذا العالم** ؟ ربما ! ولكن لا يمكنه أن يبقى أمام هذا العالم الذي يسد عليه المنافذ ويضغط عليه ، أمام الفراغ والعدم يجب أن يهتك ستر جميع الاكاذيب ويتحرر منها. هو لا يستطيع أن يتلاءم مع الافكار التقليدية التي سادت في عصرها : كالمفهوم الاجتماعي ، والمفهوم الغيبي وفكرة القيم الاخلاقية .

منذ أن أعلن نيتشه أفول نجم الغيبيات ، كل شيء قد أصابه التبديل والتغيير ، وأصبحنا نعيش في الفراغ . نعم هناك الفن وهناك الموسيقى . ولكن سارتر لم يستأثر به عالم الفن . هناك كلمة لم تظهر في رواية « القرف » ولكنها تسيطر في المؤلفات التالية ، هذه الكلمة هي « الحرية » فاذا داخل المرء شعور بأنه أصبح كالفراغ بدون ركيزة أو قيمة أو تبرير معناه أنه قد تحرر . فتخوف المرء وغمه يريانه الهوة السحيقة التي تمتد أمامه لانه أصبح حرا ، والحرية هي الكلمة الخصبة الموحية التي تجعل الانسان يجابه الحياة . ذلك أن الحياة تبدأ في الضفة الاخرى من برزخ اليأس .

من حرية الانسان ينبثق المعنى الذي يخلعه على وجوده . فأبطال « دروب الحرية » يعلنون أنهم سيأخذون الحياة على عهدتهم . سيختارون ويكونون موضع الاختيار، انهم مسؤولون عن أنفسهم . واذا كان في اختيارهم بعض التناقض فيكون ذلك بدافع الحرية التي هي وحدة لا تتجزأ والتي هي المقياس المشترك للوجود الانساني .

ولكن هل الحرية مخرج ومنجاة ؟ والى أين تقود طرق الحرية ؟ فالبطل السارتري يمكنه أن ينفصل عن العالم وينكر كل ما يضغط عليه ويضايقه ولكنه هل يمكنه أن ينفصل عن الحالة الجسمانية التي تجد في الغريزة الجنسية لذتها القصوى ؟

ان مؤلفات سارتر لم تصل الى نهايتها . وهي **تخبىء لنا بعض المفاجآت** .

قربان

Offrande

للشاعر الروماني : فيكتور تيلبوريه

Victor Tulbure

عندما احتل مكاني أخيرا وقد أصبحت سيد الكلمات
في الجوقة المستوحاة من شعراء الحياة .
سأغني لسادوفيانو بلغة حارة (١)
انه مجد البلاد ، ومجد مولدافيا

* * * *

سأكسو أبياتي بالحرير والمخمل
وأطبعها بوثبة الفأس الثائرة
فقد جلست الى موقده يوما
في دفء منزله الذي أحببته

* * * *

ولسوف أقول لمن يخلفوننا
اسمعوا كلماتي جيدا أيها الشعراء الشباب
في سماء غسقية رأيته كجبل
ساكنا جليلا يحيطه الثلج بهالة

* * * *

وحتى اليوم الذي هبطت فيه علي هذه السعادة أخيرا
سعادة تأملي ملامح وجهه عن قرب
لقد شق طريقه في غابات كثيفة
وهو يقتحم الضباب ويناضل ضد العاصفة

* * * *

من الدروب التي تحتفظ بصدى خطواته
أتيت في هذا الربيع بغصن مزهر
لانه مثل « ميخه » الآخر
هو الامير والعبقري في أدبنا

* * * *

نعم انها هنا الكلمات التي أود أن أقولها لهم
سيدي ! اسمع لي أن أقول لهم مثل هذا
وبارك غناء أوتار قيثاري
الذي أريد أن أهديه يا سيدي الى بلادي

(١) قيلت للقاص الروماني ميخائيل سادو فيانو بمناسبة عيد ميلاده الثمانين .

Lorsque, maître des mots enfin, j'aurai pris rang
Dans le chœur inspiré des chantres de la vie,
Je chanterai Sadoveanu d'un verbe ardent,
Lui, gloire du pays et de la Moldavie.

* * * *

J'habillerai mes vers de soie et de velours,
Leur imprimant l'élan fougueux de la cognée,
Car je me suis assis à son foyer un jour,
Dans la chaleur de sa maison que j'ai aimée.

* * * *

Et je dirais à ceux qui nous succèderont
(Ecoutez bien jeunes aèdes, mes paroles) :
« Sur le ciel vespéral je l'ai vu, tel un mont
« Calme et majestueux que la neige auréole ».

* * * *

« Et jusqu'au jour où ce bonheur m'échut enfin
« De contempler de près les traits de son visage.
« Dans d'épaisses forêts il fraya son chemin,
« Affrontant le brouillard, luttant contre l'orage. »

* * * *

« Sur les sentiers qui de ses pas gardent l'écho,
« J'apporte en ce printemps une branche fleurie,
« Car tel l'autre Mihai – le grand Eminesco –
« De nos lettres il est le prince et le génie ».

* * * *

Oui, ce sont là les mots que je voudrais leur dire. . .
– Maître, permettez-moi de leur parler ainsi –,
Et bénissez ce chant des cordes de ma lyre,
Que je veux dédier, ô Maître, à mon pays.

الاحتجاج والتصوير عند شعراء الشيعة

بقلم : محمد العيساوي الجمني

توطئـــة

ظهرت العقيدة الشيعية ، أو المذهب الشيعي ، أو التشيع لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، في أوائل الدولة الاسلامية للخلفاء الراشدين • أو على التحديد : بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، ومبايعة المسلمين أبا بكر الصديق خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم • اذ ظهرت فكرة أولوية علي بن أبي طالب بالخلافة ، اعتمادا على قرابته لمحمد صلوات الله وسلامه عليه ، واصهاره له ، وجهاده في سبيل الدعوة الاسلامية من أول بروزها ، والتبشير بهافوق المسكونة • هذا بالاضافة الى تبحره في علوم الدين ، والتشريع الاسلامي الحنيف •

وعلى هـذا الاعتبار ـ حسب الظاهر ـ تأخر أبو الحسن كرم الله وجهه ، في مبايعة شيخ الصحابة ، وثاني اثنين في الغار ، أبى بكر الصديق رضي الله عنه • ومعه جماعة من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام • اختلف المؤرخون في تقدير المدة بالايام والشهور • والمشهور انها ستة شهور •

وعندما طالبت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أبا بكر بأرض « فدك » باعتبارها ارثا شرعيا لها من والدها ، منعها أبو بكر ومعه عمر بن الخطاب اعتمادا منهما على الحديث النبوي الشريف : « نحن معـاشر الانبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » هنا رأت الجماعة التـي تشيع لآل البيت ، أو للبيت العلوي على وجـه التحديـد ، ان هـذا التصرف فيـه اعتداء ومنع لذوي الحقوق من حقوقهم •

وبقيت الحركـة الشيعية همهمة ، وتململا غـير ظاهـرة ، ولا واضحة الخطوط ، والسمـات وليست محددة المعالم والطرق في عهد أبي بكر وعمر وعثمان الى وفاة هذا الاخير ، بل قتله من قبل الثوار • حيث ظهرت علانية وعلى رؤوس الملأ • وبرز التشيع ، وبلغ غايته في الحرب التي دارت ، بين علي بن أبي طالب ومن شايعه من ناحية ، وبين معاوية بن أبي سفيان ومن معه من ناحية ثانية • هذا الى صف ثالث اعتزل الفريقين ، وخرج على الفئتين بعد حادثة التحكيم ، هذا الصف هو ما سمي « بالخوارج » وهم دعاة الديموقراطية والمساواة وتمكين الكفء من قيادة المسلمين ، بصرف النظر عن الجنس واللون • فالخوارج لـم يحصروا الخلافـة في قريش عامة كما نادى « الزبيريون » • اتباع عبد الله بن الزبير ولم يقيدوها في بيت علي بن أبي طالب وأولاده من بعده ، كما نادى بذلك دعاة الحـزب الشيعي ، أو الشيعة على التعبير المستعمل الصحيح •

ولكنهم نادوا بولاية ، كل مسلم تقي ، مستقيم يحكم القرآن الكريم ، والسنة النبوية الرشيدة ، في حكمه للمسلمين •

وخلافا لرأي الامويين الذين اعتبروا حكم معاوية استمرارا لخلافة ذي النورين عثمان بن عفان ، ونزولا على نتيجة التحكيم •

ومن هنا انتظمت الفكرة الشيعية في شكل حزب سياسي معارض للحكومة على التعبير الحديث •

وفي اعتباره ان الامويـين اغتصبوا حق علي ومن بعده في الخلافة الاسلامية • وبذلك اعتبروا كل من لم يسلك في خيطهم ، مخالفا لوصية الرسول لعلي بن أبي طـالب بالخلافـة على حسب مـا صح عند الشيعة من الاحاديث والروايات •

وكان الشيعة مع الخوارج يشكلان جبهة المعارضة السياسية للحكومة الاموية مع ما بينهما من خلاف شديد في المنهج والتفكير والغاية البعيدة •

وأشهر الفرق الشيعية في العهد الاموي اثنتان همـا :

١ ـ **الفرقة الامامية :** وهي التي ترى حصر الخلافة

في علي بن أبي طالب ، بطريق النص من الرسول عليه السلام – حسب ما يقولون – ثم استمرارها من بعده في بنيه من فاطمة الزهراء وهما : الحسن والحسين رضي الله عنهما وفي نظر هذه الفرقة : أن أبابكر الصديق وعمر بن الخطاب اغتصبا حق علي ، فكانا له ظالمين ٠ يجب التبرؤ منهما ٠

٢ – **الفرقة الزيدية** : وهم أتباع : زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ٠ وهذه الفرقة أكثر اعتدالا ، وأقل تشددا من الامامية ٠ وقد حصرت الخلافة في علي وابنائه من السيدة فاطمة ، ومنعتها غيرهم ٠ وهي قد جوزت أمامة المفضول مع وجود الافضل ٠ وبهذا الرأي صحح أتباع زيد بن علي خلافة أبى بكر وعمر ٠٠

ومن الامامية تفرعت **الكيسانية** ، وهي من الغلاة٠٠ وتعاليم الشيعة عموما التي تتصل بمسألة الخلافة أربعة وهـي :

العصمة ، والتقية ، والرجعة ، والمهدية ٠ وهـذه النواحي لا تهمنا الآن ٠ أولا لان البحث فيها يطول ، ولا تكفيه صفحات معدودة ٠٠ وثانيا لان البحث مقصور على « الاحتجاج ، والتصوير عند شعراء الشيعـة في العصر الاموي » ٠

والآن من هم شعراء الشيعة في عهد الامويين ؟؟ ومن منهم اهتم بناحية الاحتجاج ، والمنطق والاستدلال ، والمقارنة ؟؟ ومن اهتم منهم بتصوير ما لاقاه الشيعة وآل البيت من اضطهاد ، وحبس ، وتشريد ، وابادة جماعية؟ سواء على يد الدولة الاموية أولا ، او العباسين فيما بعد ٠ وهم الذين لم يكونوا أرأف بالعلويين وشيعتهم من الامويين : ظلم ذوي القربى أشد مضاضة ، على المرء من وقع الحسام المهند ٠ وقد قال شاعر من آل البيت ، أو العلويين ، أو على لسانهم على الصحيح :

ياليت جور بني مروان عادلنا
ياليت عدل بني العباس في النار ٠

شعراء الشيعة

ومن كبار الشعراء الذين يدينون بالمذهب الشيعي، وتحملوا في سبيل عقيدتهم ، ومذهبهم : التعذيب ، والتشريد ، والسجن ، بل القتل : الكميت بن زيد الاسدي ٠ الذي اشتهر بالاحتجاج والمنطق ، والجدل ، والاستدلال والمقارنة في « هاشيماته » ٠ وهي قصائد مطولة فيها من الادلة المنطقية ، والجدال العقلي ، وتقرير الحقائق ، وابراز الحق المغتصب ، والدعوة الى الانقضاض على الدولة الاموية ، مغتصبة الخلافة من أهلها ، واستيلائها على ما ليس لها من حقوق ، واضطهادها لاصحاب الحق الطبيعي ، واخراج باني البيت منه ٠ ما فيه الكفاية وزيادة ٠ والمعروف عن الشاعر الكميت انه من كبار وأصحاب زيد بن علي ٠ والاخير كما هو مفهوم تتلمذ على واصل بن عطاء رأس المعتزلة ، والـذي بنى المدرسة العقلية الجدلية في الفكر الاسلامي لاول مرة ٠ فاذا عرفنا هذه النقطة ، عرفنا تبعا لها خطورة الحجة التي يدلي بهـا الكميت ، وصحـة الاستدلال العقلي ، والقرآني لتثبيت مـا يدعو اليـه ، وترسخه في ذهن الخاطب ، والسامع ، والقارىء لشعره على أساس منطقي صحيح ، وفكرة عقلية مقبولة ، وأدلة ذهنية غير مرفوضة٠

ومن شعراء الشيعة الذين يعتمدون على التصوير العاطفي المثير ، وبيان ما يعانيه العلويون وأتباعهم من ظلم ، وارهاق ، وتعذيب : كثير عزة ، وأيمن بن خريم الاسدي ، ودعبل الخزاعي وغيرهم ٠

الكميت بن زيد الاسدي

هو الشاعر العـربي الكبـير ، الكميت بن زيـد الاسدي ، شاعر فرقة الزيدية من الشيعة ، وهي الطائفة المعتدلة في ارائها بالنسبة للامامية ، والكيسانية المتفرعة عنها ٠

ولد في الكوفة سنة ٦٠ هـ حتى سنة ١٢٦ هـ ٠ فهو حضري النشأة ، وليس بدويها كالفرزدق وجرير وذى الرمة ، بل ولد في الحاضرة ، وعاش حضريا ٠

والكوفة هي المركز الرئيسي لشيعة آل البيت ، وهي نقطة الدائـرة لتخريج الدعـاة والمؤمنين بالمذهب الشيعي الكبير ٠ ولهذا تشرب الكميت الفكرة الشيعية من صباه ثم كبر وكبرت معه وفاضت بها قريحته شعرا ، منطقيا ، استدلاليا ، حجحيا ٠ وكان واسع الثقافة متسع المعرفة عارفا بأيام العرب وكما قيل عنه : انه كان فقيه الشيعة هناك ٠ ولا غرابة في هذا ما دام متصلا بيزيد بن علي زين العابدين بن الحسين رضوان الله عليهم ٠ وكان الشاعر شيعيا زيديا على مذهب الزيدية ٠ وكان زيد تلميذا لواصل بن عطاء ٠ ومن هنا كانت الزيدية معتزلة وشاعرها معتزليا وكان الكميت من أبرع الخطباء في وقته وهو أول من أدخل الجدل المنطقي في الشعر العربي فالكميت مجدد بكل ما تحمل هـذه الكلمة من معنى ٠ وشعره ليس عاطفيا كبقية الشعراء الذين عاشهم، بل ان شعره ، شعر مذهبي ، ذهني ، فكري ٠ فهو شاعر يناضل عن فكرة عقائدية معينة ، وعن مبدأ واضح ، ومنهج صحيح ، ودعوة آمن بها ، وكرس لها حياته ، وجهده وتحمل في سبيلها الاذى ومات بسببها ٠

وأغلب شعره السياسي أو « الهاشميات » كما سمي ديوانه ، نظمه ما بين سنة ١٠٥ ، حتى آخر سنة ١٢٠ هـ • وكان قبل هذه الفترة مدح آل المهلب • والبعض من بني أمية • وربما مدح الاخرين « تقية » وهي أصل من أصول الشيعة • وكان الشاعر في صراع مرير مع خالد القسرى نائب الامويين في العراق و « هاشميات » الكميت المطولة لا تبتديء ببكاء الاطلال ، والوقوف على الدمن والآثار على عادة من سبقوه من الشعراء • بل يبدؤها بحب آل البيت الهاشمي والنسيب بهم • وها هو يبدأ احدى « هاشمياته » قائلا :

طربت وما شوقا الى البيض أطرب
ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
ولكن الى أهل الفضائل والنهى
وخير بني حواء والخير يطلب

والذي يتتبع مدح الكميت في الهاشميين لا يجده مدحا فقط • أعني لا يجده ذكر محاسن وبيان فضائل بل يجد مدحه للهاشميين عبارة عن حجاج قوي ، ومنطق لا يقبل الرد والدحض وهو محام بارع أصيل ، يعرف كيف يدافع عن موكله • ويلصق التهم بالمدعي على صاحبه فشعره اذن : شعر عقلي ، وهو أول من أدخل التفكير العقلي ، والجدل المنطقي في شعرنا العربي • ولا غرو فزيد بن علي اقامه كان من المعتزلة صاحب حجة ورأي ، وذكاء • ومن هنا تشيع الكميت بالتفكير العقلي، وتخديم الذهن ، وقدح الرأي بالرأي يظهر وجه الصواب كما قال الامام علي كرم الله وجهه • وحبسه خالد القسري في العراق • وحدث أن هرب من سجنه بوسيلة من زوجته • اذ أتته بملابس لها ، فارتداها وخرج وقد قال في ذلك :

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل
على الرغم من تلك النوابح والمثلى
على ثياب الغانيات وتحتها
عزيمة امر اشبهت سلة النصل

وذهب الى الشام طالبا العفو من هشام • وانتهت المشكلة على كل حال بالعفو عنه • وهنا بدأ في مدح الامويين وانا هنا لا أعتني بهذه الناحية لاعتقادي انه شعر مكره على نظمه ، وليس صادرا من أعماقه ولعله نظمه « تقية » من شرهم ، وظنا بحريته ، وخوفا على حياته ، او هروبا من ظلمات السجن الرهيب •• وعلى العموم رجع الكميت الى الكوفة • وأراد زيد بن علي الخروج في جماعة من شيعته ولم يذهب معه الا قليل منهم وفي هذه المدة انتهت حياة الامام زيد بن علي ، كما انتهت حياة جده الحسين بن علي • اذ صلبه يوسف الثقفي بالكوفة ، وأرسل برأسه الى هشام • هذه اللوحة السوداء في تاريخ بني أمية لا يستطيع العربي المسلم النظر اليها دون أن يتعذب ، ويشقى ويحس بألم حاد يمزق فؤاده •

لم يخرج شاعرنا مع امامه بل بقي بالكوفة لا على أساس التخلي والتنصل من المذهب والنصرة بل لانه كان يعرف نفسية أهل العراق وخذلانهم لآل البيت في الساعات الحرجة والمواقف الدقيقة وكان الشاعر متأسيا بعلي زين العابدين بن الحسين والد زيد بن علي وكان محمد الباقر يرى عدم الخروج ففي « الهاشميات » صفحة ١٥٧ يقول الكميت :

دعاني ابن الرسول فلم أجبه
ألهفي لهف للقلب الفروق
حذار منية لا بد منها
وهل دون المنية من طريق ؟

فهنا يرى الكميت حزنه على تركه الخروج مع امامه مع يقينه ان الموت لا بد منه ولكنه يتأسى بالأئمة الآخرين • فلنسمعه يقول :

تجود لكم نفسي بما دون وثبة
تظل لها الغربان حولي تحجل
ولكن لي في آل أحمد أسرة
وما قد مضى في سالف الدهر

وهذه الحادثة — حادثة التخلف — ان دلت على شيء ، فانما تدل على ان للشاعر وجهة نظر فكرية ، وهو لا يترك زمامه للعاطفة ، بل يمعن النظر ويفكر في كل ما يقدم عليه تفكيرا عقليا رزينا • ويظهر انه كان يفضل الاستمرار في السرية والتقية الى وقت آ خر • ولم تذهب به عاطفته بل قعد به عقله ، وفهمه للامور وتجربته للنكبات التي عاشها مع آل البيت الكرام ، والشيعة المخلصة •

ولهذا نراه يبكي أمامه بحرقة • ويهجو يوسف الثقفي هجاء مرا مقذعا ينفس به عن نفسه المكروبة وخواطره الحبيسة ، وأفكاره السجينة • ففي «هاشمياته» صفحة ١٥٧ نجده يقول :

يعز على أحمد بالذي
أحاب أبنة أميس من يوسف
خبيث من العصبة الاخبثين
وان قلت : زانين لم أقذف

وسمع يوسف الثقفي هذا الهجاء • فخبأها في نفسه • حتى وفد عليه الشاعر مادحا سنة ١٢٦ هـ واذا

الكميت ينشد قصيدته ، وضع الجند سيوفهم في بطنه فمات وهو يقول : اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد . كما جاء في الاغاني جزء ١٥/١٣٠ .

والكميت شاعر شيعي عميق التشيع، عقلي الشعر ، قوي الحجة ، متين الجدل والادلة . وهو شاعر له خطة معينة يتبعها ، وفكرة دينية يناضل في سبيلها ومذهب سياسي معارض للحكومة يعبر عنه في صراحة ، وبدون مواربة او دجل . وهو أول من أدخل التقرير والاحتجاج للعلويين في الدفاع عنهم ، وعن حقهم المهضوم المغتصب. ولهذا قال الجاحظ : « ان الكميت أول من دل الشيعة على طرق الاحتجاج » .

فشعر الكميت الاسدي اذن : عبارة عن مناظرات عقلية عميقة ، يقوم بها لفائدة الهاشميين وهي تعتمد على الاقناع العقلي الصرف . فهو يؤيد وجهة نظره بأدلة عقلية ، منطقية ، قوية ، ويعضدها بآي القرآن الكريم ، وما فيه من اقرار لحق الاقربين . وكما كان واصل بن عطاء مشهورا بهذا الحجاج ، والجدل ، وقوة العارضة ، ومتانة الرأي وصلابة العقيدة وضخامة الايمان بالمبدأ الذي يؤمن به ويعيش له كذلك شاعرنا الكميت : مسنا، فصيحا ، ذكيا ، سريع البديهة حاضر الحجة قريب الدليل غزير المنطق الجدلي ، والبحث ، والمقارنة ، وهذه المهارة العقلية التي أكتسبها الكميت ، استقاها من امامه زيد بن علي تلميذ واصل بن عطاء الشهير هو يقول من قصيدة في الهاشميات صفحة ٣٧ :

بخاتمكم غصبا تجوز أمورهم
فلم أر غصبا مثله يتغصب

وجدنا لكم في آل حاميم آية
تأولها منا تقى ومعرب

وفي غيرها آيا وآياتنا بعت
لكم نصب فيها لذى الشك منصب

بحقكم أمست قريش تقودنا
وبالفذ منها والرديفين نركب

وقالوا ورثناها أبانا وأمنا
وما ورثتهم ذاك أم ، ولا أب

يرون لهم فضلا على الناس واجبا
سفاها وحق الهاشميين أوجب

ولكن مواريث أبن آمنة الذي
به دان شرقي لكم ومغرب

فدى لك موروثا أبا وأبوأب
ونفسي، ونفسي بعد بالناس أطيب

وتستخلف الاموات غيرك كلهم
ونعتب لو كنا على الحق نعتب

يقولون لم يورث ولو تراثه
لقد شركت فيه بكيل وأرحب

وعك ، ولحم ، والسكون ، وحمير
وكندة ، والحيان : بكر وتغلب

ولا تنشلت عضوين منها يحابر
وكان لعبد القيس عضو مورب

وما كانت الانصار فيها أذلة
ولا غيبا عنها اذ الناس غيب

هم شهدوا بدرا وخيبر بعدها
ويوم حنين ، والدماء تصبب

فان هي لم تصلح لقوم سواهم
فان ذوى القربى أحق وأقرب

هذه القصيدة كلها حجاج لبني هاشم ، ورد على ما ادعاه الامويين .. وضمن الكميت قصيدته أدلة من القرآن الكريم .. فهو وجد في آي حاميم فائدة لبني هاشم ، وفي غير تاميم وجد آيا وآيا ، تفيد وتثبت حق الهاشميين في الخلافة الاسلامية . ولكن بني أمية اغتصبوها جهرة وبادعاء أنهم ورثوها عن آبائهم . وكيف ورثوها ؟؟ ومع ذلك يقولون أن الرسول لا يورث ! وما تركه صدقة ؟؟! وبحق الهاشميين أصبحت قريش تقودهم والمسلمين جميعا ، وبالفذ ويقصد به معاوية والرديفين من جاء وبعده . ويبلغ بالشاعر العجب عند قوله :

يقولون لم يورث ولولا تراثه
لقد شركت فيه بكيل وأرحب

وعك ، ولحم ، والسكون وحمير
وكندة والحيان : بكر وتغلب

فيقول اذا كان الرسول لا يورث كما يدعى ذلك . فان لكل قبيلة الحق في الخلافة . واذا كان يورث فبنو هاشم أولى بالخلافة لقرابتهم من الموروث .

فهو يأخذ حجته وأدلته من حجج الامويين وأدلتهم ولهذا كانت « هاشميات » الكميت الجديدة في مظهرها وخصائصها في شعرنا العربي القديم والعصر الاموي اذن : فالكميت يعتمد في تأييد مذهبه بشيئين اثنين :

هما الادلة العقلية المنطقية ، والقرآن الكريم ..

وشعر الكميت يخالف شعر الشيعة مخالفة كبيرة. اذ كان غيره من شعراء الشيعة المعاصرين له يعتمدون على البكاء ، والرثاء ، والتحسر ، واظهار التألم ، والانين طريقهم في جميع ذلك العاطفة ، ولا شيء سواها .

ولهذا قيل « ان الهاشميات » تؤرخ نزعة عقلية جديدة في اللغة العربية لم تكن معروفة قبل الكميت ٠ والكميت يدعو للشيعة العامة ٠ فهو لا يدعو لشخص بعينه من أبناء فاطمة ٠ بل يدعو للفكرة العامة لفائدة الهاشميين ، وهو متأثر بامامه زيد بن علي الذي كان يحكم العقل والمنطق في آرائه ٠ ومن ذلك ذهب زيد الى صحة امامه المفضول مع وجود الافضل ٠ ومعناه صحت عنده خلافة أبي بكر وعمر مع وجود علي لمصلحة رآها أصحاب الرسول ٠ وهذه النظرية أحدثت خلافا بين أتباعه مما حدا بجماعة منهم الى الخروج عليه واسقاط حقه في الخلافة ٠

وهنا نرى الكميت ينتصر لامامه ضد الخارجين عليه ويؤيده بلسانه وبشعره الطريف اذ يقول :

أهوى عليا أمير المؤمنين ولا
أرضى بشتم أبي بكر ولا عمرا
ولا أقول وان لم يعطيا « فدكا »
بنت الرسول ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به
يوم القيامة من عذر اذا أعتذرا

فهو شيعي عميق ، ولكنه شيعي عاقل لا يكفر أبا بكر ولا عمر مهما كانت الاعتبارات وهذا يدل على أنه رجل عقلي ، لا تتحكم فيه العاطفة ولا الهوى ٠

وهو لا يخطىء الشيخين في منعهما فاطمة الزهراء من أرض « فدك » كورثة شرعية لها من والدها وهما اعتمدا في هذا المنع على الحديث النبوي الشريف : « نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة » والغلاة من الشيعة يخطئون الشيخين ويرونهما ظالمين للسيدة فاطمة عليها السلام ٠

والامام زيد بن علي يخالف هذا الرأي مخالفة « صريحة » فهو يفوض الامر الى الله فلا يورط نفسه في شتم من كانوا للرسالة المحمدية ركائز قيمة ٠ وهذا اعتدال من فرقة الزيدية مشكور ٠ وموقف زيد بن علي جاءه من أستاذه واصل بن عطاء الذي كان يجوز الخطأ على أصحاب « الجمل وصفين » ولا يعين الخطأ في فريق بعينه ويقال أن محمد الباقر أخو زيد كان يعاتبه على للعهد ٠٠ والكميت كان شاعرا مؤمنا بمبدأ ، مناضلا تتلمذه لواصل ، لتجويزه الخطأ على جده في قتال الناكثين دونه بدون رغبة في مال ولا جاه بدليل رفضه أخذ عطايا بني هاشم له ٠ فقد جاء في بعض الروايات أن جعفر الصادق أعطاه يوما بعد انشاده لاميته المشهورة ألف دينار وكسوة ٠ فقال له الكميت : « والله ما أحببتكم للدنيا ٠ ولو أردتها لاتيت من هي في يديه ٠ ولكني أحببتكم للآخرة فأما الثياب التي أصابت أجسادكم فاني أقبلها وأما المال فلا أقبله » ٠

ولهذا أرى مدحه لبني أمية كان اضطراريا وخوفا لا طمعا في المال والجاه ونرى الكميت يأتي بالاوصاف التي يجب أن تتوفر في الامام تمشيا مع عقيدة الشيعة «الزيدية» فنراه يقول في (الهاشميات) صفحة ٢ :

الحماة الكفاة في الحروب ان لف حزاما وقودها بضرام
والغيوث الذين ان أمحل الناس فمأوى حواضن الايتام
غالبين هاشميين في العلم ربوا من عطية العلام
وهم الآخذون من ثقة الامر بتقواهم عرى لا انفصام
القريبين من ندى والبعيدين من الجور من عرى الاحكام
راجحي الوزن كاملي العدل في السيرة طبين بالامور الجسام
ساسة لا كمن يرى رعية الناس سواء ورعية الانعام
لا كعبد المليك أو كوليد أو سليمان بعد أو كهشام
رأيه منهم كرأي ذوي الثلة في الثائجات جنح الظلام
جز ذي الصوف وانتقاء لذي المحنة وأنعق ودعدعا بالهام
فهم الارأفون بالناس في الرأفة والاحلمون في الاحلام
أخذوا القصد واستقاموا عليه ٠٠ حين مالت زوامل الآثام

هذه القصيدة عبارة عن مقارنة بين أئمة الشيعة الذين يعدلون ولا يجورون في الاحكام وهم المتصفون بصفة الحلم وسعة الصدر وهم بهذه الصفات المذكورة في القصيدة يختلفون عن حكام بني أمية كعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان وهشام بن عبد الملك الحكام الامويين الجائرين في حكم الناس والمبتعدين عن العدل والذين يبطشون بمخالفيهم بطش الجبابرة العتاة ٠ والذين يسوقون المسلمين كالانعام ويعتبرونهم كالبقرة الحلوب يتمتعون بمنافعها ويمتصون دماءها بدون رحمة أو شفقة ٠

ونحن نجد الكميت دائما يقيم المعادلات ويقدم المقارنات بين جور الامويين وعدل الهاشميين فأئمة الشيعة يحكمون بالكتاب والسنة ٠ أما الامويون فهم أصحاب جور وبدع وضلالات :

لهم كل عام بدعة يحدثونها
أزلوا بها أتباعهم ثم أوحلوا
كما ابتدع الرهبان ما لم يجىء به
كتاب ولا وحي من الله منزل
تحل دماء المسلمين لديهم
ويحرم طلع النخلة المتهدل

فيا رب هل الا بك النصر نبتغي
عليهم ، وهل الا عليك المعول

وهذا الشعر ليس ثورة على بني أميـة كما يظهر لاول وهلة بل فيه تقرير واضـح بأصلحية الهاشميين للخلافة واغتصاب حقهم المشروع منها .

والكميت لا يترك قضية الوصاية . وصاية الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالخلافة والولاية حسبما صح عندهم – عند الشيعة – في حديث « غدير خم » فيقول :

ويوم الدوح دوح غدير خم
أبان لـه الوصاية لو أطيعا

فالكميت اعتقد – كما اعتقد كثير من الشيعة – أن الرسول أوصى بخلافة علي من بعده وأن أبا بكر وعمر اغتصبا حقه .. وأنا هنا لا أجادل في هذه النقطة لما يجر اليه مناقشتها من آراء لا ترضي الذين يعتقدون بصحة حادثة غدير خم ..

ويحدد الكميت موقفه من المذاهب والتشيع فيصيح قائلا :

وما لي الا آل أحمد شيعة
وما لي الا مذهب الحق مذهب

نعم فنعم الشيعة آل احمد ، ونعم المذهب مذهب الحق . واذا كان حب آل البيت واعتبار الحق هو مذهب الانسان هو التشيع أو هو ما يهدف اليه التشيع فان كل مسلم شيعي ولا شك .

ان كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان أني رافضي

وعند قتل الامام زيد بن علي رثاه الشاعر بقصيدة نأخذ منها هذه الابيات :

وعطلت الاحكام حتى كأننا
على ملة غير التي نتنحل
أأهل كتـاب نحن فيـه وأنتم
على الحق نقضي بالكتاب ونعدل
كـأن كتـاب الله يعنى بأمـره
وبالنهي فيـه الكودني المركل
فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم
فحتام حتـام العناء المطول ؟ ؟

الحقيقة التي لا مراء فيها ولا جدال، أن شعر الكميت شيء جديد على شعرنا العربي فهو يدل على الخطوات العقلية التي خطاها العرب في العهد الاموي وشعر الكميت مرجع واف للفكرة الزيدية الشيعية . فيه ما يكفي لمن يريد معرفة عقائد الزيدية الدينية والسياسية وهي الفرقة المعتدلة التي هي أقرب المذاهب الى المذاهب الاربعة أو ما يسمى بأهل السنة .

كثير عزة :

وهـذا شاعر كبير من شـعراء الشيعة في العصر الاموي وهو أزدي النسبة كيساني المذهب ، من المؤمنين بالرجعة والتناسخ . وهو من أنصار محمد بن الحنفية . وهو زعيم بل امام الكيسانية – المتفرعة عن الامامية . وعندما مات محمد بن الحنفية صاح كثير عزة بقصيدة شهيرة في رثاء الامام تبرز مذهبه بوضوح وهو من شعراء التصوير العاطفي عند الشيعة .

ألا ان الأئمـة مـن قريش
ولاة الحق أربعـة سواء
علي والثلاثة من بنيـه
هم الاسباط ليس لهم خفاء
فسبط ، سبط ايمان وبر
وسبط غيبتـه كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى
يقود الجيش يقدمـه اللواء
تغيب لا يرى فيهـم زمانـا
برضـوى عنـده عسل وماء

ففي بيته الاول حصر الخلافة والامامة في آل علي من سائر قريش والهاشميين . وفي البيتين الثاني والثالث بقية عدد الائمة وهم علي والحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية .

وفي البيتين الاخيرين ظهر فيهما ايمانه بالرجعة ، رجعة محمد بن الحنفية الامام المتغيب في رضوى عنده العسل والماء .

على أن شخصية كثير عزة لم تظهر في شعره كشاعر شيعي ، خلافا للكميت الذي كرس شعره لخدمة الهاشميين .. ومدح كثير الامويين وأخذ جوائزهم .

وعندما مدح عمر بن عبد العزيز – الملك العادل – لم يكبت نفسه فعرض في مدحه للخليفة بقصيدة سب الامام علي من فوق المنابر وهذا الامر في الحقيقة – سب علي – لا يرضاه أي عربي مسلم بالمعنى الصحيح . ولكن الاهواء السياسية والميول تخرق المثل والاخلاق والفضائل :

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف
بريا ولم تتبـع مقالـة مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي
فعلت فأضحى راضيا كل مسلم

ونحن نعرف أن عمر بن عبد العزيز هو الذي أبطل سب سيدنا علي وأبدل ذلك بقول الله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان الخ .. » وهي سنة حسنة محا بها حماقة خرقاء وجهالة منكرة عفنة .

أيمن بن خريم الاسدي :

وهو من شعراء الشيعة الذين يعتمدون على العاطفة في شعرهم فهو يصور حياة الهاشميين تصويرا عاطفيا [illegible] لا يتحمل المسؤولية بالنسبة لما يعتقد . وربما أثر فيه والده خريم الاسدي حيث اعتزل حرب « صفين والجمل » وابتعد عن الاحداث المؤلمة التي وقعت على المسرح الاسلامي وأثرت تأثيرا سيئا . لا ينكر تأثيره ونتائجه وقد أعجب بشعره عبد الملك بن مروان النقادة الاديب وقد صور لنا أيمن بن خريم حياة الهاشميين تصويرا مؤثرا جدا حين قال :

نهاركم مكابدة وصوم
وليلكم صلاة واقتراء
وليتم بالقرآن وبالتزكي
فأسرع فيكم ذاك البلاء
بكى نجد غداة غد عليكم
ومكة والمدينة والجواء
وحق لكل أرض فارقوها
عليكم ، لا أبا لكم ، البكاء
أأجعلكم وأقواما سواء
وبينكم وبينهم الهواء
وهم أرض لارجلكم وأنتم
لأرؤسهم وأعينهم سماء

وهو من مداحي الامويين . وأعطاه عبد الملك بن مروان جائزة على قصيدة مدح وقال له : اذهب فقاتل ابن الزبير . فامتنع عن ذلك وقال :

ولست بقاتل رجلا يصلي
على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلي وزري
معاذ الله من سفه وطيش
أأقتل مسلما وأعيش حيا
فليس بنافعي ما دمت عيشي

فيظهر من هذه الابيات أنه كان شاعرا مسلما ، شيعيا بقلبه ، أمويا بدنياه وظاهره وعقله . متحرجا من القتل والقتال . قتال المسلم لاخيه المسلم . ويبدو عليه أنه يفرق بين الدين كعقيدة وبين السياسة كحزبية وشيع ومذاهب ..

دعبل الخزاعي :

ودعبل الخزاعي ، شاعر ، كبير ، متشيع ، صريح ، واضح العقيدة . أنكر على هارون الرشيد معاملته للعلويين من الحبس ، والاذى . وكان لا يداري ، ولا يماري ولهذا عاش مشردا ، طريدا وقد قال عن نفسه :

« أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين عاما لست أجد أحدا يصلبني عليها » .

واشتهر الخزاعي بصدق رثائه للعلويين . والعلويون وجدوا عند العباسيين من الاذاية والتعذيب ما جعلهم ينسون ظلم الامويين لهم حتى قال أحد الشعراء على لسانهم :

يا ليت عدل بني مروان عادلنا
يا ليت عدل بني العباس في النار

ولما كان علي بن موسى الرضا بخراسان مدحه الشاعر بقصيدة مطلعها :

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالحيف من منى
وبالركن والتعريف والجمرات
ألم ترأني من ثلاثين حجة
أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهم في غيرهم متقسما
وأيديهم من فيئهم صفرات
فآل رسول الله نحف جسومهم
وآل زياد حفل القصرات
بنات زياد في القصور مصونة
وآل رسول الله في الفلوات

ان الذي يقرأ هذه المقارنة المؤلمة يتفطر قلبه ألما ، وتتفتت كبده حسرة على تشريد آل البيت النبوي في الفلوات . ان التصوير العاطفي له أثر على القارىء كبير وفي العاطفة أحيانا ما يغني عن العقل والذهن والتفكير .

خاتمة :

هذه لمحات سريعة ، ليست بكافية ، وان كانت مرضية فيها شيء وليس كل الاشياء وقديما قال ابو نواس : حفظت شيئا وغابت عنك أشياء . قلت هذه خطرات وانطباعات حول : « الاحتجاج والتصوير عند شعراء الشيعة في العصر الاموي » ومن الملاحظ انه لم يذكر فيها كل شعراء الشيعة في عهد الامويين ولكن فيها أبرزهم ولا شك .

والاحتجاج في الشعر ذلك الطابع الجديد في شعرنا

العدد الماضي في الميزان ـ الشعر

بقلم : محي الدين صبحي

انه لمجد للشعر في بلدنا ، سورية ، أن تنشط المدارس الشعرية ويتنفس بعضها على بعض خصائصه ومزاياه ، فاذا نحن أمام قصيدتين شامختين من ابداع نديم محمد وخليل خوري ٠

ان الفجيعة بالحزن والموت تخيم على جو القصيدتين، وما أكثر الحزن في أدب وطننا ٠٠ انها ظاهرة جديرة بالتحليل والدراسة ٠٠

« لحن ينطفىء » للشاعر الكبير نديم محمد صاحب ديوان « آلام » بكل ما في الآلام من مرارة وقسوة ظالمة ٠ والخطاب المباشر الممتلىء بالتأمل والتفكير ثم العودة الى ذكريات الامس الراحل والصبا الآفل وما كانت تجود به عليه الطبيعة من صحة وحسن وجمال ينتشر في النفس وفي الشجر والينبوع والغيم والروابي ٠٠ انه يذكر كل ذلك ويذكر ما يصحب الشباب من كبر وشموخ حتى اذا استنفدته الذكريات واستنفدها رجع الى نفسه بعد صراع مع الاحداث والحوادث ، فوجد نفسه وحيدا يأكل الحزن قلبه ويغيم الحزن على فكره ويعيش رغما عنه فيجد بقاءه عقابا له على استمراره في الحياة بعد صديقه وليس له الا أن ينتظر ٠

ان اندماج الحياة الشخصية بالطبيعة هي الميزة التي تسم شعر نديم محمد بطابع الشمول وتجعل من شخصيته الفنية ذلك الرمز المأساوي للفرد الذي يصارع وهو في أوج متعته ٠ والنسيج الخفي الدقيق الذي يربط الخمر والحب والنبع والاصيل نسيج معتم، فأنت ترى المرض والدمع والموت الى جانب الزهو والشباب والنشوة ٠٠ ان الشاعر أمسك بالحياة في لوحته ولذلك ، مهما كانت كلاسيكيته مرتبطة بالاصول القديمة ، فان عنصر الخلود في شعره هو ذلك الشمول والترابط في روح القصيدة ٠ انك ترى أثر التراث القديم في بعض الابيات كقوله :

أين من كأسنا ـ صفاوة عين الديك ـ حسن في الكون أو نعماء
أين منا ، اذ تعاورنا السكر ، فتهنا ، الملوك والامراء

ولطالما شبهت الخمر بعين الديك في صفائها ، ولطالما ردد الناس قول الشاعر الجاهلي :

واذا شربت فانني رب الخورنق والسدير ٠٠

لكن هذا القديم يمر متطامنا متواضعا في خفر تجاه ذلك الابداع المعجز في نقل الاحساس والشعور ضمن تصاوير فنية هيهات أن تدانيها مقدرة أخرى في انتقاء الزوايا وجودة التعابير ٠ ان الشعر العربي التقليدي لم يعرف صورة في مثل هذه الدقة والحيوية :

وذؤاباته الرشاق أراجيح شعاع يهزهن الرواء
وذيول الصفصاف مجنونة العجب ويبدو كأنه استحياء
والروابي: صبا ، ووهج ، وقطر ، ونسيم، ومندل ، وكباء
ويد الغيم ، بين محو واثبات ، فضوء يغشى ، وظل يضاء

ان التظليل الذي أتم الصورة في البيت الاخير ليجعل من واجب الكثيرين من القدامى والمحدثين أن يركعوا خمسين عاما أمام الطبيعة قبل أن يجرؤوا على ذكر الغيم والنسيم اذا أرادوا أن ينقلوا عن الطبيعة لوحة واقعية ٠ أما أغصان الصفصاف المتهدلة تحت أشعة الشمس فقد بدت من خلال عاطفة الشاعر المؤتلقة من تحفز وحنان وهيام ، كأنها مخلوقات نورانية ليست نساء تماما وليست خصل شعر وليست شعاع نور ٠٠ ان أغصان الصفصاف شيء من كل ذلك ، فهي متكبرة لكنها حيية وهي شعاع تهزه الحياة النضرة ٠

٠٠ ان هذه الرؤية للطبيعة لم تقدم مفصولة عن الغرض العام للقصيدة ، فالرثاء كان وما يزال هو الشعور المسيطر على القصيدة ٠ ان تلك الصورة مسبوقة بهذا النداء الهائم الذي يقرب من أن يكون صلاة ودعاء واستغفارا للصديق الراحل :

يا سميع الدعاء ، ما عطفت كأس على أختها وطال الثواء
قم الى الحان ، فالرفاق غواد يستحثون في الطريق ، ظماء
واغفر البطء في خطاهم الى الموت ، فما في يد المريد الفناء

وبعد هذه النجوى جاءت صورة الطبيعة ، وبعد صورة الطبيعة عادت مرارة الاحساس بالموت الى الالحاح على نفس الشاعر ٠ انه ختم صورة الطبيعة بيد الغيم وهي تمحو وتثبت وتضيء الظل وتغشي الضوء ٠٠ وتلك أجود نهاية لصورة جاءت في معرض الموت ٠٠ ذلك التعتيم الذي يمحو ويثبت يشبه الموت الذي يأخذ ويترك ٠٠ ولون الغيم الكالح ولون السواد المتخذ رمزا للموت ٠٠ لونان متشابهان وحركة دائبة في السماء والارض تجري

على الاحياء فيما يكون الفنان بالمرصاد بكل ما لديه من حسن متوفر وشعور عميق وصنعة مترفة ويد صناع خبيرة بالكلمة وعين بصيرة بما يجري في الكون .. أنهى الشاعر وصف الطبيعة بهذا البيت :

ويد الغيم ، بين محو واثبات ، فضوء يغشى ، وظل يضاء

وعاد الى الرثاء بهذا البيت :

سكت الحسن، وانطفى اللحن في الروض وأذوت وروده الرمضاء

فحافظ على وحدة القصيدة ووحدة الشعور . انه ظل في مجالي الطبيعة ولكنه اختار الطبيعة الصامتة « سكت الحسن » واختار الطبيعة الآفلة « انطفى اللحن » واختار الطبيعة الذاوية « وأذوت وروده الرمضاء » فدلل بهذا الاختيار على أنه شاعر كبير يملك حسا كونيا يتيح له أن يخلق عالما ينصاع لمشاعره ، كلما أراد له أن يكون فيكون ! ونديم محمد من هذه الزاوية شاعر مبدع وابداعه شامل عميق . لكن هناك زوايا أخرى تجعل من نديم محمد شاعرا كبيرا يعيش عصره ويعي ايقاع عصره . فالشاعر الذي يقتصر على العزلة في الريف ولا يتمثل مأساة العصر شاعر محدود ، لكن جناح النسر عند نديم محمد يأبى عليه أن يكون كشاعر الغوطتين أو شاعر الفيحاء .. أوغير ذلك من ألقاب يخلعها دمى الشعر على بعضهم وبعض . ان نديم محمد شاعر العصر ، وأزمة العصر هي أن يحتفظ انسان ما بكرامته . أن يظل شامخ الرأس لا يذل ولا يلين ، وهنا ، في حضرة الموت ، يقف نديم محمد ليثبت ما تبقى من ركائز الرجولة في ضمير زمان عفن :

أنت منا ، ونحن منك ، على الظلم انتفاض وجنة وازدراء

أجفلت من ابائنا ذروة الجاه ، ومن زهدنا تلوى الثراء

تلك هي عناصر الرجولة الحقة : ازدراء للظلم وانتفاض عليه .. ليس يحطم الظلم الا اباء الرجل الكريم .. والرجل الكريم هو الرجل العفيف الزاهد الذي لا يشرى بجاه منصب ولا يستبيه بريق الثراء .. عندما يرضى رجل بالكفاف فانه يستطيع أن يقول :

راودونا خفض الجباه من الذل ، فتهنا وتاه فينا الاباء ..

واذا كانت للشباب صبوات في الخمر والهوى ، فانها ليست بذاهبة بقوة الرجولة ولا تجرف الرجل الى المرض أو تدنيه من الموت ، ان هوان النفوس هو الذي يميت :

جرحك الجرح .. لا يد الخمر أملته ، ولا السهد خطه والعياء

يعذب السم في النفوس ولا تعذب فيها الاطاعة العمياء

رب عار ، من بعض أسمائه الفخر ، ومجد عارت به الاسماء ..

« جرحك الجرح » اني لاستحيي من القول : ما بقي من يحسن أن يقول مثل هذا الكلام .. ان البلاغة ما تزال بخير . واذا ما أصابتها نكسة فانما هي من الادعياء لا من الاصلاء ، وهي من الدخيلين لا من المثقفين. ان نديم محمد أعاد للشعر الكلاسيكي في سورية مجدا عريضا لا تفنيه شعوذات المحنطين من أصحاب «الحوليات» الذين ينتظرون عاما كاملا لاحياء مهرجان للشعر . ان مهرجان الشعر هو هنا وفي هذه القصيدة بالذات . أما مهرجان الشعراء فلا بأس أن يكون في يوم معين من السنة وفي مكان معين من الارض .

فيا شاعري العظيم ..

ان لك من فنك وأصالتك وسعة أفقك ما أعاد الى مسامعنا هدير الفحول من شعرائنا الغابرين . وما يضعك في عداد أربعة أو خمسة أسماء هي كل ما بقي للفصحى القديمة من فخر . اننا ـ نحن دعاة التجديد والثورة على القديم والقدماء ـ لننحني اجلالا للصوت الجهير والقلم المكين والرؤيا الحياتية الشاملة . ان الشعراء في مذهبنا هم أنبياء العصر والانسان وأنت أحد المجلين بين الشعراء . واذا ضاق المجال من أن أوفي هذه القصيدة حقها فان التقصير يكون من جانبي لا من جانبك .. وأين لقلمي الكسير أن يحيط في هذه العجالة العابرة بكل ما وضعته في قصيدتك هذه من حركة وسخر وثورة ، وأنى لي أن أتقصى أخبار الحياة التي أبنتها في رثائك بهذه اللغة التي تتزاحم دونها الصور وبهذه الصور التي تتنافس مع اشراق الاسلوب وبهذا الاسلوب الذي تملؤه موسيقى الحياة وبهذه الموسيقى التي تعطي الجو زخما ورعشة فيها انتفاضة العيش وهمود الموت والمضي في تحدي القدر واستهلاك الشباب .

ثق يا صديقي أنني لا أتمنى على الزمان الا أن أنعم بهدوء يتيح لي استجلاء أسرار فنك العظيم وعرضها في كتاب .. ومن أين ذلك ونحن لا نعرف من انتاجك الغزير الا القلة ، ولا نرتوي منه الا كما يرتوي الطير من ينبوع أحاطت به بنادق الصائدين .. واغفر لي اذا استعرت من بيانك المعجب لاعبر عن أحزاني فأردد معك :

لا وعينيك ما هجرت ، ولا خنت ، ولا مر في ظنوني جفاء

وبلى ، طار للوداع فؤادي ، فطوى من جناحه الابطاء

فاغمس العتب في جراحي ، وقل هات رثاء ، يهزز كمني الرثاء

قطع هن ما قدرت عليه من فؤاد عضت به الارزاء

آية الحزن أن يغيم به الفكر ، فمنه على الشعور غشاء ..

والله يشهد أن الحزن يغيم على فكري كلما ذكرت عذابك مع الحرف واعزازك لمجد الكلمة مع رقة الحال التي نعرف . أنت شاعر كبير ، ويثلج صدرك أن أخبرك أن على الدرب شاعرا هو في طريقه الى الكبر . انه خليل خوري . وهو يتناول الموضوع ذاته انما من زاوية ثانية،

وهذا يعني أن القيمة في الفن ليست أبدا للفكرة ، وانما للاحساس بها ، ولطريقة عرض هذا الاحساس ٠ ان الفكرة موضوعية محددة أما الاحساس فشيء ذاتي يختلف من انسان لآخر ، واذا كانت قصيدة نديم محمد تعرض الحياة بعناصر عديدة وبلهجة رثائية فان خليل خوري بعيد عن الرثاء ٠ ان نديم محمد يتأمل الحياة أما خليل خوري فانه يتأمل الموت ! في مظاهره الخارجية: الجنازات والتشمع والتأبين والزيت وانسدال الستائر ٠٠ كل تلك الاشارات تدل على الزوال ٠٠ ان خليلا يضعنا تجاه الموت منذ أن يفوه بالكلمة الاولى :

المقابر
أنا أخاف المقابر ٠٠

ويمضي في تصوير الرعب من الفناء والموت :

أخاف برد المقابر
يارمادا في برد يأسك صاغر

ثم يصطنع المنهج العلمي فيبرر نفوره من المقبرة :

« كان طفلا ، وذات يوم رأى ميتا ،
ومن يومها يخاف المقابر ٠٠ »

لكن هذا التبرير الجانبي سرعان ما يضعف تجاه الرعب من الموت ٠٠ انه يبدأ بالتجسيدات المحسوسة من مظاهر الموت ، ثم لا يلبث أن يسير الخطوة الحاسمة، فيحذف الرموز ويواجه الحقائق ٠ انه يتمنى : « ليت المقابر لم تكن » ثم يكتشف عدم جدوى الاماني ، فيتبنى العدم :

« ليت أني ما جئت » ولماذا ؟ ويأتي الجواب :
« ان مجيئي ، وعي وعيي ، أني الى القبر صائر ٠٠ »

وهنا يغادر عالم التمني ويتبدى له الموت منذ الانطلاقة الاولى :

أنا ميت ، حملت نعشي يوم الصرخة البكر ٠٠

ويتراءى له الموت رفيقا طيلة العمر :

أناميت،حملت شاهدتي الصماءوشما ، أناالتراب المسافر ٠٠

ويتتالى التأكيد على زمالة الموت للانسان طيلة العمر :

حاضري غابر ، كأني ما جئت ، وآتي مثل أمسي الغابر ٠٠

وأخيرا يكتشف تفاهة الحياة والموت الجاثم مثل كابوس على صدر الولادة والنسل والبقاء :

صدفة كنت ، صدفة،من أتى بي كان مثلي يخاف ليل المقابر ٠٠

وحين يتلاشى أمام الفناء يطرح السؤال الكبير :

أي شيء أن ينسل الصمت صمتا
أي شيء أن يفرز الظل عابر ؟!!

ثم تنتهي القصيدة بضربات يائسة على أبواب الحياة والموت والاقدار التي تسيرهما ٠٠

ان جو الموت ظاهر في جو القصيدة ٠ في هذه الانقطاعات المفاجئة والحركات الساكنة والجمل الاعتراضية والتكرار والسخر ٠ ان الكلمات المفردة صلبة قاسية الوقع : صقيع ، صمت ، مقابر ، ثلج ، تراب ، عاقر ٠٠ انها تثير جوا قاسيا صلبا فيه شيء من الاشمئزاز والسكون المفاجىء ٠ أما التراكيب فهي أقل وطأة من فراغ الكلمات ٠ ان في التراكيب رحمة وشيئا من الانسانية « التراب المسافر ، ورقة النعي ، كرة الثلج ، جهش النواظر » ٠٠ والنسيج الاسلوبي بشكل عام متقطع ليدل على التمزق المرافق للحركة النفسية أثناء الانفعال ٠٠ أما الصور فانها تخيلية خاطفة ترود عالم الوهم ببسمة ساخرة ويأس مفجع ٠٠ ان هذه القصيدة تبني مجد الشاعر وتزيد الى بناء خليل خوري مدماكا يزهو به في أنه أصبح في مقدمة الطليعة بين الشعراء الشباب لا في اقليمنا فقط بل في الوطن العربي كله ٠ ثمة همسة في أذن خديجة الارناؤوط : ان قصيدتك تستحق اسمها ٠٠ ونرجو منك العطاء الاجمل ٠٠

وكلمة أخيرة للسيد سليمان أحمد معروف : انك شاعر اذا استطعت أن تستقل عن تأثير نديم محمد ٠

دمشق — محيي الدين صبحي



حفل شهر آذار بنشاط أدبي وثقافي واسع في اقليمي الجمهورية العربية المتحدة ·

● فقد وصل دمشق الدكتور ثروة عكاشة وزير الثقافة والارشاد القومي التنفيذي وحضر جلسة المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية · بحث المجلس قضايا ثقافية وأدبية عديدة ، منها المنح الخاصة برسائل الدكتوراه ورعاية طلاب الدراسات الثانوية المتفوقين في الثقافة والآداب أثناء قبولهم في الجامعات

● درس المجلس الاعلى تقرير الدكتور عبد الكريم اليافي بشأن دراسة الاسباب الاجتماعية لتوزيع الملكية الزراعية واختتمت الجلسة ببحث عدة قضايا ثقافية وفكرية واجتماعيه ··

● الدكتور سليمان حزين مدير جامعة اسيوط وصل دمشق لحضور مهرجان الامام الغزالي واجتماعات المجلس الاعلى ·· قال الدكتور حزين ان الاتجاه في التعليم الجامعي يتجه نحو العناية بالكليات العلمية لان الحاجة ماسة الى خريجين في مشروعات التنمية ··

● صدر ديوان « أبيات ريفية » للشاعر المرحوم عبد الباسط الصوفي الفائز بجائزة مجلة « الآداب » بين ٢٢ ديوانا قدمت لمسابقتها ··

● افتتح على مدرج جامعة دمشق « اسبوع الفقه الاسلامي ومهرجان الامام ابن تيمية » برعاية السيد كمال الدين حسين وناب عنه الدكتور أمجد الطرابلسي ·· تناولت المناقشات مواضيع مختلفةأبرزها « التعسف في استعمال الحق » و « الاستحسان والمصالح المرسلة » ··

● قال الدكتور عبد الكريم اليافي أن المرء المثقف حين يكون صغيرا يعجب بما يقرؤه لكاتب أو لشاعر ·· ولكنه حين يكبر وتكبر ثقافته وتتسع مداركه يرى نفسه أكبر من الكاتب أو الشاعر لانه يتقدم وكاتبه المفضل يظل حيث هو ·· !

● في اليوم الثالث من مهرجان الامام الغزالي بدمشق تحدث الدكاترة محمد الهاشمي ، عمر فروخ ، أحمد فؤادالاهواني ، عثمانشاهين ، ابراهيمآغاشبوتشو والاب فريد جبر ··

● « القديسة العارية » مجموعة قصص القاص المعروف عبد الله الشيتي تصدر في منتصف نيسان · قدم لها الاديب الكبير نظير زيتون · وعرف بها الاستاذ وجيه بيضون · وهي أجرأ ما كتب في الحب والزواج والجنس ··

● من أجمل ما ورد في ديوان أبيات ريفية لعبد الباسط الصوفي قوله في قصيدة « أم من بور سعيد » :

خذ ياصغيري وامضغ اللعنات مات أبوك غيله
لبني مزجت به السموم ولم أكن يوما بخيله

● من الكتب الجديدة التي صدرت خلال الشهر الفائت لبعض الكتاب والقاصين الشباب : رأس سمكة لاسكندر لوقا ، جراح لياسين رفاعية ، قبل لا تنتهي لكمال فوزي الشرابي ، أشياء عذبة لصالح درويش ، غدا تبكين حبي لعادل سلوم ، البراكين لصابر فلحوط ، وغيرها ··

● الاساتذة نصوح بابيل ، جلال فاروق الشريف ، سعيد الجزائري ، عباس الحامض تحدثوا في برنامج « نور على الدرب » الاذاعي عن الصحافة ودورها في التوجيه الجماهيري ، وشرحوا أهدافها كفن وكرسالة·· وكمهنة ··

● صدر « ديوان حبيبتي » لنزار قباني · وطبع منه ١٥ ألف نسخة سرعان ما نفذ معظمها من الاسواق··

● « حبات قلب » ديوان شعر لخليل الخوري و « غروب في الفجر » مجموعة قصص لوليد مدفعي يصدران في الايام القريبة القادمة ··

● نشطت الجمعيات والمنتديات الادبية والثقافية على مستوى فعال · وكان الموسم مليئا بالمحاضرات المختلفة والمعارض الفنية والمناظرات الفكرية التي تشهدها دمشق عبر نشاطها الثقافي العام ·

● ستجري مقابلة بين الادباء الشباب والكهول في جمعية الوعي العربي بدمشق لبحث شؤون الساعة في مجال الادب وانتاج الطرفين ··!